جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم التاريخ – فرع تاريخ العصور الوسطى



الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية

دراسة علي مجتمعات بلاد الشام

رسالة مقدمة للحصول علي درجة الماجستير في الآداب
فرع التاريخ الوسيط

إعداد
الطالبة / رشـــا عبدالفتـاح محمـد حســين

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور / قاســم عبــده قاســم
أستاذ تاريخ العصور الوسطي وحضارتها
كلية الآداب جامعة الزقازيق

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ۞ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)

الشعراء الآيات [٨٣ : ٨٥]

صدق الله العظيم

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۞ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا .
)

صدق الله العظيم

الفتح الآيات [١ : ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية

((دراسة علي مجتمعات بلاد الشام))

المقدمـــــة

اعتبرت فترة الحروب الصليبية من أهم الموضوعات التاريخية التي حظيت باهتمام المؤرخين في معظم أنحاء العالم بسبب أحداثها ونتائجها التي كانت مجالاً واسعاً للدراسة والبحث ، فلقد كان الصراع الإسلامي الصليبي صراعاً حضارياً في جوهره وسياسياً وعسكرياً في ظاهره . صراعاً بين حضارتين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوربية.

فاستطاع الصليبيون تكوين كيانات صليبية لهم في المنطقة العربية بتأسيس مملكة لاتينية ببلاد الشام امتدت ما يقرب من قرنين من الزمان ، كان لها أكبر الأثر علي مجريات الأحداث علي الصعيدين العربي والأوربي وما أحدثته من تفاعل مباشر بين الجانبين علي كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

ومن أهم الأسباب التي دفعت بي للدارسة في هذا الموضوع توضيح أثر الحروب الصليبية علي مجتمعات بلاد الشام خلال الفترة التي مكث فيها الصليبيون داخل المنطقة العربية . حيث إن معظم الدراسات السابقة في هذا الموضوع تناولت تفاصيل الأحداث والحياة اليومية .

واقتضت الدراسة في هذا الموضوع أن يأتي في تمهيد وأربعة فصول تتلوها خاتمة .

تضمن التمهيد الحديث عن البنية السكانية من عناصر السكان في المجتمع الإسلامي من القبائل العربية والأتراك والتركمان والأكراد وعناصر السكان في المجتمع المسيحي وبخاصة الجنسيات الأوربية التي استقرت في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية.

وكان الفصل الأول تحت عنوان طبيعة العلاقات الاجتماعية في مجتمع متعدد الجنسيات ، فتحدثت فيه عن طبيعة النظام السياسي داخل منطقة بلاد الشام في فترة ما قبل الحروب الصليبية إلى أن استطاع الصليبيون تكوين المملكة اللاتينية علي تراب بلاد الشام ، وعليه فكان لابد من الحديث عن العلاقة بين الطبقات الاجتماعية للصليبيين وبخاصة بين الملك الصليبي وأمرائه أصحاب الإقطاعات ورجال الدين ، ثم العلاقات التي بينهم وبين المسلمين والمسيحيين الشرقيين واليهود .

وتضمن الفصل الثاني الحديث عن النظام القيمي والأخلاقي من حيث الحديث عن الطوائف المذهبية من إسماعيلية ، درزية ، ناصرية . ثم تناولت أشهر الاغتيالات التي حدثت في تلك الفترة وأيضاً بعض العادات والتقاليد التي تأثرت بها منطقة بلاد الشام والثقافة السائرة في ذلك العصر .

أما الفصل الثالث فقد اشتمل علي تأثر الأحوال الاقتصادية بهذه الحروب ، فكان تكوين الأحياء التجارية الذي عاد بالسوء علي التجار المسلمين الذين كانوا يسيطرون علي التجارة في تلك المنطقة إلى أن بدأ الصليبيون يفرضون سيطرتهم عليها ، ثم تحدثت عن النظام الإقطاعي من حيث تأثيره وتأثره ، وعن أحوال الفلاحين التي تأثرت بشكل كبير بهذه الحروب .

وأما الفصل الرابع فكان تحت عنوان (صورة الآخر) حيث كان الحديث فيه عن صورة الصليبي في الذهنية العربية ، وأيضاً الصورة التي رسمها الصليبيون للعرب .

وجاءت الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .



وبعد فإنه يشرفني أن أتقدم بخالص مشاعر الإعزاز إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور / قاسم عبده قاسم أستاذ العصور الوسطي ، الذي ساعدني في إخراج هذا البحث وتفضل وزودني بنصائحه العلمية المفيدة للتغلب علي عدد من الصعاب التي واجهتها ، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور / إسحق عبيد أستاذ العصور الوسطي علي ما قدمه لي من مساعدة في البداية .

وإنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور / حاتم الطحاوي علي ما قدمه لي من مساعدة ، وأخص بالشكر والتقدير الدكتور / سعيد الغمري علي ما قدمه لي من مساعدة طوال فترة إعداد البحث فله منى خالص الشكر والتقدير .

وأتوجه بالشكر إلى الدكتور / محمود عبدالحفيظ الذي قام مشكوراً بمراجعة هذا العمل لغوياً ، كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من عاونني في إخراج هذا العمل علي هذه الصورة .

كما أشكر كل القائمين علي مكتبة كلية الآداب جامعة الزقازيق ، والمكتبة المركزية بالجامعة ، ودار الكتب بالزقازيق ، والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة ، ومكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، ومكتبة دير الآباء الدومينيكان ، ودير الآباء الفرنسيسكان بالقاهرة لمساعدتهم لي وإتاحة الفرصة أمامي للإطلاع والبحث .

وأخيراً ... فهذا ما أعانني الله عليه ، فإن أصبت فمن الله وإن كانت الأخرى ... فحسبي حق الاجتهاد .

وبـــالله التوفيـــــــق

مصادر البحث (دراسة تحليلية)

أولاً : المصادر العربية :

من المصادر المهمة التي استفاد منها البحث كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، الذي أرخ لفترة من أهم وأخصب الفترات التاريخية بين المسلمين والأوربيين الذين جاءوا إلى ديار الإسلام وهم يحملون السيف والصليب والحقد علي حضارة الإسلام ، وأعتبر أسامة – الذي ولد لبني منقذ الأمراء في شيزر في عام (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) – من أحسن من عبر عن موقف المسلمين من الفرنج وبخاصة في الثقافة والعلم والحياة الاجتماعية ، وترجع أهمية كتابه إلى اتصاله المباشر بالصليبيين ، فكانت له علاقات ود وصداقة تقاربت للأخوة مع الفرنجة مما أتاح له الفرصة لمعرفة تفاصيل دقيقة عن حياتهم الاجتماعية بمعظم جوانبها ، فيعتبر أسامة بن منقذ من المسلمين القلائل الذين استطاعوا أن يكتسبوا ثقة المستعمرين من الفرنجة . واستفاد البحث من هذا المصدر الذي اعتبر من مصادر الدرجة الأولى للبحث في إيضاح المدى الذي وصلت إليه العلاقات بين كل الأطراف التي وجدت في تلك الفترة إلى جانب تأثر كل من الطرفين المتنازعين سواء من المسلمين أو من الصليبيين بالآخر في العادات والتقاليد والطب والنشاط الثقافي وغيرها من نواحي الحياة الاجتماعية .

واعتبر عماد الدين الكاتب من أهم المؤرخين الذين اعتمد عليهم البحث وبخاصة مؤلفه (الفتح القسي) الذي تناول فترة الحكم الأيوبي وبخاصة فترة حكم صلاح الدين الأيوبي وترجع أهمية هذا المصدر في ملازمة مؤلفه لصلاح الدين والتي كانت فترة حكمه من أزهر فترات الإسلام حيث استطاع المسلمون استرداد بيت المقدس من الفرنجة . إلى جانب الازدهار الذي حدث بسبب فترات الاستقرار التي استطاع صلاح الدين تحقيقها ، وعماد الدين الكاتب هو (محمد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني) صاحب المصنفات الغزيرة : خريدة النصر في شعراء العصر ، والبرق السامي . وترجع أهمية كتابه الفتح القدسي إلى التفاصيل الدقيقة التي جاءت فيه والتي كتبت بدقة ونقل حرفي للأحداث ، وأيضاً كانت طريقة العماد البليغة في الكتابة دليلاً علي ما كان عليه النشاط الثقافي في تلك الفترة ، ولقد استفاد البحث في مجالات عديدة أهمها العلاقات بين المسلمين والصليبيين ، إلى جانب ما جاء فيه من عادات وتقاليد أوضحت ما تحدثه الحروب الطويلة والمستمرة بالجنود ، ولذلك يعتبر من مصادر الدرجة الأولى للبحث .

وكانت لمؤلفات ابن الأثير أهمية كبيرة وبخاصة الكامل في التاريخ بأجزائه العديدة التي شملت معظم الأحداث التي دارت في البلاد الإسلامية بما فيها فترة الحروب الصليبية وما نتج عنها من أثار داخل بلاد الشام ، وترجع أهميته للبحث في إيضاح الكثير من الحوادث التي وقعت في تلك الفترة إلى جانب المعلومات القيمة التي استفاد منها البحث في الحديث عن الطوائف الدينية . وكانت للمعلومات الكثيرة التي جاءت في كتابه (التاريخ الباهر للدولة الأتابكية بالموصل) دور كبير في إيضاح جوانب عديدة عن الدولة الأتابكية لعماد الدين زنكي ومن خلفه نور الدين محمود وبخاصة في مجال علاقاتهم بالصليبيين والدور البارز الذي قام به قواد هذه الدولة في وضع البذور الأولى للوحدة بين المسلمين ، وابن الأثير هو (الإمام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الموصلي) ، واعتبر ابن الأثير من أشهر مؤرخي تلك الفترة وأهمهم ، فكانت له مؤلفات أخرى منها (اللباب في تهذيب الأنساب) ، و(أسد الغابة في معرفة الصحابة) ، توفى ابن الأثير في عام (٦٣٠ هـ) .

أما كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) لأبي شامة ، الذي أوضح فيه أهم الأحداث التي وقعت في عهد نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي وعلاقتهما بالفرنجة وببعضهما ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى الكثير من المعلومات التاريخية والأدبية التي اشتمل عليها واستفاد منها البحث كثيراً ، وأبوشامة هو (عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد المقدسي) صاحب المصنفات العديدة ، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة ، وله شرح الشاطبية ، والرد إلى الأمر الأول ، وغير ذلك من الفوائد والحسان والغرائب ، (ولد سنة ٥٩٩ هـ ، توفى سنة ٦٦٥ هـ) .

واعتبر كتاب الروضتين من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث وذلك لأن الفترة التي عاش فيها مؤلفه من أهم الفترات التي شهدت اهتماماً كبيراً بالعلماء ، وكان لصاحب المصنف فضل كبير في توضيح معظم الأحداث التي وقعت في تلك الفترة .

وكان لرحلة ابن جبير أهمية خاصة ، فهي التي اشتملت علي الوصف الدقيق من خلال عين كاتبها لما رآه من جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمنطقة بلاد الشام حيث جاب ابن جبير البلاد بانتقاله من مكان لآخر وكان يسجل كل ما تقع عليه عينه في جميع النواحي ، فكان حديثه المفصل عن العلاقات الاقتصادية التي كانت بين الجانبين الإسلامي والصليبي وأيضاً مشاهدته للعادات والتقاليد التي كانت تمارس في ذلك الوقت ، وابن جبير هو (محمد بن أحمد الشهير بابن جبير رحالة وأديب ولد في بلنسية ، وبرع في الأدب ونظم الشعر الرقيق ، كما أولع بالترحل والتنقل فزار مصر

والعراق وسوريا في الفترة التي كان فيها الصليبيون ببلاد الشام ، وكان من أمهر من يعبرون عما تراه أعينهم بالقلم وتعتبر رحلته من أهم المصادر التي استفاد منها البحث وبخاصة في الجوانب الاقتصادية لقربها من الأحداث.

ثانياً : المصادر الأجنبية :

يعتبر مؤلف وليم الصوري من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث ؛ وذلك لقيامه بسرد الأحداث بطريقة تفصيلية تدعو إلى معرفة أدق تفاصيل الأحداث التي كانت تقع في تلك الفترة ، وبخاصة ما كان يحدث داخل المجتمع الفرنجي ، فكانت هناك أحداث لا يمكن أن يطلع عليها أي فرد ، وبخاصة حقيقة العلاقات بين أمراء الفرنجة ، ولكن قرب وليم الصوري من مواقع الأحداث والأشخاص أعطى الفرصة للكتابة عنها وتوضيح ما كان ليخفى عن غيره ، فجاءت الفائدة الكبرى من هذا المنطلق ، حيث استفاد البحث في كشف ما كانت عليه العلاقات بين الطوائف المختلفة من طبقات المجتمع الفرنجي ، وولد وليم الصوري في مملكة بيت المقدس الصليبية عام (١١٣٠ م) ولكن أصل أبويه غير معروف ، وكانت معرفته باللغات الأخرى غير الفرنسية معرفة واسعة ، فتكلم العربية واليونانية والعبرية والفارسية واللاتينية ، وعمل رئيساً لأساقفة صور منذ عام ١١٧٥ م حتى وفاته . ولقد وضع كتابين : الأول بعنوان: (تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر) وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات : منها الإنجليزية والفرنسية والعربية ، و أما الكتاب الثاني فهو تحت عنوان (تاريخ أمراء الشرق) وللأسف فُقِدت نسخة هذا الكتاب ولم يعرف عنها شيء ، ويمكننا اعتبار وليم الصوري من أهم المؤرخين الذين فتحوا مجالاً كبيراً أمام الدارسين لمعرفة الكثير عن تاريخ الحروب الصليبية وما شملته من مواقع وأحداث داخل بلاد الشام .

أما كتاب (تاريخ بيت المقدس) ليعقوب الڤيتري فقد اشتمل علي معلومات غزيرة عن بيت المقدس وبعض المدن المحيطة بها وعن أصل السكان الذين عاشوا بها ، وترجع أهميته في الاعتماد عليه في هذا البحث إلى أن مؤلفه كان قريباً من مصدر الأحداث من خلال اشتراكه فيها ، وقد ولد يعقوب في بلدة ڤيترى الواقعة علي نهر السين ، وأصبح أحد الرجال القياديين في عصره في وقت قياسي ، ويبدو أن تأثيره في الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي كان عظيماً ، وكرس حياته لاستعادة القبر المقدس ، ونتيجة لجهوده حاذ منصب أسقف عكا عام (١٢١٧ م) . وتقلد فيما بعد منصب الكاردينال وأسقف بيت المقدس ، وتوفى عام (١٢٤٠ م) ، ويعتبر من أبرز الأمثلة علي رجال الدين في تلك الفترة .

وأما كتـاب وصـف الأرض المقدسـة (للرحالـة الألمـاني بورشـارد) فهـو مـن أهـم كتـب الرحالـة الأوربيـين فـي العصـور الوسـطى ، وترجـع أهميتـه إلـى دقـة ملاحظـات مؤلفـه وسـعة إطلاعـه وصـحة المعلومـات التـي أتـى بهـا وبعـده عـن التعصـب . فلقـد وصـف مـدن الأرض المقدسـة وقراهـا وقلاعهـا وسـهولها وجبالهـا وأنهارهـا وعيونهـا ، كمـا تحـدث عـن أشـهر مزروعاتهـا وصـناعاتها ، وعليـه فقد اسـتفاد البحث منـه فـي الحـديث عـن مظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصـادية فـي بـلاد الشـام فـي فتـرة الحـروب الصـليبية ، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث .

ثالثاً - المراجع العربية والمعربة :

كان للمراجع العربية والمعربة أهمية بالغة في توضيح الكثير من جوانب الموضوع وبخاصة كتاب (المجتمـع الإسـلامي فـي بـلاد الشـام) لأحمـد رمضـان ، حيـث كـان لـه الفضـل فـي توضـيح بعـض المعلومات المهمة الخاصة بالسكان والعادات والتقاليد وغيرها من الجوانب المهمة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع الشامي وأثر الحروب الصليبية فيه .

وأيضاً كان لكتاب (خطط الشام) لمحمد كرد علي بأجزائه المختلفة الفضل في تقديم ما كانت عليه بلاد الشام في الفترة السابقة علي الاحتلال الصليبي وبعدها إلى جانب توضيح النشاط الثقافي بما شمله من مدارس وزوايا ودور علم .

أما المراجع المعربـة فكان لها الدور الكبير في تغذية هذا البحث بالمعلومات الغزيرة مثل كتاب الحروب الصليبية لأرنيست باركر وعالم الصليبيين ، والاستيطان الصليبي ليوشع براور.



تمهيـــــد :

عند الحديث عن تأثير الحروب الصليبية علي منطقة بلاد الشام في النواحي الاجتماعية ؛ يتضح هذا التأثير في البنية السكانية ، وعلاقات القوى الاجتماعية ، والنظام القيمي والأخلاقي ، الذي ظهر نتيجة هذا الاستيطان الصليبي الذي مكث في المنطقة العربية ما يقرب من قرنين من الزمان من (١٠٩٨ م – ١٢٩١ م) .

وبالنسبة للبنية السكانية * لهذه المنطقة فإنها تميزت في جوهرها بطبيعة فسيفسائية في سكانها ، ويعود ذلك إلى وجود عناصر متعددة من السكان [١] . فيقول بنيامين التطيلي الذي زار المنطقة في (ق١٢). عن سكان بلاد الشام " إنهم خليط من كل أمة ولسان " [٢] وربما يعود ذلك إلى موقعها الجغرافي وطبيعتها التضاريسية ، إلى جانب أهميتها الدينية فضلاً عن الظروف التاريخية التي مرت بها . ونتج عن هذا أن عاش في بلاد الشام مزيج من الأجناس الذين تكَّون منهم المجتمع الإسلامي والمجتمع المسيحي[٣] .

وإذن كان يقيم في بلاد الشام رجال من جميع الأمم التي كانت تسكن تحت السماء كما يقول بورشارد ، وكل واحد منهم يتبع مذهباً خاصاً[٤]، إلا أن الغالبية من السكان المحليين في بلاد الشام عند مجيء جيوش الصليبيين كانت من المسلمين[٥] .

---

* عن العناصر السكانية التي سكنت بلاد الشام ، انظر : يعقوب الڤيتري ، تاريخ بيت المقدس ، (ترجمة وتعليق / سعيد البيشاوي ، دار الشروق ، ١٩٩٨ م) ، صـ٢٤، صـ٢٥ ؛ يوشع براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين "مملكة بيت المقدس اللاتينية " ، (ترجمة / عبدالحافظ البنا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠١م) ، ط١ ، صـ ٦٩ .

[١]– قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية " الأيديولوجية – الدوافع – النتائج " ، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ١٩٩٣ م) ، صـ١٩٢ ، صـ١٩٣ .

[٢]– بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، (ترجمة / عزرا حداد ، مصدرة بمقدمة / عباس العزاوي ، المطبعة الشرقية ، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م ، ط ١) ، صـ ٩٨ ، صـ٩٩ .

[٣] – محمود الحويري ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام " في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية " ، (دار المعارف ، ١٩٧٩ م) ، صـ١٥ – صـ٣٠ ، صـ٤٩ – صـ٥٦ .

[٤]– بورشارد من دير جبل صهيون ، وصف الأرض المقدسة ، (ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي ، مراجعة وتدقيق / مصطفى الحيارى ، دار الشروق ، ١٩٩٥) ، ط١ ، صـ١٧١ .

[٥]– براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ ٦٩ .

وكانت عناصر المجتمع الإسلامي تتكون من القبائل العربية ، والعناصر غير العربية من الأتراك والتركمان والأراتقة والأتابكة والأكراد ، ومن أهم القبائل العربية* كانت قبيلة بني كلاب التي استطاعت تأسيس إمارة لها بحلب وتزعمها صالح بن مرداس[١] ، ولكنها لم تطل كثيراً حتى استولى السلاجقة علي الإمارة ، وقضوا علي المرداسيين بها[٢]. أما قبيلة بني طيئ* والتي انحدرت منها (بني ربيعة) فقد حاولت تكوين دولة لها في فلسطين ولكنها فشلت[٣] ، وأيضاً انحدرت قبيلة بني فضل الطائية التي كانت تحارب تارة إلى جانب الفرنجة وتارة أخرى ضدهم[٤].

ولقد كانت قبيلة بني كلب من أهم القبائل التي أدت إلى اضطراب الأوضاع السياسية في بلاد الشام في (ق٤هـ- ١٠ م) وذلك لرغبتها في تحقيق استقلال ذاتي لها ، وذلك بعد استقرارها في وسط بلاد الشام ولكنها فشلت حيث تمت هزيمتها علي يد الفاطميين [٥] .

واستطاع بنو عمار تأسيس إمارة لهم في طرابلس. اهتموا فيها بالنواحي الاقتصادية والعلمية ، ولكن مع دخول الصليبيين . علي الرغم من إعلانها سياسة المهادنة معهم ، إلا أن موقعها المتوسط بين الرها وأنطاكية أعطاها أهمية دفعت الصليبيين إلى الاستيلاء عليها وتدمير أكثرها[٦]. أما بنو

---

* عن القبائل العربية ، انظر : أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١ هـ - ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، جـ١ ، صـ ٣١٦ - صـ٣٦٠ ؛ جـ٤ ، صـ٢٠٣ - صـ ٢١٠ ، صـ٢١٣ ، ٢١٤ .

نزحت القبائل العربية منذ القرن الأول الهجري إلى منطقة بلاد الشام ، وكانت لها اليد الطولى في تعريب البلاد وأهلها ؛ أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام " في عصر الحروب الصليبية " (الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) ، ط١ ، صـ ٣٨ ؛ فيليب حتى ، لبنان في التاريخ "منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر " ، (ترجمة / أنيس فريحة ، مراجعة / نقولا زيادة ، دار الثقافة - بيروت) ، صـ ٣٤٢ ؛ محمود الحويري ، ، المرجع السابق ، صـ١٥ ؛ زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية "بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية " ، (دار الكتاب اللبناني ، ١٩٤٦م - ١٣٦٥ هـ) ، صـ٨٠ .

[١] -أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي ، صـ٣٨ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٦ .

[٢] -أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٤٠ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ١٧ .

* تحدث ابن منقذ عن بعض عادات قبيلة بني طيء ؛ القلقشندي صبح الأعشى ، جـ١ ، صـ٣٢٠ ، صـ ٣٢٢ ؛ جـ٤ ، صـ٢٠٣ ؛ أسامة بن منقذ ، الإعتبار ، (تحقيق / قاسم السامرائي ، دار الأصالة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، صـ ٣٥ .

[٣] - بروار ، المرجع السابق ، صـ٧٠ ، صـ ٧١ ؛ الحويري ، المرجع السابق صـ١٧ ، صـ١٨ .

[٤] - فيليب حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٦٣.

[٥]- الحويري ، المرجع السابق ، صـ١٨ ، صـ١٩ .

[٦]- أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٤٠ ، صـ ٤٤ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ١٩ ، صـ٢٠ ؛ عمر عبدالسلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي و الحضاري عبر العصور " عصر الصراع العربي - البيزنطي والحروب الصليبية " ، (سلسلة تاريخ طرابلس الحضاري (٣) ، مؤسسة الرسالة ، دار الإيمان ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) ، جـ١ ، ط٢ ، صـ٣٣٧ .

منقذ الذين أسسوا إمارتهم في شيزر واستطاعوا الحفاظ علي استقلالها إلى أن جاء الصليبيون فانتهجوا سياسة الحياد[١] مع الصليبيين عن طريق المعاهدات معهم [٢] واستمر ذلك إلى أن دمرت شيذر بالزلازل التي ضربت بلاد الشام في عام ١١٥٧م ، انقرضت علي أثرها أسرة بني منقذ . ويعتبر أسامة بن منقذ صاحب كتاب (الاعتبار) الذي اعتمدت عليه كمصدر مهم من المصادر التي تناولت فترة الحروب الصليبية ، وبخاصة العلاقات فيما بين سكان بلاد الشام الصليبيين[٣] .

أما التنوخيون فلم يكن لهم موقف سياسي واحد من أي قوة سياسية داخل بلاد الشام ولكنهم انتهجوا سياسة (مصلحتهم فوق كل شيء) فكانوا يميلون ويساعدون القوة التي كانت تسيطر علي الحكم لا فرق عندهم بين مسلم أو صليبي أو مغولي ، ودفع ذلك المماليك إلى اتخاذ بعض الإجراءات ضدهم. ولقد تجنب الشهابيون النزاع الذي كان بين صلاح الدين ونور الدين ولكنهم لم يتجنبوا الحياة السياسية فلقد قاتلوا الصليبيين . ومثل المعنيين الذين سكنوا الجزء الجنوبي من غرب لبنان الملجأ الأمين لمن فر أمام الفرنجة ، إلى جانب محاربتهم للفرنج بجانب المسلمين[٤] .

ووجدت قبائل عربية أخرى داخل بلاد الشام منها قبيلة بني كنانة وبني حوبر ، وبني خالد ، وحول قلعتي الكرك والشوبك كانت قبيلة عقبة وبني زهير [٥] وفي أقصى الشمال حول عجلون قبيلة بني بني عوف ، وأيضاً وجدت بعض من هذه القبائل علي الحدود الشمالية الشرقية للملكة الصليبية وأيضاً

١- أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٤٤ ، صـ٤٧ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٢٠ .

[٢]- ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ٨٩ .

٣- بنيامين التطيلي ، المصدر السابق ، صـ ٨٨ ، صـ ٨٩ ؛ ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية " بالموصل" ، (تحقيق / عبدالقادر طليمات ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣م) ، صـ١١٠ ، ١٤٥ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، (دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٣ م) ، مجـ ٥ ق ٣ (٩) ، صـ ٥٤٢ ؛ الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر " الدرة المضيه في أخبار الدولة الفاطمية " ، تحقيق /صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م) ، جـ٦ ، صـ٥٣٣ ، صـ٥٧٠ ؛ ابن العبرى ، تاريخ الزمان ، (نقله إلى العربية / إسحق أرمله ، قدمه له / جان موريس ، دار المشرق ، ١٣٨٠ هـ- ١٩٨٦ م) ، صـ١٧٢ ؛ أحمد القرماني ، أخبار الدول وأثار الأول ، (دراسة وتحقيق / أحمد حطيط ، فهمي سعد ، دار عالم الكتب ، ١٩٩٢م - ١٤١٢ هـ) ، مجـ٢ ، ط١ ، صـ١٧٦ ؛ غريفوريوس الملطي ، تاريخ مختصر الدول ، (وقف علي طبعه / انطون صالحاني اليسوعه) ، صـ ٣٦٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، (تحقيق / جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٧ م) ، جـ١ ، صـ ١٢٨ ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، (المطبعة الوهبية ، ١٢٨٥ هـ) ، جـ٢ ، صـ٥٧ ؛

Kenneth M.setton , Ahistory of the crusades, university of pennsylivania press, P.371

[٤] - الحويري المرجع السابق ، صـ٢٠ - صـ ٢٤ .

[٥] - براور ، المرجع السابق ، صـ ٧٠ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٢٤ .

فــي أقصـــى الغــرب ، وعــاش هــؤلاء علـــي¯ الاستفادة من المراعي الغنية المنتشرة في هذه المناطق ، ولقد عاش عددٌ قليلٌ جداً من هذه القبائل البدوية داخل حدود المملكة اللاتينية ومنها القبائل التي كانت تسكن علي مقربة من مدينة نابلس ؛ وقامت هذه القبائل بدفع الضرائب لملك بيت المقدس الصليبي [١] ، وكانت القبائل التي تتحالف مع الصليبيين لا ينطبق عليها دفع الضرائب [٢] . وعرفت أغلبية هذه القبائل البدوية العربية حياة الاستقرار وعدم الترحال أثناء القرن الثاني عشر الميلادي.[٣]

وضم المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عناصر أخرى غير عربية ، فكان أهمها الأتراك من "تركمان وأراتقة وأتابكة " وكان الأكراد من أهم هذه العناصر ، فاستطاع الأتراك السلاجقة * تكوين أرستقراطية إقطاعية ببلاد الشام متخذين من حلب قاعدة لهم [٤] ، وكانت لهم مواقف قوية ضد الصليبيين [٥] ، حيث اشتبكوا معهم في معارك عديدة وبخاصة صد هجوم الصليبيين علي حلب [٦]

وإلى جانب هذا خدمتهم في جيش صلاح الدين [٧] .

---

١ – براور ، المرجع السابق ، صـ ٧٠ ، صـ ٧١

٢– نفســـه ، صـ ٧٠ ، صـ٧١ ؛

Karen Armstrong, A History of Jerusalem" One city three faiths, Harper Collins publishers, P. 276; T.F. tout , M.A., D.litt, the Empire And the papacy "918 – 1273 ", ,Period II, Rivingtons, kingstreet, covent Garden, London 1924, P.184.

٣ – براور ، المرجع السابق ، صـ٧٠ ، صـ٧١.

* الأتراك السلاجقة : ينتسبوا إلى سلجوق بن تقاق ، انظر : أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني " ابن الأثير" (ت سنة ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) مجـ٩ ، ط١ ، صـ٤٧٣ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، (صححه ووضع حواشيه / محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ م) ، جـ١ ، ق١ ، صـ٣٠ – صـ٤١ ؛ وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، (ترجمة /حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م) ، جـ٢ ، صـ٧٦ ، صـ٧٨ ، صـ ٧٩ ؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية " صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى " ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٩ م) ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٦٧ – صـ٨٠.

٤– الحويري ، المرجع السابق ، صـ٢٥ ، صـ ٢٦ ؛ محمد مؤنس عوض ، دراسات شرق أوسطية " أضواء علي الطب في المناطق الصليبية في المرحلة من (١٠٩٨ – ١١٧٤ م – ٤٩١ – ٥٧٠ هـ)" ، (مركز بحوث الشرق الأوسط ، سلسلة دراسات رقم (١٨١م) ، القاهرة ، ١٩٩٥ م) ، صـ ٢٥٠ .

٥– أعمال الفرنجة " وحجاج بيت المقدس " ، (ترجمة وقدم له وعلق عليه / حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨) ، صـ٦٢ ، صـ ٦٣ ؛ وليم الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٢٠٩ صـ٢١٥ ؛ جـ٤ ، صـ٢٢٢ .

٦– أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٤٩ ، صـ ٥٠ ؛ محمد محمد مرسي الشيخ ، الإمارات العربية في بلاد الشام " في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين " ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م) ، ط١ ، صـ٤٤٩ ، صـ ٤٥٠ .

١– عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٨٦ – صـ٩٠ ؛ محمود الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٢٦

ومثل التركمان** قبيلة من الأتراك [١] ، والتـي سـكنت شـمالي بـلاد الشـام ، واسـتطاع عماد الدين الاستفادة من ازدياد قوتهم ، حيث قام بتكليفهم بمحاربة الفرنجة ، ولقد كان جزء كبير جداً من الجيش الإسلامي في عهد الدولتين النورية والصلاحية من التركمان [٢] وتفرخ عن التركمان بنو أرتق الذين استطاعوا السيطرة علي بعض أجزاء من بلاد الشام [٣] ، وكانت لهم مواقف كثيرة في جهاد الصليبيين[٤] . ولم يكن الأراتقة هم الوحيدين الذين نتجوا عن تفكك دولة السلاجقة ببلاد الشام ، فكان الأتابكة هم الأخرون نتيجة لهذا التفكك ، وكانت أتابكية دمشق ومؤسسها ظهير الدين طغتكين وأتابكية الموصل ومؤسسها عماد الدين زنكي من أهم أتابكيات بلاد الشام [٥] .وقامت أتابكية الموصل بجهود عديدة يمكننا اعتبارها أول مسمار زرع في نعش الوجود الصليبي ببلاد الشام ، وكان ذلك من جانبين ؛ تمثل الجانب الأول في محاولة زنكي توحيد الجبهة العربية الإسلامية[٦] ، والجانب الثاني هو استيلاؤه علي "الرها" من أيديهم التي كانت بمثابة أولى ضربات الجيش الإسلامي للوجود الفرنجي ببلاد الشام[٧] وعاش الأكراد *** داخل بلاد الشام

** جاءوا إلى بلاد الشام فارين من التتار . انظر : بيبرس الدواداري ، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، (تحقيق / زبيدة محمد عطا ، محفوظ الرياض ، ١٩٨٦ م) ، جـ٩ ، صـ ٨٧ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣٤٨ .

٢ – الصورى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، صـ٧٦ ؛ جـ٤ ، صـ٢٣٠ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ٧١ .

٣ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ ٩ ، صـ ٣١٩ – صـ ٣٢٦ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ ٣٤٢ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٢٦ – صـ ٢٨ ؛ محمد كرد ، خطط الشام ، (المطبع الحديث في دمشق ، ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م) ، ج١ ، صـ٦٩ ؛ محمد مرسي المرجع السابق ، صـ ٤٤٩ ، صـ٤٥٠ .

٣ – أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٥٢ ؛ سيد أمين علي ، مختصر تاريخ العرب ، (نقله إلى العربية / عفيفي البعلبكي ، دار العلم للملايين بيروت) ، صـ ٢٨٢ .

٤ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ ٩ ، صـ٤٦ – صـ٥٣ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٣٢٥ – صـ ٣٢٦ . ٣٢٦

٥ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٩٧ .

٦ – أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٥٤ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٤٤٩ – صـ ٤٥٨ .

٧ – ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية "مملكة بيت المقدس" ، (نقله إلى العربية السيد / الباز العريني ، دار الثقافة ، ١٩٨٢ م) ، جـ٢، ط٢ ، صـ ٤٦٧ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ صـ٤٤٩ – صـ ٤٥٨ ، صـ٤٧٣ ، ٤٨٧ .

*** عن أصل الأكراد . أنظر : أحمد فوزي ، قاسم والأكراد " خناجر وجبال " صـ١٩ – صـ٢٦ ؛ محمد ياسين الحموي ، دمشق في العصر الأيوبي ، (مكتب النشر العربي بدمشق ، ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٦ م)، صـ٢١ ، صـ٢٢ = ؛ كمال بن مارس ، العلاقة بين الموصل وحلب ودورها في الحروب الصليبية "من ٤٦٤ هـ / ١٠٧١م إلى ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م" رسالة ماجستير غير منشورة (آداب عين شمس) ، صـ١٩٠.

الشـام [١] فـي المنـاطق الشـمالية مـن الشـام ،‾ ولقد ارتفـع شـأنهم وأصـبحت لهـم الكلمـة العليـا داخل البلاد ، وبخاصـة بعد ظهور الدولـة الأيوبيـة بإنشـائها علـي يـد صـلاح الـدين الأيـوبي ذي الأصـل الكردي وبنـاء عليـه فقد تألفت أغلبيـة جيش صـلاح الـدين من الجماعـات الكرديـة والأمـراء الأكـراد الـذين شـاركوا فـي الحـروب والفتوحـات [٢] ، وتولـوا الإمـارات والولايـات فـي مصـر والشـام [٣] . هـذا ولقـد تركـت عناصر الترك والتركمان والأكراد آثاراً واضحة في التركيبـة الاجتماعيـة والتكوين البشري والجنسـي والبنـاء الحضاري ، وبخاصة ما يرتبط بالنظم واللغة والعادات والتقاليد داخل بلاد الشام[٤].

ولقد عاش المسيحيون الشرقيون في بلاد الشام جنباً إلى جنب بجوار المسلمين ، وكانوا يمارسون طقوسهم في كنائسهم بحرية تامة أثناء الحكم العربي [٥] ، ولكن مع مجيء الصليبيين تغير جزء كبير من ذلك ، وأكبر دليل علي ذلك يتضح من خلال دخول الصليبيين المدافعين عن المسيحية فلم يفرقوا بين المسلمين والمسيحيين الشرقيين عند هجومهم علي أي مدينة داخل بلاد الشام ، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم كانوا يعتبرون مسيحي الشرق منشقين عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية أي أنهم ملحدون[٦] ولقد تغيرت تلك المعاملات بعض الشيء نتيجة لاحتياج الصليبيين لخدمات المسيحيين الشرقيين[٧] : إلا أن الود والتفاهم ظل مفقوداً بين الجانبين علي حد قول براور [٨].

١- المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ ق١ ، صـ٣ - صـ٤ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٥٥ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٢٨ ؛ محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، صـ ٤٤٩ - صـ ٤٥٠ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ٢٥٠ .

٢- شهاب الدين ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (دراسة وتحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية) ، جـ٥ ، صـ٤ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٥٥ ، صـ٥٩ ؛ الحويري ، المرجع السابق صـ ٢٨ - صـ٣٠ .

٣ - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، (مطبعة الهلال ، ١٩٢٧) ، جـ٤ ، ط٤ ، صـ ١٩١ .

٤ -أبو بكر ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر " الدر المطلوب في أخبار ملوك بني ايوب " ، (تحقيق / عبدالفتاح عاشور ، إحياء الكتب العربية ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢ م) ، جـ٧ ، صـ د.

٥ - بورشارد ، المصدر السابق ، صـ ١٧٣ ، صـ ١٧٦ ؛ الصوري ، المصدر السابق جـ٢ ، ١٧٨ ؛ يوشع براور ، عالم الصلبيين ، (ترجمة وتقديم / قاسم عبده ، محمد خليفة حسن ، دار المعارف ، ١٩٨١ م) ط١ ، صـ١١٩ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ ٤٧٢ - صـ ٤٧٣ ؛ سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب ، صـ٢٨١ - صـ ٢٨٢ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٦٠ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٨٨ .

٦ - الڤيتري ، تاريخ بيت المقدس ، صـ ١١٤ - صـ ١١٥ ، صـ ١٠٨ - صـ ١٠٩.

٧ - عاشور ، المرجع السابق ، صـ ٢٦٧ - ٢٦٩ .

٨ - براور ، المرجع السابق ، صـ ٩٤ .

وكان اليهود ضمن عناصر السكان التي ضمتها بلاد الشام عندما طرق الصليبيون أبواب بلاد الشام . ويتحدث التطيلي عن عناصر اليهود وما تعرضوا له من وحشية علي أيدي الصليبيين ، ثم تحدث عن أعمالهم وحياتهم في الأراضي المقدسة[١] .

ونلاحظ مما سبق أن المجتمع العربي الإسلامي داخل بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية كان متنوعاً من جانب السلالات العرقية ، والعقائد الدينية [٢] فإلى جانب القبائل العربية كان الأتراك والأكراد [٣] والأحباش[٤] والمغاربة [٥]، وإلى جانب هؤلاء عاش المسيحيون الشرقيون[٦] واليهود أو بمعنى بمعنى آخر أهل الذمة .

وإلى جانب هذا المزيج المتنوع من عناصر السكان في بلاد الشام جاءت شعوب أكثر تنوعاً لكي تعيش وسط هذه العناصر المتنوعة ، حيث أضاف الصليبيون أنفسهم إلى هذا المزيج القومي والديني [٧] [٧] ، فكانت جيوش الصليبيين تتألف من معظم العناصر الفرنجية التي كانت تدين بدين البابوية في أوربا[٨]. فشملت العناصر الفرنسيين والجنوية والبيازنة والبروفنساليين ، والبلغار والفلمنك والإنجليز والإسكندنافين و الأسبان [٩] ، والنرويجيين [١٠] وإلى جانب هؤلاء جاء من أوربا أيضاً عدد كبير من

---

١ – بنيامين التطيلي ، الرحلة ، صـ ٨٧ – صـ٩٩ ، صـ ١٠٣ – صـ ١٩٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ ٤٧٣ .

٢ – الڤيتري ، المصدر ، صـ٩٧ .

٣ – الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٧ ، حـ د ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ ٩٤ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ ٣٤٢ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٦٩ .

٤ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، صـ٤٧٢ ؛ كرد علي ، المرجع السابق ، جـ١، صـ ٧٠ .

٥ – أبو الحسن محمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، (دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري) ، صـ٢١٠ ، صـ ٢١٤ – صـ ٢١٥

٦ – الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٩٧ .

٧ – براور ، المرجع السابق ، صـ ١١٩ .

٨ – محمد كرد علي ، المرجع السابق ، جـ٥ ، صـ ٢١ .

٩ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ١٧١ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ١٤ – صـ ١٥ ، صـ ٩٦ ، صـ١٠٨ ؛ يوحنا فورزبورغ ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، (ترجمة / سعيد البشاوي ، دار الشروق ، ١٩٩٧م ، ط١ ، صـ ٧٥ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ ١١٩ – صـ ١٢٠ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٧٠ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٤٩ ؛

Setton, op.cit.p. 386 .

١٠ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ صـ٢٩٠ – صـ ٢٩٣ ؛ أرنست باركر ، الحروب الصليبية ، (نقله إلى العربية / السيد الباز العريني ، مكتبة النهضة المصرية) ، صـ٥٣ ؛ سعيد عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، = صـ٢٥١ ؛ محمد

الأوباش وفئران أرصفة الموانيء ومتسكعي– الشواطيء ولصوص الأراضي والبحر والشحاذين والمشعوذين والمغامرين ، وخريجي السجون ؛ وبمعنى أدق جاء إلى منطقة بلاد الشام أراذل أوربا[١]

حتى إن بورشارد يقول : " إن رجالنا اللاتين الأسواء من جميع أهل الأرض " ، وعلل ذلك بأن من جاءوا كان منهم إما قاتل أو سارق أو لص أو زان ، ويقوم بقطع البحر كإنسان تائب أو لأنه خائف من المرض ولهذا لا يقوى علي المكوث في منزلهم[٢]. وبالطبع فلقد تكون المجتمع الصليبي من هذه الشعوب . فكان منهم الطبقات المحاربة النبيلة ، الأحرار ، رجال الدين والتجار .[٣]

ولقد عاش هؤلاء الغربيون علي مدى قرنين من الزمان تحت سماء الشرق الذي يحيطهم بأبنائه[٤] ، ومن الطبيعي فإن وجود كل هذه الشعوب في إطار منطقة واحدة يتيح مجالاً واسعاً من التأثيرات و التأثرات التي نتجت عن العلاقات والمعاملات التي قامت بين كل هذه الأطراف .

مؤنس ، دراسات شرق أوسطية "الحملة الصليبية النرويجية" "الملك سيجورد ودوره في دعم الحركة الصليبية (في المرحلة من ١١٠٧ – ١١١٠ م / ٥٠١ – ٥٠٤ هـ)" ، (سلسلة دراسات رقم (١٨٢) ، القاهرة ١٩٩٥ م) صـ٢١ ؛
Settom “ op.cit ., P 386

١ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٤٩ .

٢ – بورشارد ، المصد السابق ، صـ ١٧١ ؛
Borks Adams, the law of civilization And Decay “ An Essay on History” with an Introduction, By. Charles A.Beard, (New york, 1959) , P.94 .

٣ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٤٩ .

٤ – براور ، المرجع السابق ، صـ ٩٤.

الفصل الأول

طبيعـــة العـلاقـات الاجتماعيــــــة في مجتمع متعدد الجنسيات .

١ـ طبيعـــــــــة النظــــــــام السياســــــــي .
٢ـ العلاقــــة بــــين الطبقـــات الاجتماعيـــة للصـــليبيين .
٣ـ العلاقــــــــات مــــــع المســــــــــلمين .
٤ـ العلاقــــات مــــع المســــيحيين الشــــرقيين .
٥ـ الموقـــــــــف مـــــــن اليهـــــــود .

لم يكن الصدام بين الصليبيين والعرب المسلمين عسكرياً فقط ، وإنما كان سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً ، وثقافياً . وعند الحديث عن هذا الصدام يصعب الفصل بين هذه الجوانب جميعاً[١] ، فلكي نتحدث عن الجانب الاجتماعي لابد أن يشمل طبيعة الأنظمة السياسية التي كانت تحكم تلك المنطقة في هذه الفترة وتأثرها بالأحداث التي دارت حولها ، وأيضاً الحديث عن الجوانب الاقتصادية والجانب الثقافي وتأثيره وتأثره.

ولقد أدت الاستجابة السياسية بالنسبة للظروف التي فرضها العدوان الصليبي علي العالم العربي إلى انتهاء دولة الخلافة عملياً ولكنها ظلت لكي تلعب دور الرمز الديني والواجهة الشرعية ، وكان ذلك نتيجة لعدم قدرة الخلافتيين علي قيادة العالم العربي سياسياً وعسكرياً في مواجهة الهجوم الصليبي ، فأدان الرأي العام تخاذل[٢] الخليفة العباسي بعد أن جاءت إليه استغاثة من بعض الأشراف ببغداد[٣] ، ولذلك هوجم الخليفة العباسي لتركه العدو الصليبي يقضي علي المسلمين كلما حل[٤]

أما عن موقف الخلافة الفاطمية فقد كان تعبيراً عن قصور في الرؤية السياسية ؛ فلم يكد الصليبيون يصلون إلى أنطاكية حتى أرسل إليهم الوزير الفاطمي (الأفضل شاهنشاه) لعقد تحالف بين الصليبيين والفاطميين ضد عدوهم المشترك . الأتراك السلاجقة – وبعدها يقومون بتقسيم منطقة بلاد الشام فيما بينهم[٥] ، وبذلك أدرك الفرنجة مدى الانقسام والضعف الموجود بالقوة الإسلامية[٦] ؛ فسعوا جاهدين لتظل القوى الإسلامية علي هذا الوضع حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم .

١– قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ ١٧٢ .

٢ – نفســه ، صـ ١٧٢ ، صـ ١٧٣ .

٣ – ابن الأثير ، الباهر ، صـ٦٢ ؛ الكامل ، مجـ ٩ ، صـ ١٩ ، صـ ٢٠ ؛ القرماني ، المصدر السابق ، مجـ٢ ، طـ١ ، صـ ١٦٧ أبو يعلي حمزة ابن أسد بن علي التميمي " المعروف بابن القلانسي" (٤٧٠ – ٥٥٥ هـ /١٠٧٧ – ١١٦٠ م) ، تاريخ دمشق (٣٦٠ – ٥٥٥ هـ) ، (تحقيق / سهيل زكار ، دار حسان ، ١٩٨٣ – ١٤٠٣ هـ) ، طـ١ ، صـ ٢٧٦ ؛ الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء (ت سنة ٧٣٢ هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، (المطبعة الحسينية المصرية) ، جـ١ ، صـ ٢١١ ؛ جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، (نقله إلى العربية / حسني زينه ، دار المشرق ، ١٩٩٠ م) طـ١ ، صـ ٣١٥ .

٤ – عبدالحليم العفيفي ، موسوعة " ١٠٠٠ حدث إسلامي " أوراق شرقية ، (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م) ، طـ٢ ، صـ١٩٩ .

٥ – ابن الأثير ، الكامل ، مجـ ٩ ، صـ ١٤ – صـ ١٦ ؛ الصورى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٥٦ – صـ ٥٧ ؛ Setton ,op.cit., Pl. 370, 386

٦ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٥٧ .

ولم يختلف موقف الأمراء الصغار من حكام المدن والإمارات الصغيرة في بلاد الشام عن ذلك كثيراً ، فلقد أرسل إليهم أمير شيزر وهم أمام (كفر طاب) ليتعهد لهم بأنه لن يتعرض للصليبيين عند مرورهم بشيزر ، وأيضاً سوف يقوم بتقديم كل ما يحتاجون إليه من غذاء وميرة[١] .

ولذلك برز دور المثقفين الذين لم يرضهم موقف القيادات السياسية فكان أول من برز لاستهجان هذا الوضع الشعراء عن طريق إلقاء أبيات الشعر لاشعال الحماسة في نفوس القادة والجنود وكل من يستطيع أن يدافع عن تراب الوطن ؛ فأنشد مظفر الأبيوري عدة قصائد عندما دخل الصليبيون إلى بلاد الشام ، منها :

مزجنا دماء بالدموع السواجم ∴ فلم يبق منا عرضة للمزاحم
وشرُّ سلاح المرء دمع يفيضه ∴ إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فإيها بني الإسلام إن وراءكم ∴ وقائع يلحقن الذرى بالمناسم[٢]

بعد أن دخل الصليبيون بلاد الشام استطاعو إنشاء أربع إمارات صليبية هي الرها و أنطاكية وبيت المقدس وطرابلس ، ولكي نتعرف علي هذه الإمارات من حيث ظروفها الاجتماعية وكيفية تأثير الحروب الصليبية عليها . فلا بد لنا من التعرف علي طبيعة العلاقات بين طبقات هذا المجتمع .

لقد تميز البناء الاجتماعي للصليبيين في الشرق بالخلل وذلك لعدم وجود انسجام بين الطبقات المختلفة التي تألف منها المجتمع الصليبي في بلاد الشام ؛ لأن الصليبيين الغربيين ظلوا قلة قليلة بسبب عودة نسبة كبيرة ممن شاركوا في الحملة الصليبية الأولى إلى بلادهم بعد نجاحهم في فتح بيت المقدس ، وأيضاً لأن عدداً كبيراً من الأطفال الذين ولدوا ببلاد الشام لم يعش منهم سوى عدد قليل وذلك بسبب العوامل الجوية والصحية التي لم يألفوها[٣] .

وكانت طبقة الأرستقراطية الحاكمة من النبلاء والفرسان الغربيين أولى هذه الطبقات ، فلقد قدمت الأسرة الحاكمة نواة السكان الأوربيين من شمال شرق فرنسا ووسطها ، وهذا إلى جانب الهجرات اللاحقة التي جاءت (الأسبان والبروفنساليين والإيطاليين

---

[١] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مج٩ ، صـ ١٥ – صـ١٦ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٤٣ ، صـ ٤٥ ، صـ ٦٢ .

[٢]– أبو اليمن القاضي مجيد الدين الحنبلي ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، (مكتبة المحتسب " عمان الأردن " ١٩٧٣ م) ، جـ ١ ، صـ ٣٠٩

[٣] – عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ ٣٩٣ – صـ ٣٩٤

والألمان والمجريين والبريطانيين) وبذلك فلقد نتج عنهم تنوع العناصر السكانية[١] ، وعليه فقد تكونت طبقة الأرستقراطية تدريجياً[٢] وظلت هذه الطبقة نقية العنصر في بيت المقدس ، في حين حدثت في الرها وأنطاكية مصاهرات مع الأرستقراطية المحلية من اليونانيين والأرمن[٣] ، ومن ذلك زواج بلدوين الأول ، وبلدوين الثاني من أرمينيتين تدينان بالمذهب الأرثوذكسي ، وسار علي دربهما جماعة من نبلائهما ، فكانت زوجة جوسلين الأول ، وزوجة واليران سيد إلبيرة أرمينيتين تنتميان إلى الكنيسة الأرمينية المنشقة [٤].

وتمثلت الطبقة الحاكمة عند الفرنج في الأرستقراطية العسكرية [٥] التي استطاعت أن تتفوق في بيت المقدس علي الملكية ، ويعود السبب في ذلك إلي أن الأرستقراطية استقرت في بيت المقدس ثم جاءت الملكية بعدها. وبذلك تألفت مملكة بيت المقدس من مجتمع النبلاء ، فلم يكن الملك فيه إلا زعيماً لهولاء النبلاء ، وذلك مع خضوع الملك لقانون جعل مكانته مساوية لمكانة سائر أفراد المجتمع . غير أن فكرة المساواة بين الملك ونبلائه لم تلبث أن أدت بمضى الزمن إلى ملكية وراثية[٦] .

ولقد ظهرت طبقة النبلاء من الجيوش التي تألفت منها الحملة الصليبية الأولى بقيادة أمراء من غرب أوربا ، واستطاع كل من يستولي منهم علي مدينة أو قلعة أن يرفع عليها لواءه ، وجاز له أن يمتلك هذه المدينة وأيضاً يجعل بها حامية ، وتحكم أيضاً في ظهور هذه الطبقة من النبلاء عاملان أساسيان : تمثل العامل الأول في الحروب التي كانت تنشب بين الصليبيين والمسلمين ، وكان أساس العامل الثاني الهجرة إلى الأراضي المقدسة[٧] ، وبذلك فقد شكلت هذه الطبقة نواة المجتمع الصليبي

---

١ – براور ، عالم الصليبيين ، صـ ١٢٢.

٢ – محمد مؤنس ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣ م) ، طـ١ ، صـ ٢٠٧.

٣ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ٤٦٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٣٩٤ .

٤ – الفيتري ، المصدر السابق ، صـ ١٠٩ – صـ ١١٠ ؛ الصوري ، المصدر السابق جـ٢ ، صـ ٢٩ ؛ رنسيمان المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ ٤٦٩؛

Setton ,op., P. 372, P.392.

٥ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٧٧ – صـ ٧٨ .

٦ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ٦٧ – صـ ٦٨ .

٧ – السيد الباز العريني ، " نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس في القرن الثامن عشر الميلادي " فصلة من مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢٠ العدد الثاني ، ديسمبر ١٩٥٨ ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٢ م ، صـ ٣٧ – صـ ٣٨ .

ومستقبله في بلاد الشام[١] ؛ فكان ينتمي إليها كل الأعيان والفرسان ، وبالرغم من أن معدل ثراء الفارس كان أقل من معدل ثراء التاجر ، إلا أن الفوارق الطبقية كانت أكثر وضوحاً ، وكان من العسير الانتقال إلى طبقة عليا. ولقد تميز الفرسان الصغار داخل هذه الطبقة بنظام تربية ونمط حياة وأفكار مختلفة[٢].

وعن وضع المرأة داخل الطبقة الأرستقراطية ، فإنه عند تكوين المملكة اللاتينية في الشرق وتولي حكمها جود فرى ، لم تحمل المرأة لقب الملكة ويرجع ذلك إلى قصر مدة حكم جودفرى ، وأيضاً إلى عدم زواجه [٣] ؛ ولذلك فلم يظهر دور المرأة في التاريخ الصليبي إلا مع بداية حكم بلدوين الأول الذي كان متزوجاً من الأميرة أردا Arda ، والتي كان لها موقف مشهود أثناء معركة الرملة الأولى عام (١١٠١ م – ٤٩٤هـ)[٤] ، وعلي الرغم من وقوفها بجوار زوجها بلدوين الأول إلا أنه سعى إلى تطليقها بعد اتهامه إياها بالخيانة وتم الطلاق بكنيسة بيت لحم ، وأخذ بلدوين يبحث له عن زوجه أخرى يستطيع من خلالها الحصول علي مكاسب مادية ، ووجد ضالته في أدلياد أرملة روجر الأول صاحب صقلية ، وبالفعل تم الزواج منها في عام ١١١٣ م ، ولكن خصوم بلدوين أثاروا قضية طلاقه من أردا ، وأنها كانت غير قانونية ، وبذلك أصبح بلدوين متزوجاً من امرأتين ، وهي تهمة لها خطورتها في المسيحية ، ولذلك قام بتطليق زوجته الصقلية في عام ١١١٨م [٥].

أما مورفيا Morphia زوجة بلدوين الثاني حاكم الرها والذي تولى أمر مملكة بيت المقدس بعد موت بلدوين الأول[٦] ؛ فلقد أنجبت أربع بنات من بلدوين الثاني كانت كبراهن ميليسند ثم أليس ، وهوديرنا ويفيتا[٧].

---

١ – براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، صـ٨٤ .

٢ – نفســه ، صـ ٩٧ .

٣ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ١٤٦ ، صـ ١٩٢ .

٤ – نفســه، جـ٢ ، صـ ١٩٤ ؛

Setton ,op.cit., P., 372 .

٥ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٢٥٨ – صـ ٢٥٩ ، صـ٣٠٢ ، صـ ٣٠٤ ، صـ ٣٢٦ ، صـ٣٢٧؛ رنسيمان رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ١٦٦ – صـ ١٧٠ ؛ عاشور ، المرجع السابق جـ١ ، ط٥ ، صـ ٢٧١ – صـ ٢٧٣ .

٦ – الصورى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٩ ، صـ ٣٣٨ – صـ٣٣٩، صـ٣٥٧ ؛ عاشور ، المرجع السابق صـ ٤٢٧ ؛

T.F.Tout, M.A.,D.litt, The Empire And the papacy “918-1273”, Rivingtons, King street, Covent Garden, London, 1924, P.185

٧ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢، صـ ٣٤١– صـ ٣٤٢؛

Setton ,op.cit, P.392

ولم يعط بلدوين الثاني مورفيا الفرصة لمشاركته في إصدار القرارات المتعلقة بالمملكة ، وعلي الرغم من ذلك فإنها أظهرت مهارة عالية عندما ساهمت في إطلاق سراح زوجها بعد أسره من جانب المسلمين في عام (٥١٨/١١٢٤ هـ)[١] .

واحتلت ميليسند مكانة كبيرة في مملكة بيت المقدس ، حيث كانت أقوى وأشهر ملكات بيت المقدس ، وبخاصة بعد أن أعلن والدها قبل وفاته أحقيتها في وراثة عرش المملكة من بعده بوصفها كبرى بناته ، وبالفعل تم تتويج ميليسند وفولك كونت انجوى ملكين علي بيت المقدس بعد زواج ميليسند من فولك[٢] ، ولكن لم يترك فولك لميليسند نفس المساحة التي كانت لها في المشاركة في الحكم أثناء حياة أبيها ، ولم يدم ذلك طويلاً حيث إنها استعادت نفوذها ومقدرتها علي السيطرة علي الأمور في السنوات الأخيرة من حكم زوجها[٣].

واستأثرت ميليسند بالقوة والسلطان حتى إنها لم ترغب أن يشارك ابنها في الحملات العسكرية حتى لا يكتسب شهرة ترفعه إلى مراتب القادة العظام [٤] ، وبناء عليه قامت خلافات بين ميليسند وابنها بلدوين الثالث حول التتويج كملك لبيت المقدس بدون شريك ، حتى وصل النزاع بينهما إلى أن تحصنت ميليسند في برج داود إلى أن تم الصلح بينها وبين ابنها[٥].

وكانت أليس أكثر تطلعاً وخطورة من أختها السابقة والتي كانت متزوجة من بوهيموند الثاني أمير أنطاكية ، وتحدث عنها وليم الصورى بأنها امرأة خسيسة وضيعة النفس ، موغلة الشر "ويرجع ذلك إلى أنها قامت بتدبير المكائد والمؤامرت لكي تحرم ابنتها من أن ترث أباها بوهيموند الثاني ، ولم تكتف بذلك بل أعلنت التمرد علي أبيها بلدوين الثاني[٦] ، وقامت بطلب المساعدة من عماد الدين زنكي ؛ لكي يقدم

---

[١] – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٣٦٣ – صـ ٣٦٨ .

[٢] –عاشور ، المرجع السابق ، صـ ٤٢٧ ؛

Karen Armstrong , A History of Jerusalem “one City three faiths”, Harper collins publishers, P.287; T.F.Tout, OP. Cit., P. 185.

[٣] – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٩٣ ، صـ ١٢٤ – صـ ١٢٥ ، صـ ٢١٢ – ٢١٣ .

[٤] – نفســـــه ، جـ٣ ، صـ ٢٣٤ ، صـ ٣٣١ – صـ ٣٣٦ ؛

A rmstrong , OP.Cit., P.291.

[٥] – ابن العبري ، تاريخ الزمان ، صـ ١٦٨ ؛ ميشيل بالار ، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني " من القرن الحادي عشر – إلى القرن الرابع عشر" ، (ترجمة / بشير السباعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية) ، ط١ ، صـ ١٢٠ .

[٦] – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٧٤ ، صـ٧٥ ، صـ ٩٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٢٨١ .

يقدم لها يد العون حتى تحقق ما تريد[١] ، وعلي الرغم من أن أباها استطاع أن يكبح جماحها بإخراجها من أنطاكية [٢] ، إلا أنها استطاعت العودة إليها بمساعدة أختها ميليسند وأن تمثل السلطة الفعلية الحاكمة في إمارة أنطاكية بالاشتراك مع البطرك رادولف . وعلي الرغم من أن أجنس Agnes لم يكن لها دور بارز في البداية ، ويعود ذلك إلى طلاقها من عموري الذي أنجبت منه سبيلا وبلدوين الرابع[٣] ، ولكن بعد تتويج بلدوين الرابع ملكاً علي مملكة بيت المقدس استطاعت فرض نفوذها وممارسة السلطة الملكية بتأثيرها علي ابنها الذي لم يكن يستطيع معارضتها ، وَوَضَحَ ذلك في أنها سيطرت علي تعيين أكبر سلطة دينية في المملكة وهو البطرك ، ولقد بلغ نفوذها أنها كانت تتحكم في دخول وخروج الأمراء والبارونات إلى المملكة من أجل مقابلة الملك[٤] .

وعندما اشتد المرض علي الملك بلدوين الرابع – الذي كان مريضاً بالجزام – نجحت أمه أجنس و أخته سبيلا بتأييد من البطرك أن يقنعاه بأن يعهد بالوصاية علي العرش إلى جاي لوزجنان زوج سبيلا[٥] ، وبعدها تم تتويج سبيلا علي مملكة بيت المقدس وترك لها البطرك بعد تتويجها حرية اختيار من يتولى حكم المملكة بجانبها ، وبالطبع وقع اختيارها علي زوجها جاي لوزجنان وتم ذلك في عام (١١٨٦م – ٥٨٢ هـ) [٦]. وبذلك تمثل الدور الهام الذي لعبته النساء النبيلات في الإمارات الصليبية ، في أنهن وريثات للعرش ؛ لأن قوانين بيت المقدس لم تحرم المرأة من وراثة العرش [٧] ، و ذلك علي الرغم من أن تشريع الوراثة الذي أقره الصليبيون في مملكة بيت المقدس كان يطوي في داخله كثيراً من عوامل ضعف المملكة ، إذ بلغ الأمر من فرض ذلك التشريع أن الوريثة للعرش كانت تختار زوجها رغم عدم توافر الصفات التي تجعله جديراً بالعرش الملكي ، وفي نفس الوقت ترفض أشخاصاً يمتازون بالمقدرة والحنكة السياسية ، مما عرض المملكة للفوضى[٨] . ويذكر (باركر) أنه لم يكن هناك نظام ثابت لوراثة الحكم ، فعانت المملكة مما نجم عن الحق الوراثي من الضعف ، وأيضاً ترتب علي نظام

---

١ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٧٤ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ ٦١ .
٢ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٩٦ .
٣ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ٢٢ – صـ ٢٣ .
٤ – نفســــــه ، جـ ٤ ، صـ ١٧٣ ، صـ١٧٦ .
٥ – نفســــــه، جـ ٤ ، صـ ٣١٧ ، صـ ٣١٩ .
٦ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٠٢ – صـ ١٠٣ .
٧ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٧٨ .
٨ – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ٢٠٤ ؛

T.F.tout, M.A., D.litt,op. Cit., P.195.

الانتخاب كثير من الأحقاد ، وإلى جانب ذلك أدى إزدياد صلات القرابة إلى الاضطرابات واشتداد المنازعات الأسرية ، لما شاع من تعدد زواج وريثات المملكة [١] .

وأدى التنافس والتكالب علي الوريثات النبيلات إلى وجود مشاكل سياسية خطيرة في المملكة كان لها أسوأ النتائج . فإن بعض الفرسان المغامرين المفلسين والأبناء الصغار من الفرسان الذين ليس لهم إقطاع وجاءوا إلى بلاد الشام ليجربوا حظهم مع النبيلات صاحبات الإقطاع [٢] . واستطاع جاي لوزيجنان أن ينجح في الحصول علي الحكم بعد أن نقلت إليه سبيلا Sibylla التاج ، مما عرضه لكراهية أقارب الملك[٣] وغيرة المنافسين الأقل حظاً[٤]

وكان رينودي شاتيون ، الذي عرف بين العرب باسم أرناط مثالاً آخر ، فعلى الرغم من أنه كان ذا حظ سيء بعض الشيء ، لأنه أسر من جانب المسلمين وظل سجيناً حوالى خمسة عشر عاماً ، وعند عودته وجد أن أغلبية آماله تقريباً قد تبددت بموت زوجته الأميرة كونستانس التي كانت وصية علي الوريث الشرعي لإمارة أنطاكية لصالح ابن زوجته علي الرغم من الشائعات التي انتشرت حوله والتي يبدو أنها أظهرت عدم تكافؤ هذا الزواج[٥] ، ولقد أبدى البطرك عموري دي ليموج بطرك أنطاكية معارضته لهذا الزواج مما جعله عرضة لإنزال أقسى ألوان العذاب من رينودى شاتيون ، والتي بلغت حد الضرب وإلقائه وهو عريان تماماً في نار الشمس المحرقة [٦].

وبنهاية فترة المملكة الصليبية الأولى لم يكن هناك أكثر من ست أو عشر عائلات تنتمي إلى طبقة كبار النبلاء . هذا ولقد وصلت طموحات وادعاءات أفراد هذه الطبقة إلى المطالبة بوقف التدخل الملكي في إتمام عقود الزواج ، وذلك من خلال إصرارهم علي تأكيد أهمية موافقتهم علي زواج وريثات الإقطاع . وبذل أفراد هذه الطبقة قصارى جهدهم لكي يمحوا التذكر بأصولهم المتواضعة[٧] ؛ فاستطاع كبار الأعيان من النبلاء أن يجمعوا بين امتلاك الإقطاعات تولى الوظائف في الإدارة الملكية الصليبية وأصبحت السلطة الحقيقية في المملكة اللاتينية حكراً عليهم في الوقت الذي ضعفت فيه السلطة الملكية

---

١ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ٨٧ .

٢ –الحويرى ، المرجع السابق ، صـ ٧٨ ؛

T.F.tout , OP. Cit ., P.195.

٣ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ٨٨ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٨٧ .

٤ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٧٨ .

٥ – نفســـه ، صـ ٧٩ .

٦ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٧٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٥١٤ .

٧ – بروار ، الاستيطان الصليبي ، صـ ٩٤ .

وأصبحت ظلاً لمجد غابر كما ذكر براور[١] . ومثلت أسرة إبلين Ibelin أشهر العائلات الفرنجية النبيلة التي ظهرت في منطقة الشرق العربي[٢] .

أما عن العلاقات بين الأمراء من النبلاء والفرسان داخل هذه الطبقة في منطقة بلاد الشام[٣] ، فتبدأ بقيام بلدوين بتأسيس إمارة لنفسه في الرها (عام ١٠٩٨ م) – التي تعتبر أول إمارة صليبية بالشرق – وذلك بعد الصراع الذي حدث بينه وبين تنكريد النورماني حول الاستيلاء علي طرسوس والمصيصة[٤] . وجاءت بعد ذلك خطة بوهيموند التي نفذها ببراعة فائقة ؛ باختياره أصعب الأوقات التي التي كانت تمر بها الحملة الصليبية ، وأعلن رغبته في العودة إلى أوربا وذلك أثناء محاصرته لأنطاكية ، في الوقت الذي كان يمثل هو ورجاله العمود الفقري بالنسبة للقوات الصليبية ، فأسرع جميع الزعماء الصليبيين – فيما عدا ريموند – ووعده بتسليم أنطاكية له فور الاستيلاء عليها ، وبالفعل أُطلق علي بوهيموند لقب "أمير أنطاكية" بعد الاستيلاء عليها[٥].

وبعد الاستيلاء علي بيت المقدس ، تم اختيار جودفرى البويوني ليكون حاكماً علي المدينة[٦] ، وذلك علي الرغم من المنافسة الشديدة التي كانت بينه وبين ريموند الرابع للوصول إلى حكم بيت المقدس[٧] .

وكانت المشكلة الأولى التي صار على زعماء الصليبيين حلها هي تحديد العلاقة بين جودفرى الذي اتخذ لقب حامي بيت المقدس[٨] و أمير كل من أنطاكية والرها ، حيث تميزت بالغموض حتى قيام قيام مملكة بيت المقدس الصليبية[٩] في عام (١١٠٠م) والتي كانت بمثابة لطمة موجهة لكل من

---

١ – براور الاستيطان ، صـ ٩٧ .

٢ – نفســه ، صـ ٩٤ .

٣ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٣٨ – صـ ٣٩ .

٤ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ ٩ ، صـ ١٥ ؛
Setton, op.cit.,p.372.

٥ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ ١٦٠ ، صـ ١٧٤ .

٦ – الفيتري ، المصدر السابق ، صـ ٣٠ – صـ ٣١ ، صـ ١٤٤ ؛ فورزبورغ ، المصدر السابق ، صـ ٧٤؛
Charles Mills, The History of the Crusades, “for the recovery and possession of the Holy land”, London , 1828, vol. II., P.201 .

٧ – Ibid, PP. 200 - 201

٨ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ١٤٣ ؛ فور زيورغ ، المصدر السابق ، صـ ٧٤ ؛
T.F. tout, M.A., D.litt, op. cit., p.184

٩ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ ٢٢٧ .

الكنيسة والنورمان في أنطاكية الذين كانوا يرون أنطاكية هي عاصمة المسيحية اللاتينية في الشرق[١] .

.

ولم يقتصر نفوذ ملك بيت المقدس علي حدود فلسطين ، بل تعدادها ليشمل الكيانات الصليبية الأخرى في الشرق كالرها وأنطاكية وطرابلس ، حيث ادعى الملك لنفسه السيادة علي تلك الكيانات [٢] ، وذلك علي الرغم مما ادعاه كل واحد من أمراء تلك الوحدات الصليبية من استقلال وسيادة ، إلا أن مملكة بيت المقدس الصليبية تمتعت بأولوية ظاهرة بحكم أوضاعها الدينية والتاريخية[٣].

ولقد اتضح دور ملوك بيت المقدس في حل المنازعات بين أمراء الكيانات الصليبية ، وذلك عندما طلب منه برترام ابن ريموند التدخل لكي يحل النزاع بينه وبين وليم جوردان حول ميراث أبيه بالشام ، وبالفعل استطاع بلدوين الأول أن يقيم الصلح بينهما[٤] ، وأيضاً تدخل لحل الخلاف بين برترام كونت طرابلس وتنكريد أمير أنطاكية[٥] .

وكان من حق الملك عندما يخلو منصب في إمارة من الإمارات – يموت أميرها دون أن يترك وريثاً في سن الرشد – أن يكون وصياً[٦] ، وتمثل ذلك عندما تولى بلدوين الثاني الوصاية مرتين في أنطاكية عام (١١١٩ م) ، عام (١١٣٠ م)[٧] ، وتولى فولك الوصاية علي كونستانس بعد وفاة أبيها أبيها بوهيموند الثاني[٨]. وتولى إملريك الأول الوصاية علي كونتية طرابلس باسم الكونت ريموند الثالث الطفل في الفترة الممتدة من (١١٦٤ – ١١٧١ م)[٩] .

---

١ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٧ ؛

A rmstrong, op. cit., pp. 225- 276.

٢ – T.F.tout , op. cit ., P. 185

٣ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط ٥ ، صـ ٣٨٣.

٤ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، صـ ٢٦٠ ، صـ ٢٧٥ – صـ ٢٧٦ ؛ باركر ، المرجع السابق ،صـ ٥٦ – صـ ٥٧ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، صـ ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

٥ – عاشور ، نفسه ، جـ١ ، ط٥ ، صـ ٢٩٨ – صـ ٢٩٩ .

٦ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ٦٥ – صـ ٦٦

٧ – باركر ، الرمجع السابق ، صـ ٦٥ – صـ ٦٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٤٩٠ .

٨ – رنسمان ، المرجع السابق ، صـ ٤٩٠.

٩ – نفسه ، جـ٢ ، صـ ٤٨٩ .

وأخذت الطبقة العليا من النبلاء تناهض السلطة الملكية ، إلى جانب أنها صارت تعتبر كل القادمين الجدد دخلاء وأجانب ، وتجسدت هذه الكراهية للغرباء في مقاومة مناسيس دي هيبرج والذي يشغل وظيفة كندسطبل عند الملكة ميليسند ويمثل أكثر الناس حظوة عندها ، وأيضاً ما جرى من مناهضة ثيير دي فلاندر Thierryde Flanders ، وهو الصليبي الذي لم لم يستطع أن يقيم له إمارة في الشرق ، وما كان من معارضة ريجنالد شاتيون ، وميلون دي بلانسي Milon Deplancy واللورد جنيبن الذين اعتلى أحدهم عرش بيت المقدس. ولقد برز التنافس بين المستوطنين والقادمين الجدد الذين لم يكن بوسعهم أن يجدوا لهم مكاناً في الشرق إلا بالزواج من إحدى العقيلات الثريات . في حين لم تكن الملكية من القوة لكي تكفل لهم تحقيق أغراضهم دائماً[١] . فمن هؤلاء من فاز أمثال شاتيون ولوزيجنان ، ، ومنهم من جرى إرغامه علي مغادرة البلاد ولوتزوج من إحدى الثريات ، مثل مناسيس دي هيبرج ، وأيضاً منهم من لقى مصرعه مثل ميلون دي بلانس[٢]

[١] – العريني ، نمو طبقة النبلاء الاقطاعيين ، صد ٤٩ – صد ٥٠

[٢] – نفسه ، صد ٥٠

يشغل وظيفة كندسطبل عند الملكة ميليسند ويمثل أكثر الناس حظوة عندها ، وأيضاً ما جرى من مناهضة ثيير دي فلاندر Thierryde Flanders ، وهو الصليبي الذي لم يستطع أن يقيم له إمارة في الشرق ، وما كان من معارضة ريجنالد شاتيون ، وميلون دي بلانسي Milon Deplancy واللورد جنيين الذين اعتلى أحدهم عرش بيت المقدس. ولقد برز التنافس بين المستوطنين والقادمين الجدد الذين لم يكن بوسعهم أن يجدوا لهم مكاناً في الشرق إلا بالزواج من إحدى العقيلات الثريات . في حين لم تكن الملكية من القوة لكي تكفل لهم تحقيق أغراضهم دائماً[١] . فمن هؤلاء من فاز أمثال شاتيون ولوزيجنان ، ومنهم من جرى إرغامه علي مغادرة البلاد ولوتزوج من إحدى الثريات ، مثل مناسيس دي هيبرج ، وأيضاً منهم من لقى مصرعه مثل ميلون دي بلانس[٢]

وكانت سبيلا أخت الملك بلدوين الرابع ووريثة العرش الملكي أبرز مثال علي ذلك بزواجها من أحد القادمين الجدد الأوربيين وهو وليام لونجسورد Longsword ، وبعد وفاته تزوجت من جاي لوزنجنان ، وهكذا انتزعت أثمن هدية من يد النبلاء المحليين ، مما أثار غضب وسخط واحد من أقوى أعضائهم ، وهو ريموند من طرابلس[٣] ، وأيضاً أسفر هذا عن إلحاق التفكك والانقسام في وحدة المملكة الصليبية[٤] .

---

[١] – العريني ، نمو طبقة النبلاء الاقطاعيين ، صـ ٤٩ – صـ ٥٠ .

[٢] – نفســه ، صـ ٥٠ .

[٣] – براور ، الاستيطان ، صـ ٩٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن نزاع ريموند وجاى لوزجنان ، انظر : باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٠٢ – صـ ١٠٣ ؛ السيد الباز العريني ، مصر في عصر الأيوبيين، (مطبعة الكيلاني الصغير) ، صـ ٧٣ ، صـ ٧٤ – صـ٧٦ .

[٤] – براور ، المرجع السابق ، صـ ٩٧ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٧٦٦.

وتحدث ابن القلانسي عن هذه الخلافات بقوله : "وردت الأخبار من ناحية الإفرنج بوقوع الخلف بينهم من غير عادة جارية لهم بذلك ، ونشبت المحاربة بينهم ، وقتل منهم جماعة"[١] ، ويقول الڤيتري : "إنه كانت هناك خلافات كبيرة ومنازعات بين بارونات مملكتنا"[٢] .

ولم تكن بقية الإمارات الصليبية في بلاد الشام أحسن حالاً ، فكانت تعج بالانقسامات الداخلية والخلافات حول الوصاية والوراثة ؛ ففي طرابلس نجد أن بوهيمند الرابع كان يحكمها في الفترة (١١٨٧م – ١٢٣٣ م) ،وأيضاً حكم أنطاكية منذ عام (١٢٠١ م) مهدراً بذلك حقوق ابن أخيه ريموند روبين Raymond Roupen في وراثة إمارة أنطاكية ، وذلك في الوقت الذي ساند فيه ليو الثاني ملك أرمينية ابن شقيقته ريموند روبين ، وعليه انشقت الجبهة الشمالية الصليبية إلى قسمين ولقد أدرك الفرنج أنه من الضروري تسوية هذه المشاكل الداخلية وتوحيد الجبهة الصليبية لكي تنجح الحركة الصليبية نفسها[٣] . مما كشف النقاب عن اشتداد النزاع بين الأمراء الصليبيين مع بعضهم البعض وعجز المملكة الصليبية عن حماية الإمارات الصليبية في شمال الشام[٤] .

وجاء رأي مكسيموس مونروند مخالفاً لما سبق عن وقوع هذه النزاعات داخل مملكة بيت المقدس ، بقوله : " إن جموع الصليبيين أو المسيحيين اللاتينيين الموجودين في المشرق من جهات أوربا ، والذين استطاعوا تكوين أربع إمارات احتوت علي مقاطعات وبلاد واسعة جداً وغنية . وهي إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس الشام ، ومملكة بيت المقدس . وأما مملكة بيت المقدس فكان لها الاتحاد

---

١ – ابن القلانسي ، المصدر السابق ، صـ ٣٧٢ .

٢ – الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ١٤٤ .

٣ – محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية "١٠٩٥ – ١٢٩١م " ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥ م) ، صـ٢٠٠.

٤ – Mills, Op. Cit., P,.58

والمساعدة من جميع المسيحيين الموجودين في الشرق ، وعلي الرغم من ذلك فكان يأتيها المدد والمعونة من بلاد الغرب"[١] .

ويوثق رأي مكسيموس آراء بعض مؤرخي هذه الفترة ؛ حيث أبدى مؤرخ صليبي إنزاله من شدة المحبة المسيحية التي كانت متملكة في تلك البلاد تحت ولاية الأمراء الصليبيين، ويعلل ذلك بأنه في ذلك الوقت بدأت الكنيسة الشرقية تورق وتزدهر وأن الشتاء قد زال والأمطار كفت وشوهدت الأزهار منتشية في أرضها وقد جاء زمان قطف الثمار عن الأشجار[٢]

ويذكر الرحالة ڤورزبورغ دليلاً آخر علي وحدتهم ومحبتهم ، وهو أنهم كانوا يقيمون ذكراً دينياً مقدساً لكل المؤمنين الأموات ، سواءً بإعطاء الصدقات أو بالصلاة ، وخاصة لأولئك الذين خاضوا حادثة الهجوم العنيف علي بيت المقدس ، والذين تقع أماكن دفنهم قرب البوابة الذهبية التي تقع جنوب بوابة الأسباط[٣].

واستكمالاً للحديث عن طبقة الأرستقراطية والعلاقات فيما بينهما ؛ نتحدث عن دور الكنيسة في الكيان الصليبي ، والتي كان لها جناحان أحدهما ديني وهم رجال الكنيسة ، والآخر جناح عسكري يتمثل في الهيئات الدينية العسكرية من اسبتارية وداوية وتيوتون وغيرهم .

وبما أن البابوية هي التي دعت للحروب الصليبية وحددت لهم الهدف الذي يجب الوصول إليه ؛ فإنه كان من المتوقع عقب استيلاء الصليبيين علي بيت المقدس أن تقوم بها حكومة دينية برئاسة أحد رجال الكنيسة . ولكن بعد وفاة إدهمار المندوب البابوي كان من الصعب تحقيق ذلك ، فلم يوجد بين

---

١ - مكسيموس مونروند ، تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب ، (استخراجه عن أصله الفرنسي إلى اللغة العربية / مكسيموس مظلوم ، طبع باورشليم ، سنة ١٨٦٥ م) ، مجـ١ ، صـ ٢٤١ .

٢ - مكسيوس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، ٢٤٣.

٣ - ڤورزيورغ ، المصدر السابق ، صـ ٧٢ .

صفوف الصليبيين بالشام شخصية كنيسة لها من المكانة والنفوذ ما يساعد علي تحقيق هذا[١] . ومع ذلك فإن جودفرى أول حاكم صليبي لبيت المقدس لم يتخذ لقب ملك وإنما اكتفى بلقب (حامي القبر المقدس)[٢] Advocatus Sancti Sepulcheri[٣] ، الذي مثل اعترافاً بأن الدولة الجديدة التي أقامها الصليبيون في فلسطين ، ولم تكن لها الصفة العلمانية البحتة وإنما لها الصفة الدينية أيضاً التي جعلت للكنيسة نوعاً من الإشراف عليها[٤] .

واختير أرنولف ليكون بطريركاً (في أغسطس ١٠٩٩ م ، والذي رحب بأن يكون تابعاً لجودفرى ، ولكن دايمبرت و بوهيموند أصرا علي عزله من منصب البطريرك علي أساس أن انتخابه لم يكن يتفق مع القانون الكنسي ، وبالفعل تم عزل أنرولف[٥] وتولى دايمبرت كرسي البطريركية في (ديسمبر ١٠٩٩ م) ، وركع أمامه جودفرى وبوهيموند وتلقيا منه تقليداً بأراضي بيت المقدس وأنطاكية ؛ فأصبح بطريرك بيت المقدس من الناحية النظرية السيد الأعلى في الأراضي المقدسة وممثل المسيح فيها[٦] .

---

١ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ٤٣ – صـ ٤٤ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ ٢١٧ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ١٩٣ .

٢ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ١٤٣ ، صـ ١٩٣ ؛ الفيتري ، المصدر السابق ، صـ ٣٠ – صـ٣١ ، صـ ١٤٤ ؛ ڤورزبورغ، المصدر السابق ، صـ٧٤ ؛

Mills, Op. cit., P.201

٣ – باركر ، المرجع السابق ، صـ٤٣ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ ٢١٧ .

٤ – باركر ، المرجع السابق ، صـ٤٣ ؛ مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ١٩٤ ؛

Armstrong, op .cit., P. 275 ; T.F. tout, op.cit., P. 184.

٥ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ١٤٩ – صـ ١٥٠؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ ٤٤ – صـ٤٥ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١، ط٥ ، صـ ٢٢٠ – صـ ٢٢١ ؛ مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ١٩٤ – صـ ١٩٥؛

Armstrong, op .cit., P. 276 ; Setton, Op.cit., P. 377

٦ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ١٧٢ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٢٢٠ – صـ٢٢٢ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ١٩٤ – صـ ١٩٥ ؛

Setton, Op.cit., P.377

ولم يكتف دايمبرت بذلك بل أراد السيطرة علي القدس ذاتها ، فقام جود فرى بمنحه إياها ولكن بشرط أن يبقى حائزاً لها حتى وفاته أو حتى ينتزع من المسلمين مدينتين كبيرتين[١]

وبعد موت جودفرى أراد دايمبرت أن يستغل الفرصة – بخاصة أن جود فرى لم يترك وريثاً مباشراً – ليسيطر علي الحكم ، ولكن محاولاته باءت بالفشل. واستطاع بلدوين أن يتوج ملكاً علي بيت المقدس بيد دايمبرت نفسه ، وبناء عليه تأسست مملكة بيت المقدس في عام (١١٠٠م) ، وزال كل احتمال لقيام حكومة ثيوقراطية[٢] .

ولعل ما جرى بين بلدوين الأول ، ودايمبرت يوضح لنا طبيعة العلاقات بين الدولة والكنيسة في مملكة بيت المقدس ، ويتحدث وليم الصوري أيضاً عن بعض النزاعات بين رجال الدين أو الكنيسة وملوك بيت المقدس ، فيذكر المشكلات التي كانت بين بلدوين الثاني والراهب "ستيفن " الذي تم تنصيبه بطرك بدلاً من جورموند ؛ فدبت العداوة بينهما ووصلت إلى حد خطير مما افسد ما كان بينهما[٣] ، ولكن وفاة ستيفن وضعت حداً لهذه الخصومة[٤]. وبالرغم من ذلك فإن البطاركة بعد دايمبرت باستثناء البطريرك ستيفن كانوا أوفياء إلى حد ما للملوك ومن المؤيدين لهم[٥].

وتميزت الأديرة والكنائس التي كانت للصليبيين بوفرة ثروتها واتساع أملاكها ، وذلك لأنها فازت بنصيب الأسد من امتلاك الأراضي والأموال إلى جانب الهبات والهدايا التي كانت تمنح لهم ، ويمثل دير جبل صهيون* في بيت المقدس أبرز الأمثلة علي ذلك فقد امتلك في عام (١١٧٨م) حياً بأكمله في مدينة بيت المقدس ،

---

١ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ١٧٣ – صـ ١٧٤ .

٢ – نفسه ، جـ٢ ، صـ ١٩٦ – صـ ٢٠١ ، صـ ٢٠٩ – صـ ٢١٠ ؛ باركر ، المرجع السابق صـ ٤٥ – صـ ٤٦ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٢٢٧ – صـ ٢٣٣ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ١٩٥ – صـ١٩٩ ؛ Armstrong, op .cit., P. 277

٣ –الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٦٧ – صـ ٦٨ ؛

Setton, Op.cit., P.379

٤ – نفسه ، جـ٣ ، صـ ٦٧ – صـ ٦٨ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ ٤٧ .

٥ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ٨٢ .

* – لمعرفة المزيد عن دير جبل صهيون ، أنظر : أحمد دراج ، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ م) .

وكان له أيضاً ممتلكات وأراضٍ وبساتين وأسواق في عسقلان ويافا ونابلس وقيسارية وعكا وصور و أنطاكية وقليقية ، وهذا إلى جانب أن ممتلكات الكنيسة كانت معفاة من الضرائب[١] .

وكان لنساء البيت الحاكم دور كبير في تقديم الهبات إلى الكنائس والأديرة ، ولم يقتصر دورهن علي ذلك بل قامت إحداهن ببناء دير ليكون مقراً لعبادة المرأة داخل المملكة اللاتينية ، وهي ميليسند ابنة بلدوين الثاني ، وعرف باسم بيثاني[٢] .

وعن الجناح العسكري للكنيسة داخل المملكة اللاتينية فقد تمثل في الهيئات الدينية العسكرية التي جمعت بين حياة الرهبانية والفروسية[٣] . وبظهور فرق الرهبان الفرسان في الشام ظهر بوضوح ذلك الخليط الغريب من الأهداف والنوايا ، فقد بدأت هذه الفرق الأرستقراطية الصغيرة بأهداف خيرية وإنسانية متمثلة في إيواء الفقراء من الحجاج المسيحيين وعلاجهم [٤]وحراستهم علي الطرق المؤدية إلى الأماكن

---

١ – عاشور ، المرجع السابق ، صـ ٣٨٨ – صـ ٣٨٩

٢ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٢١٢ ، صـ ٢١٤ ؛ الفيتري ، المصدر السابق صـ ٧٢ – صـ٧٣ ؛ ڤورزبورغ، المصدر السابق ، صـ ١٦ .

٣ – جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ م) ، ط٢ ، صـ ٦٩ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ ٥٥ .

٤ – الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٨٧ ، صـ٩٣ – صـ ٩٥ ؛ جوناثان رايلي سميث ، الإسبتارية " فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص " ١٠٥٠ – ١٣١٠م" ، (ترجمة / صبحي الجابي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٩ م)،ط١، صـ٥٤ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام " السياسي والديني والثقافي= والاجتماعي " " العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (٤٤٧ – ٦٥٦ هـ / ١٠٥٥ – ١٢٥٨م) ، (مكتبة النهضة الإسلامية ، ١٩٦٧ م) ، جـ٤ ، ط١ ، صـ ٢٤٨ ؛ مكسيموس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ ١٩٥ – صـ ١٩٦ ؛ نبيلة إبراهيم مقامي ، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام " في القرنين الثاني عشر والثالث عشر " ، رسالة ماجستير منشورة (آداب القاهرة) ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، صـ ٢

المقدسة[١] ، ولكن تغيرت هذه الأهداف ، وبخاصة بعد أن قويت هذه الفرق وزاد ثراؤها واستقلالها ، فأصبحت كل منها يمثل دولة داخل الكيان الصليبي ببلاد الشام[٢] .

وكانت هيئة الإسبتارية أقدم هذه الهيئات فربما يعود تكوينها في بلاد الشام إلى قبل مجيء الصليبيين إلى المنطقة[٣] ، وكانت هذه الهيئة تابعة لبابا روما مباشرة[٤]. ونالت هذه الهيئة هبات عديدة من ملوك وأمراء المملكة اللاتينية[٥] ، حيث صارت هذه السياسة سياسة عامة اتبعها ملوك بيت المقدس نحو التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام ، وبخاصة عندما تقوم هذه التنظيمات بأداء دورها في خدمة النشاط الصليبي[٦] .

---

١ –الحويري ، المرجع السابق ، صـ٥٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢، ط٢ ، صـ ٥٠٢

٢ – محمد مؤنس ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية " في القرنين السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، (آداب عين شمس) ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ ٧ .

٣ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ ٢٠ ؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م) ، جـ٦ صـ٣٣ ؛ العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي " ٥١٩ – ٥٩٧" ، (تحقيق وشرح وتقديم / محمد محمود صبح) ، صـ٦٢ ؛ شافع بن الكاتب العسقلاني المصري " ٦٤٩ – ٧٣٠هـ" ، الفضل المأثور " من سيرة السلطان الملك المنصور " ، (تحقيق / عمر عبدالسلام تدمري ، نسخة مكتبة البودليان (أكسفورد) رقم ٤٢٤ ، المكتبة العصرية ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م) ، ط١ ، صـ ١٤١ ؛ وليم الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٣٨٣ – صـ٣٩٢ ؛ ڤورزبورغ ، المصدر السابق ، صـ٥٢ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٨٦ – صـ ٨٧ ؛ جوزيف نسيم العرب والروم ، ط٢ ، صـ٦٩ ؛ عارف العارف ، تاريخ القدس ، (دار المعارف بمصر) ، صـ٧٥ ؛ فيليب حتى ، المرجع السابق ، صـ ٣٧١ ؛ مكسيموس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ١٩٣ ؛

Setton, Op. cit., P. 385

٤ –جوناثان رايلي ، المرجع السابق ، صـ٧ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٢٤٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٤٠١ ؛

Mills, OP.cit ., P. 59

٥ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ٥٨ ، صـ ٦٣ ؛ رايلي ، المرجع السابق ، صـ ٣٨٢ – صـ ٣٨٤ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ ١١ .

٦ – Mills, OP. Cit., PP. 59 - 60

وحصلت هيئة الداوية[١] علي هبات من ملوك وأمراء المملكة اللاتينية ، فحصلت علي الكثير من الأملاك والمنح والإقطاعات في الأراضي المقدسة وأصبحوا يشكلون خطراً علي المسلمين ، فاشتركوا في جميع الحروب التي كان يشنها ملك بيت المقدس ضد المسلمين[٢] .

ولقد انتشرت بيوت الاسبتارية والداوية ، التي كان يشرف علي كل منها مقدم ، ويمكن تشبيه كل بيت بالمستعمرة التعاونية التي تتوافر بها كل الإمكانيات الضرورية للحياة من حيث القوة البشرية ووسائل الإنتاج والمهن الحرفية ، وهذا إلى جانب أن هذه البيوت كانت تعتبر مراكز لتعبئة وتجنيد الشباب[٣] .

---

١ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ١٩ ؛ ابن تغرى بردي ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ٣٣ ؛ الحافظ شمس الدين الذهبي " ٦٧٣ – ٧٤٨ هـ " ، دول الإسلام ، (تحقيق / فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، جـ٢ ، صـ٨٨ ؛ الأصفهاني ، المصدر السابق ، صـ٦٢ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣٤٥ ؛ ڤورزبورغ ، المصدر السابق ، صـ٥٢ ؛ شافع ابن الكاتب المصري ، المصدر السابق ، صـ١٦١ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٧٢ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٢٤٩ ؛ زكي النقاش ، الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع ، رسالة دكتوراة ، (آداب القاهرة) ، ١٩٥٢م/١٩٥٣م ، صـ٢١٠ – صـ٢١١ ؛ عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٥ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١، ط٥ ، صـ٤٠١ ؛ فيليب حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٦٨ ؛ محمد محمود النشار ، "نشأة جماعتي الرهبان الفرسان الاسبتارية والدواية في المماليك المسيحية الأسبانية والبرتغالية ودور ها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال (ق١٢م – ٦ هـ)" ، مجلة كلية الآداب ، جامعة طنطا ، العدد السابع ، يناير ١٩٩٤ ، صـ٤٥ ؛ مكسيموس مونرود ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ١٩٣ ؛ محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية " في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ – ١١٨٠ م " ، (دار المعارف ، ١٩٨٥) ، صـ١٩٨ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ١٤ – صـ١٥ ؛

Armstrong, Op. cit., P. 282 , Setton, OP. cit., P. 385; A history of the crusades “ The later crusades” 1189 - 1311”, university of Pennsylvania press, vol. II, PP.534 – 537; Norman Housley , The later crusades “ 1274 - 1580” ,” from Lyons to Alcazar “, Oxford university press, 1992, P.17

٢ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ١٩ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣٤٥ – صـ٣٤٦ ؛ ڤورزبورغ ، المصدر السابق ، صـ٥٢ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٢٤٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٥٤٧ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ١٨ ، صـ٣١ .

٣ – جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي علي بلاد الشام "هزيمة لويس التاسع في الأرض المقدسة" ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩م) ، ط٤ ، صـ٣٢٥ – صـ٣٢٦ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٦٣ – صـ٦٤ ؛

Mills, OP. cit., PP. 60 - 61 .

وإلـى جانـب الداويـة والاسـبتارية كانـت هنـاك هيئـات أخـرى منهـا التيوتـون[١] ، وهيئـة القـديس لازاروس[٢]، وهيئة كنيسـة القيامـة[٣] وهيئة فرسـان القديس جورج of St. George[٤] وهيئـة مونتجوي L'ordre de Montjoye[٥] ، ومنظمة القديس توما Order of St. Thomas[٦] .

وربمـا يعـود الفضـل إلـى معظـم الهيئـات الدينيـة الحربيـة الكبيرة فـي الحفـاظ علـي الـروح الصـليبية للصليبيين بما قدموه من خدمات ومساعدات ، وذلك خلال فترة الضعف والانحلال التي مرت بها مملكة بيت المقدس[٧] .

أما عن طبقة عامة المحاربين من الصليبيين ، وهؤلاء كانوا عبارة عن عامة الصليبيين الذين لم ينتموا إلى الفرسان والنبلاء ، الذين شاركوا في الحركة الصليبية ، وكانوا يؤلفون فرق المشاة في الجيش الصليبي[٨] ، ولقد لجأ هؤلاء إلى الزواج من المسيحيات الوطنيات[٩] ، ويبرر براور ذلك ؛ بأنهم عندما جاءوا إلى بلاد الشام تركوا عائلاتهم خلفهم في أوربا[١] .

---

١ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ٥٨ ، صـ٦٩ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ١٣ ، صـ١١١ ، صـ١١٨ ، صـ١٢٦ – صـ١٢٧ ، صـ١٣١ ؛ جـ٢ ، صـ٣٤ ؛ جـ٣ ، صـ٢٩٧،صـ٣٨٢ ؛ جـ٤ ، صـ٢٥٩ ، صـ٣٢٤ ؛ القيترى ، المصدر السابق ، صـ٨٥ ؛ أسامة زكي ، صيدا " ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي " ، (تقديم / جوزيف نسيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م) صـ٢٢١ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٧٢، صـ١٢٢؛ فيليب حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٦١ ؛ مكسيموس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ١٩٣ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ١٩ ، وليام لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، (أشرف علي الترجمة / محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة المصرية) ، جـ٢ ، صـ٥٨٨ – صـ٥٨٩ ؛

T.S.R. Boase, Castles and churches of the crusading kindom , London, 1967, P. 108 ; Setton, OP. Cit., Vol. II , PP. 538- 596

٣– الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٧٣ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ١٤٦ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ٢٠ .

٤– نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ.٢٠

٥– نفســـه ، صـ.٢٠

٦– الحويري ، المرجع السابق ، صـ٧٢ .

٧– الحويري ، المرجع السابق ، صـ٧٢ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ.٢٠

٨– الحويري ، المرجع السابق ، صـ٦٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط ٢ ، صـ٥٠٠ .

١– عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٩٤ .

٢ – براور ، المرجع السابق ، صـ٩٢ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٦٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق

ونتج عن هذا التزاوج بين الصليبيين الغربيين والمسيحيين الشرقيين المحليين طبقة الأفراخ البولانيين [٢] ، ويقول الڤيتري عن كلمة بولان من Pullan* التي أطلقت على هذا الجيل الجديد إنها مشتقة من أبوليا A pulia الواقعة جنوب إيطاليا ، والتي تم استقدام الأمهات إلى الأراضي المقدسة ، وتزويجهن من الصليبيين الذين استقروا بعد الحملة[٣] ، وأطلق عليهم أيضا الحمقى [٤].

ويتحدث يعقوب الڤيتر ي عن حياتهم ؛ فيقول إنهم كانت لهم حياتهم المنزلية وعلاقاتهم الأسرية والتي كانت انعكاساً لأوربا أو لفرنسا علي وجه التحديد[٥] . ويتحدث براور عن حياتهم الزوجية في موضع آخر ، بأنهم كانوا لا يأخذون زواجهم مأخذ الجد ، ويعلل ذلك بأنهم كانوا لا يعتبرون الزنا خطيئة قاتلة ، فإنهم منذ الطفولة وهم مدللون ومستسلمون للملذات الحسية ، وأيضاً لا يتعودن علي سماع عمل الرب ، وهناك من هربوا من أوطانهم بسبب خطاياهم العديدة ، وبالطبع فإن هؤلاء الذين لا يخشون الله يستطيعون تدمير المدينة بأسرها[٦]. ولكن علي الرغم من ذلك نجد أن يعقوب الڤيتري يتحدث عن الشدة والصرامة التي كان يعامل بها البولوني زوجته[٧].

ومهما كان الأمر فإن البولانيين دليل واضح علي أن البيئة الشرقية أذابت عدداً من الغربيين الأوروبيين في بيئتها و هضمتهم وجعلتهم قسماً من كيانها القومي ؛ فليس بغريب أن نشاهد في الوقت

جـ١ ، طـ٥ ، صـ٣٩٤ .

٣- براور ، المرجع السابق ، صـ٩٢ .

٤- الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ١٦ ، صـ٩٧ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ٩٢ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٨٠ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ٤٦٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، ج١ ، طـ٥ ، صـ٣٩٤ ؛ نظير حسان سعداوي ، الحرب والسلام ، " زمن العدوان الصليبي "، (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١م – ١٣٨١هـ)، صـ١٧٣؛

T.F. tout. , op. cit. ,p.195.

* – وتفسر أيضاً كلمة بولان بأنها مشتقة من اللغة العربية ابن فلان ؛ الڤيتري المصدر السابق ، صـ١٠٧ .

٥- الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ٩٧ ؛ براور ، المرجع السابق ، ص ٩٢.

٦- الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ.١٠٧

٧- نفسه ، صـ١٦ ، صـ١٧.

١- براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٥٣ .

٢- الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ١٠٦ .

الحاضر نساءاً ورجالاً من ذوي العيون الزرق والشعر الأشقر في مدن مثل أهدن في شمال لبنان وبيت لحم ، وذلك إلى جانب بعض العائلات التي احتفظت بتقاليد انحدارها عن أسلاف فرنجية مثل عائلة كرم وفرنجية وصليبي[١] .

وكان البولانيون علي استعداد لعقد الصلح مع المسلمين ، والعيش معهم في سلام حيث كان هذا يسرهم ، وفي حالة حدوث مشاجرات داخلية بين البولانيين فإنهم كانوا يفضلون طلب المساعدة من المسلمين بدلاً من الصليبيين ، ولقد عارضوا وصول الوافدين الجدد من الصليبيين ، وربما يعود ذلك إلى أن الحرب سوف تتدخل في شئونهم ، وتعمل علي تعطيل مصالحهم التجارية مع المسلمين[٢] ؛ و يتضح ذلك مما ذكره الفيتري بأنهم كانوا يفضلون الانغماس في كسلهم وإشباع رغباتهم الدنيوية و الجسدية علي قتال المسلمين. إلى جانب نهبهم الحجاج من خلال الضرائب الباهظة التي كانوا يحصلونها من أجل أعمالهم وتصريف العملة وأنواع أخرى من التجارة[٣] .

وبالنسبة لطبقة الأحرار البورجوازية Bourgesses ، فكانت تحتل درجة أقل من درجة النبلاء والفرسان في سلم الحكومة الصليبية[٤] ولقد أُطْلِق مصطلح (برجوازية) علي طبقة العامة من الفرنجة ، وانتشر هذا الاسم في المصادر العربية المعاصرة أنذاك[٥] ؛ فلقد تحدث عنهم ابن منقذ وقال أن لفظ البرجوازية (البرجاسية) فرنسي استعمل في اللغات الأوربية بمعنى صغار التجار والفعلة والصناع أو بمعنى أدق الطبقة الوسطى[٦] التي كانت تشمل أشراف المدينة ، ولقد اختلفت هذه الطبقة عن شبيهتها في المدن الأوربية فسكان المدن من الفرنجة لم يصبحوا أبداً سادة الاقتصاد الوطني علي نحو ما حدث

---

١ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ٨٢ ؛ سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٧٣ ، صـ١٧٤ .

٢ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ٨١ .

٣ –الفيترى ، المصدر السابق ، صـ١٠٦ – صـ١٠٧ .

٤ – براور ، عالم الصليبين ، صـ ١٣٥ ؛ الاستيطان الصليبي ، صـ٩٩ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٨٣.

٥ – يبدوا أن هذه الكلمة كانت مشتقة في أوربا من كلمة البرج Bourg أو الضاحية Suburb-borough ، وهي الأبراج الأبراج التي كانت تنتشر بالقرب من الأماكن المحصنة في المناطق الجديدة ، وللمزيد انظر : براور ، المرجع السابق ، صـ ٩٩ – صـ١٠١.

٦ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / السامرائي) ، صـ ١٣٥ .

لرفاقهم الأوروبيين ، ويرجع السبب إلى أن أكثر المهن ربحاً هي التجارة الدولية[١] التي كانت حكراً علي الإيطاليين والبروفنساليين وأهل قطالونيا . أما طبقة الأشراف الصليبية فقد وصلت إلى السلطة من خلال القنوات الإدارية ، فوصلت بعض الأسر إلى السلطة من خلال القنوات الإدارية ، فوصلت بعض الأسر إلى السلطة في حاشية البطرق والملك والأسقف والسيد الإقطاعي الكبير في عكا وبيت المقدس[٢] .

وكانت الأملاك الفعلية لطبقة العامة الفرنجية تعتبر أملاكاً برجوازية ، فوصلت في العصور الوسطى إلى الملكية الكاملة بصرف النظر عن الخدمة العسكرية ؛ فكان البرجوازي يتمتع بحرية بيع أملاكه للغير أو تأجيرها أو تقسيمها أو استبدالها بأخرى ، وذلك علي الرغم من بعض القيود والقوانين القديمة التي كانت تحافظ علي حقوق الأقارب ، مثل قانون الحق الذي عرف باسم قانون الشفعة – أي الأولوية في شراء هذه الممتلكات البرجوازية – والذي ظل سارياً في المملكة اللاتينية، ولكن اختصرت مدة فاعليته إلى مدة لا تزيد عن أسبوع بعد إعلان عملية البيع ، وهذه مدة قصيرة جداً عن التي كانت تطبق في أوربا العصور الوسطى والتي كانت سنة و يوماً بعد تحرير العقد[٣] .

وبغض النظر عن اكتساب الممتلكات والأملاك فإن البرجوازية نهضوا بأعمال بارزة في الإدارة الصليبية أو الإقطاعية أو في وظائف الإدارة الكنسية ؛ فنجد بعض أفراد طبقة البرجوازية يوقعون ويعتمدون الوثائق الملكية أو الكنسية ، تلك الوثائق التي كانت تتعلق بأمور الحياة اليومية ، أو التي كانت ذات مضمون سياسي[٤] ، وتقلد بعض أفرادها مناصب القضاء ، وأصبحوا أعضاء في المحكمة

---

١ – براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٣٥ ؛ رنسمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ٢٤٧ ؛ جـ٣ ، طـ٢ ، ٦١٦ .

٢ – بروار ، المرجع السابق ، صـ١٣٥ .

٣ – براور ، الاستطان الصليبي، [illegible] ١ ، صـ ١٠٣.

٤ – براور ، المرجع السابق ، صـ١٠٤ ، صـ١٠٧.

البرجوازيــة[١] ، والتــي تألفـت مـن اثنــي عشـر مـن المحلفـين برئاســة موظـف ملكـي يـدعى الفيكونـت Vicomte ، واستطاع البرجوازية أيضاً الوصول إلى رتبة الفارس وذلك بمساعدة ملوك بيت المقدس[٢]

***

وتبدأ علاقات الصليبيين مع المسلمين بدخول الصليبيين إلى منطقة بلاد الشام وإنشائهم لإمارة الرها ، والتي مثلت أول إمارة صليبية بالشرق[٣] ؛ فعاش فيها الصليبيون قلة قليلة ، ولذلك اعتمد كونتها علي موظفين من الأرمن[٤] .

---

١ – نفســه ، صـ ١٠٤ – صـ ١٠٥ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٨٣ .

٢ – نفســه ، صـ ٨٣ .

٣ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٣٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ الزمان ، صـ ١٥٨ ؛ فوشيه الشارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥ – ١١٢٧) ، (نقله إلى العربية / زياد جميل العسلي ، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية / الأخت فرنسيس رتياريان ، حرره وقدمه / هارولد س – فنك ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م) ، ط١ ، صـ١٢ ؛ Jay williams, Knights of The Crusades, New Yourk 1962 , P.46 ; Adams , OP. cit., P. 90 ; Otto of freising And Hiscontinutor, Rahewin, The Deeds of frederick Barbarossa, New Yourk, 1953, P.71

٤ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢، ط٢ ، صـ ٤٩١.

وأما أنطاكية فكان معظم سكانها من المسيحيين ، بالإضافة إلى أقليات من اليونانيين والأرمن والمسلمين[١] . وبعد دخول الصليبيين إليها[٢] نهبوا من فيها من عرب وأتراك[٣] ، ووصل بهم الأمر إلى نبش جثث المسلمين من قبورهم وقيامهم بتشويهها ، وقيل إن ابن الأمير السلجوقي وقع في أيديهم فطلبوا تسليم المدينة فداء له ،وعندما أبت أسرته تلبية طلبهم أذاقوه أشد أنواع العذاب ، ثم قاموا بذبحه علي أسوار المدينة أمام والديه وسكان المدينة[٤] ، ويبرر هذا قيام البعض من سكان المدينة بتركها والهجرة منها خشية بطش عدو لا يرحم[٥] .

ولم يختلف الوضع داخل بيت المقدس عن ذلك بل يمكننا اعتباره أبشع مما حدث في أنطاكية ؛ فبدخول الصليبيين إلى المدينة استمر القتال أسبوعاً كاملاً ، حتى إنهم فتكوا بالعلماء والأئمة والزهاد[٦] .

.

---

١ -بروار ، عالم الصليبيين ، صـ ١١٩ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ١٥٧ ؛ فتحية النبراوي ، العلاقات السياسية الإسلامية " وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى(١٠٠٠ م – ١٣٠٠م)" ، (دار التضامن للطباعة ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م) ، ط١ ، صـ١٤٢.

٢ – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ ٣٠٧ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، صـ١٦٣ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢، صـ ١٨ ، صـ ٥٢ ؛ سعيد أحمد برجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ، (منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م) ، ط١ ، صـ ١٢٨ ؛ سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، صـ٢٨٥ ؛ سيد علي الحريري ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، (المطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٧هـ- ١٨٩٩م) ، صـ٢٠ ؛ الشارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس ، صـ٥٧ – صـ٥٨ ؛ محمد مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع علي مصر " وهزيمته في المنصورة " ، (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ، ط١ ، صـ٣ ؛
Setton, Op. cit., P.387; Vol. II , P. 533 ; T.f.tout, op., cit., P.183 .

٣ – ابن العبري ، تاريخ الزمان ، صـ١٢٣ ؛ تاريخ أبي يعلي حمزة ابن القلانسي ، زيل تاريخ دمشق " تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي ، سبط ابن الجوزي ، الحافظ الذهبي ، (طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨) صـ١٣٥ ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، جـ٢ ، صـ ١٠ ؛ مكسيموس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ١١٤ – صـ١١٥ .

٤ – سيد أمير علي ، المرجع السابق ، صـ٢٨٥ – صـ٢٨٦

٥ -مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ١١٤

٦ – التطيلي ، المصدر السابق ، صـ ٣٣ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ ٩ ، صـ ١٩ ؛ الحنبلي ، الأنس الجليل ، ، ج١ ، صـ ٣٠٧ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، ط١ ، صـ ١٠٧ ؛ جمال الدين أبي الحسن بن غازي

ولقد تركت مذبحة بيت المقدس أثراً سيئًا في نفوس الكثيرين[١] ، حيث لم يختلف اثنان من المؤرخين – لا من الفرنجة ولا من المسلمين – في استفظاع المنكرات التي اقترفها الصليبيون ، والتي أقل ما قيل فيها إنها يندي لها جبين الدهر، وإنها مناقضة لتعاليم السيد المسيح الذي زعموا أنهم جاءوا لنصرته[٢] .

وكان فوشيه الشارتري ممن جاءت في كتابتهم أدلة علي بشاعة ما حدث وذلك عندما يذكر أنهم قاموا بإشعال النيران في جثث الشرقيين وذلك لتسهيل حصولهم علي الدنانير الذهبية التي ابتلعها الشرقيون وهم علي قيد الحياة[٣] ، وذلك بدلاً من أن يبقروا بطونهم للحصول عليها[١].

الحلبي (٥٦٧ – ٦١٣هـ / ١١٧١ – ١٢١٦ م) ، أخبار الدول المنقطعة " تاريخ الدولة العباسية" ، (تحقيق ودراسة / محمد بن مسفر الزهراني ، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م) ، صـ ٢٨٢ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ ٢١ ، صـ ١٨٤ ؛ مجـ٥ ق١(٩) ، صـ٤٤ ؛ الذهبي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢١ ؛ وليم الصوري ، المصدر السابق ، صـ٧ ؛ غرس الدين خليل الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، (اعتنى بتصحيحه / بولس روايس ، طبع في مدينة باريس بالمطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤م) ، صـ١٩ ؛ ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، صـ٣٤٤ ؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، جـ١ ، صـ٢١١ ؛ القرماني ، المصدر السابق ، مجـ٢ ، ط١ ، صـ١٦٧ ؛ مجـ٣ ، صـ٣١٧ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٧٦ ؛ الحافظ أبي الخطاب " المعروف بذي النسبين " كتاب النبراس " في تاريخ خلفاء بني العباس " ، (صححه وعلق عليه/ عباس العزاوي ، مطبعة المعرف – بغداد ، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م) ، صـ١٤٥ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١١ ؛ أحمد بن إياس الحنفي " بدائع الزهور في وقائع الدهور " ، (المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، ١٣١١هـ) جـ١ ، ط١ ، صـ٦٢ ؛ جـ١ ، ق١ ، ط٢، صـ٢٢٠ ؛ ابن أسعد ابن علي اليافعي اليمني (ت ٧٦٨) ، مرآة الجنان وعبر اليقظان ، (مطبعة دائرة المعارف النظامية) ، جـ٣ ، صـ١٥٤ ؛ عبدالباسط فاخوري ، تحفة الأنام " مختصر تاريخ الإسلام " ، صـ١٦١ ؛ جان موريس ، المرجع السابق ، صـ٣١٥ ؛ خليل سركيس ، تاريخ أورشليم في القدس الشريف " يتضمن كل ما جرى فيها منذ عرفت إلى الوقت الحاضر " (طبع بمطبعة المعارف في بيروت ، ١٨٧٤م) ، صـ١٧٣ ؛ عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٣ ؛ كرد علي ، خطط الشام ، جـ١ ، صـ٢٨١ ؛

T.f. Tout., op. cit ., P.183.

[١] – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٧ ، صـ٩٣–صـ١٠٤ ؛ ڤورزبورغ ، المصدر السابق ، صـ٧٢ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ٢٣ ؛ عبدالعزيز عبدالدايم ، بيت المقدس في العصر الأيوبي "٥٦٧ – ٦٤٨هـ/١١٧١ – ١٢٥٠م" ، (دار الثقافة العربية ١٩٨٩م) ، صـ٧٣.

[٢] – ابن الأثير ، الباهر ، صـ٣٢– صـ٣٣ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٩٣–صـ١٠٤، صـ١٠٨–صـ١٢٩ ؛ عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ ٧٣ ؛ محمد كرد علي ،المرجع السابق ، ط١ ، صـ٢٨٢ ؛

Armstrong, op. cit., P.275

[٣] –الشارتري ، المصدر السابق ، ط١، صـ١١ – صـ١٢ ، صـ٧٥

ويمكننا اتخاذ بيت المقدس أبرز مثال علي ما كان يفعله الصليبيون بكل مدينة يدخلونها في بلاد الشام ، فبعد استيلائهم علي المدينة كان أول من يدخل بيتاً يسكنه ويمتلك كل ما فيه كما لو كان بيته وبهذا أصبح الكثير من الفقراء أغنياء[٢] ، ويوضح ذلك ما ذكره صاحب أعمال الفرنجة ، من أن الفرنجة انطلقوا في جميع أنحاء المدينة يستولون علي الذهب والفضة والجياد والبغال ونهب البيوت الممتلئة بالثروات[٣] ، وذلك إلى جانب ما استولوا عليه من عند الصخرة[٤] ، وقاموا بهدم المساجد وقبر الخليل وأحرقوا المصاحف[٥] ، ولم يكتفوا بذلك بل حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة لاتينية أطلقوا عليها "معبد السيد" Templum Domini[٦] ، واستخدموا المسجد الأقصى لمصالحهم وأطلقوا عليه باللاتيني اسم "معبد سليمان" Templum Solomonis[٧].

وعليه فلم يختلف ما أحدثه الصليبيون في بيت المقدس عما حدث منهم في معرة النعمان[٨] و سروج[١] و أرسوف[٢] و قيسارية[٣] وجبيل[٤] ،

---

١ –– نفسه ، ط١ ، صـ٧٥ ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، (نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) صـ٣٢٥.

٢ – الشارتري ، المصدر السابق ، صـ٧٦ ؛ موندوند ، المرجع السابق ، مجـ١ صـ١٧٥ – صـ١٧٦ ؛
Armstrong, op. cit., P. 274

٣ – أعمال الفرنجة ، (ترجمة / حسن حبشي) ، صـ١١٨ .

٤ – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٠٨؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، مجـ٥ ق١ (٩) ، صـ٤٤ ؛ جـ٥ ، صـ٢١ ، صـ١٨٤ ؛ ابن العبري ، تاريخ الزمان ، صـ١٢٥ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٠٧ ؛ ابو الفداء ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢١١ ؛ القرماني ، المصدر السابق ، صـ٣١٨ ؛ أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت سنة ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، (مكتبة المعارف ، ١٩٨١ م – ١٤٠١ هـ) ، جـ١٢ ، ط ٣ ، صـ٢٦٧ ؛ ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ١ ، ط١ ، صـ٦٢ ؛ جـ١ ق١، ط٢ ، صـ ٢٢٠ ؛ اليافعي اليمنى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ١٥٨ .

٥ – محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٢٨٢ .

٦ – الأصفهاني ، المصدر السابق ، صـ١٤١ ؛
Armstrong, op.cit . , P.277 .

٧ – جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين ، صـ٢٦٣ ؛ الوحدة وحركات اليقظة العربية " إبان العدوان الصليبي" ، (دار المعارف ، ١٩٦٦م) ، ط١ ، صـ١٦ ؛ عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٤ ؛ عبدالمنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب " في العصور الوسطى " ، (مكتبة الجامعة العربية بيروت ، ١٩٦٦ م) ، صـ١٤٩ .

٨ – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٠٧ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ١٨٤ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢، صـ٣٥ – صـ٣٨ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٠٥ ؛ أعمال الفرنجة ،

وعكا[٥] وطرابلس[٦] .

وبـــذلك تضـــح دوافـــع الحركـــة الصـــليبية ، والتـــي عملـــت علـــي جعـــل العـــالم العربـــي منطقـــة نفـــوذ ومجـــالا حيويـــا للتوســـع الكـــاثوليكي علـــي حســـاب الإســـلام والمســـيحية الشـــرقية . وبنـــاء عليـــه منـــع الصـــليبيون المســـلمين مـــن العـــودة والاســـتقرار فـــي القـــدس وتم ذلك بمقتضى مرسوم رسمي[٧] .

المصدر السابق ، صـ١٠٥– صـ١٠٦ ؛ أبو الفداء ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢١١ ؛ القلانسي ، المصدر السابق ، صـ١٣٦ ؛ اليافعي اليمنى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ١٥٤ ؛ محمد كرد علي ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٢٨١

١ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ٤٣ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ٢٨٦ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣١ ؛ ابن القلانسي ، المصدر السابق ، صـ١٣٨ ؛ ابن الوردي ، تتممة المختصر ، جـ٢ ، صـ١٢.

٢ – ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ١٦٧ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٨١ ، صـ٢١٨ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٢ ؛

Setton, op. cit ., P. 376 , P.386, P.394 .

٣ – ابن تغري بردي ، المصدر االسابق ، جـ٥ ، صـ١٦٧ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ٤٣ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٦٥ ، صـ ٢٢٣ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ٣٢ ؛ الشارتري ، المصدر السابق ، صـ١٢ ، صـ١١٥ .

٤– ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩، صـ٤٤ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥، صـ١٨٨ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٦٢ ، صـ ٢٧٧ – صـ ٢٧٨ ؛ ابن العديم " الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة " (٥٨٨ –– ٦٦٠ هـ) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، (حققه / سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٨) ، جـ٨ ، صـ٣٦٦٤.

٥ – ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ ١٠٧ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ ٧٢ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ ١٨٨ ؛ الدواداري ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ٤٦٣ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٢٨ ، صـ٢٤٧ ؛ الڤيتري، المصدر السابق ، صـ٣٣ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٥

٦ – ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ١٨٠ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ١٣٦ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٦١ – صـ٦٢ ، صـ٢٧٦ – صـ٢٨٠ ؛ ابن العديم ، المصدر السابق ، جـ١٠ ، صـ٤٥٣٢ ؛ أبو الفداء ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢٢٤ ؛ ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ، صـ٢٦٢ ؛ زيل تاريخ دمشق ؛ صـ١٥٨– صـ١٥٩ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، صـ١٧١ ؛ محمد كرد علي ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ١٩٧.

٧ – براور ، عالم الصليبيين ، صـ٩٨ .

ولـــم يكتـــف الصـــليبيون بـــذلك بـــل مارســـوا الاعتـــداء علـــي المقدســـات الإســـلامية وأيضـــاً جبايـــة الأمـــوال مـــن المســـلمين ، وزاد علـــي ذلـــك تعرضـــهم لتجـــار المســـلمين وقـــوافلهم ونهبهـــا ؛ ممـــا حفـــز المســـلمين علـــي ضـــرورة التجمـــع تحـــت رايـــة الجهـــاد ، واعتبرت جهود مودود أتابك الموصل فاتحة لحركة النهوض الإسلامية[١]. و جاء عماد الدين

زنكي[٢] ، وابنه نور الدين محمود لكي يضعوا البذور الأولى لتوحيد الجبهة الإسلامية[٣] .

واســـتطاع صـــلاح الـــدين الأيـــوبي تتـــويج البدايـــة التـــي وضـــعها زنكـــي ومحمـــود بمـــا قـــام بـــه داخـــل منطقـــة بـــلاد الشـــام مـــن اســـتعادة بيـــت المقـــدس وغيـــره مـــن الأمـــاكن

---

١ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣٠٠– صـ٣٠٣ ؛ حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، (الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م) ، ط١ ، صـ٢٦٨

Setton, op.cit., P. 399 ; R. C. Small, Crusading Warfare"1097 - 1193 " , Cambridge at the university press, 1956 , P. 55 .

٢ – لمزيد من التفاصيل ، انظر : ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ٢٧٥ ؛ ابن الأثير ، الباهر ، صـ١٩ – صـ٢٠ ، صـ٣٧ – صـ٣٩ ، صـ٦٩ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ٢٣٦ ؛ ابن العبري ، المصدر السابق ، صـ١٥٨ ؛ أبو الفداء المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٣ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، صـ٢١٩ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، ، جـ١ ، صـ٧٤ – صـ ٧٥ ، صـ ٨٣ ؛ جـ٤ ، صـ٢١٤ ، ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٤١؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٩٩ ؛ عبدالله بن سعيد الغامري ، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن " عماد الدين زنكي وابنة نور الدين محمود " ، (سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية (٢٦) ، ١٤١٤ هـ) ، صـ١٣ ؛ فتحية النبراوي ، المرجع السابق ، صـ١٥٩ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ١٣ ؛ محمود سعيد ، المرجع السابق ، صـ١٢٩ ؛

Adams, op. cit., P.88 ; Armstrong, op.cit., pp.288 - 289 ;Smail, op.cit., P.51

٣ – انظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، صـ١٠٦ ، صـ ١٥٥ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ١٦٠ – صـ١٦١ ؛ شهاب الدين عبدالرحمن المعروف "بأبي شامة " ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، (تحقيق / محمد حلمي ، محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٢ م) ، جـ١ ق٢ ، صـ٥١٦ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢، صـ٢٢٥ ، صـ٢٥١ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢٢٠ ، صـ٢٢١ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٢٠٢ – صـ٢٠٣ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ٥٢٣ – صـ٥٢٦ ؛

Adams , op. cit., pp. 88 - 89 ; Armstrong, op. cit., pp.291 - 292 ; T.f. tout, op. cit., p.195

التـــي اســـتولى عليهـــا الصـــليبيون ؛ فاســـتطاع الحـــد مـــن الوجـــود الصـــليبي فـــي منطقـــة

بلاد الشام[١] .

---

١ – عن صلاح الدين ، انظر : ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ٣٢ – صـ٣٤ ؛ عبدالرحمن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، (دار الجبل بيروت) ، صـ٢٧ ؛ الحنبلي ، الأنسى الجليل ، جـ١ ، صـ٣١٦ – صـ٣١٧ ، صـ٣٢١ ، صـ٣٢٢ ، صـ٣٣٠ – صـ٣٤٠ ، صـ٣٥٠ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، مجـ٥ ق٣(٩) ، صـ٦٧٧ – صـ٦٧٩ ؛ جـ٥ ، صـ٢٩٥ ؛ بيبرس الدواداري ، مختار الأخبار " تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ" ، (حققه / عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م) ، ط١ ، صـ٣ – صـ٤ ؛ ابن أيبك الدواداري ، المصدر السابق ، جـ٧ ، صـ٧١ – صـ٧٢ ، صـ٨٥ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، صـ٩٤ ؛ سير أعلام النبلاء ، (حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٠ م) ، جـ٢١ ، ط٧ ، صـ٢٨٥ ؛ العبر في خبر من غبر " من سنة ٥٤٧ إلى سنة ٧٠٠هـ" ، (حققها وضبطها علي مخطوطين / أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت) ، جـ٣ ، صـ٨٥ ؛ القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد (ت سنة ٦٣٢ هـ) ، سيرة صلاح الدين الأيوبي " المسماة " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " ، (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٤٦ هـ) ، صـ ٢٨١ – صـ٢٨٢ ، صـ ٢٨٩ – صـ٢٩٠ ؛ الأصفهاني ، المصدر السابق ، صـ ٨٦ ، صـ١٤١ ، صـ ١٤٥ – صـ ١٤٦ ، صـ٥٥٥ ، صـ٥٥٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، صـ ٣٨٤ – صـ٣٨٥ ؛ القرماني ، المصدر السابق ، مجـ٣ ، صـ ٣١٨ ؛ القلقشندة ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٧٦ – صـ١٧٧ ؛ عبدالرحمن سنبط قنبتور الأربلي (ت سنة ٧١٧هـ) ، خلاصة الذهب المسبوك " مختصر من سير الملوك " ، (وقف علي طبعه وتصحيحه / مكى السيد ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٦٤ م) ، صـ٢٨١ – صـ ٢٨٢؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، صـ٣٠٢ ، صـ٣٠٩ ، صـ٣١٦ ، صـ ٣٢١ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق١ ، صـ ٦٩ ، صـ٩٧ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف "بالخطط المقريزية " ، (دار صادر بيروت ، ١١٢٧ هـ) ، جـ٢ ، صـ٨٦ ، صـ٢٣٢ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٧٢، صـ٨٠ ، صـ١٨٥ ، صـ٢١٧ ، صـ٢٢٨ – صـ٢٣٠ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٩٦– ـ٩٧ ؛ ياقوت الحموي البغدادي (ت سنة ٦٢٦ هـ) ، " معجم البلدان" ، (عنى بتصحيحه / محمد أمين ، أحمد بن الأمين ، مطبعة السعادة ، سنة ١٣٢٤ هـ – ١٩٠٦ م) ، مجـ٦ ، ط١ ، صـ١٧٤ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٢١٨ ، صـ ٢٢٧ ، صـ٢٣٠ – صـ٢٣١ ؛ برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، (تعريب/نبيه فارس ، محمود يوسف زايد ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٥٤م) ، ط١ ، صـ٢١٨ ؛ جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الأوسط " من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر " ، (ترجمة / عمر الإسكندري ، مراجعة / سليم حسن ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٥٧ م) ، ط٣ ، صـ٧٣ – صـ ٧٤ ؛ خليل سركيس ، المرجع السابق صـ١٨١ ؛ سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ ٣١١ ؛ عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ ٧٩ ؛ العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ، صـ ٧٠ ؛ غوستاف لوبون ، المرجع السابق ، صـ٣٢٩ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ صـ٥٦ ؛ جـ٥ ، صـ ٢٦٩ ؛ مسكيموس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ٢ ، صـ٩٥ ؛ يوحنا ابكاريوس ، قطف الزهور في تاريخ الدهور ، (طبع في بيروت ، ١٨٨٥م) ، ط٢ ، صـ ١٤٧–صـ١٥٠ ؛
Adams , op. cit., p.89 ; Armstrong , op. cit ., pp.292 - 294 ; T.f.tout., op.cit., p.195.

وحاول من بعده الأيوبيون التخلص من هذا الوجود الصليبي نهائياً أمثال العادل[١] والكامل[٢] والصالح نجم الدين أيوب[٣] . وظهرت دولة المماليك على أنقاض دولة الأيوبيين لكي تواصل الجهاد لطرد الصليبيين من بلاد الشام ، فما قام به الظاهر

---

[١] – القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٧٧ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، صـ ١٥ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٣٦ – صـ٣٧ ، صـ٧١ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٣٥ – صـ١٣٦ – ؛ عبدالرحمن الرافعي ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، مصر في العصور من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، (دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ م) ط١ ، صـ٣٤٤ ؛ قاسم عبده ، علي السيد ، الأيوبيون والمماليك " التاريخ السياسي والعسكري " ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ١٩٩٥م) ، ط١ ، صـ٨٣ ، صـ٩٠.

[٢] – ابن تغرى بردي ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ ٢٤٤ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ ٤٠٢ ، صـ ٤٠٦؛ الدواداري ، كنز الدرر ، جـ٧ ، صـ ٢٠٢ ، صـ٢٠٩ ، ٢٩٣ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ ٢ ، صـ١١٩ ، صـ١٣٢ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ ٨٣ ؛المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق١ ، صـ٢٣٠ – صـ ٢٣١ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ٣٢ ، صـ٩٥ ، صـ ٢٤١ –صـ٢٤٥ ؛ جـ٥ ، صـ٢٤٦ ، صـ ٢٤٧ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٥٠– صـ١٦٩ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٤٠ – صـ ١٤٥ ؛ جاك تاجر ، أقباط ومسلمون" منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢ م ، (كراسات التاريخ المصري ، ١٩٥١ م) ، صـ١٦٨ ؛ جورج كيرك ، المرجع السابق ، صـ٧٣ – صـ٧٤ ؛ جوناثان رايلي ، المرجع السابق ، صـ١٦٩ – صـ ١٧٠ ؛ فتحية النبراوي ، المرجع السابق ، صـ ٢٥٠ – صـ٢٥١ ؛ قاسم عبده ، علي السسيد ، المرجع السابق صـ٩٤ ، صـ٩٨ – صـ ١٠٠ ؛ مصفى زيادة ، المرجع السابق ، صـ٤٩ – صـ٥٠ ، صـ ٧٣ .

[٣] – ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ٣٢٣ ؛ الدواداري ، كنز الدرر ، جـ٧ ، صـ ٣٥٣ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ١٦٤ – صـ١٦٥ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ٢٢٧ ؛ جـ٥ ، صـ ٣٣٧ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ١٥٣–صـ ١٦١ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٧٣ ؛ قاسم عبده ، علي السيد ، المرجع السابق صـ ٩٩ – صـ١٠٣ ، صـ ١٦٦ ، صـ١٦٨.

بيبـــرس[١] إلـــى جانـــب جهـــود المنصـــور قـــلاوون[٢] تـــوج ذلـــك بنهايـــة الوجـــود الصـــليبي علي يد الأشرف خليل بن قلاوون[٣] .

وأمـــا عـــن علاقـــة الصـــليبيين بالمســـيحيين الشـــرقيين ، فـــيمكن إيضـــاحها مـــن خـــلال احتيـــاج الصـــليبيين إلـــيهم لإعمـــار المنـــاطق التـــي حـــل بهـــا الـــدمار علـــي أيـــديهم ، وبالفعــــل استطــــاع الفرنجـــــة جـــــذب المســــيحيين المحليـــين بجميـــع

١ – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٨٦ ؛ الدواداري ، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، جـ٩ ، صـ ٨٥ ؛ مختار الأخبار ، صـ١٩ ، صـ٣١ – صـ ٣٢ ، صـ ٣٦ – صـ ٣٧ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ٢٤٤ ، صـ٢٥١ – صـ٢٥٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق٢ ، صـ٥٦٧ – صـ٥٦٨ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢١٩ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ١٦٣ .

٢ –الدواداري ، زبدة الفكر ، جـ٩ ، صـ١٩٢ – صـ١٩٥ ، صـ٢١٦ ، صـ٢٣٥ ، صـ٢٤٩ ؛ مختار الأخبار ، صـ٨٧ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، مجـ٥ ق٤ (١٠) ، صـ٨٦٤ ؛ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات "سنة ٦٨٣ – ٦٩٦ هـ" ، تاريخ ابن الفرات ، مجـ٨ ، صـ١٧ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ٣١٣ ؛ شافع بن علي الكاتب المصري ، الفضل المأثور ، ط١ ، صـ١٤٠ – صـ١٤١ ، صـ١٦١ – صـ١٦٢ ؛ المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ق٣ ، صـ٧٤٦ – صـ٧٤٨ ؛ أسامة زكي زيد ، المرجع السابق ، صـ٢٥٥ – صـ٢٥٧ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ١٦٩ ؛ قاسم عبده ، علي السيد ، المرجع السابق ، صـ١٦٩ ، صـ١٧٧ ، صـ١٨١ ؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر "الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص " ، (دار الفكر العربي) ، صـ٢٣٢ – صـ٢٣٥ ؛

Harold lamb, The Crusades “ Iron Meand saints “, London, 1943, P.190

٣ – ابن خلدون ، المصدر السابق ، مجـ٥ ق٤ (١٠) ، صـ٨٧٠ ؛ الدواداري ، زبدة الفكر ، جـ٩ ، صـ٢٥٩ – صـ٢٦٣ ؛ مختار الأخبار ، صـ٨٧ ؛ ابن الفرات ، المصدر السابق ، مجـ٢، صـ٩٣ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ٣٢١ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٣٥ – صـ٢٣٦ ؛ أسامة زيد ، المرجع السابق ، صـ٢٥٨ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ١٦٩ ؛ قاسم عبده ، علي السيد ، المرجع السابق ، صـ١٨١ ، صـ١٨٢ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ١٢٧ ؛ مصطفى الكناني ، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي (١١٧١ – ١٢٩١م ، ٥٦٧ – ٦٩٠هـ) " أضواء علي الحركة الصليبية " ، (تقديم / جوزيف نسيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ م) ، صـ٢٨٥ ؛ نزيه شحادة ، " بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية (١٠٩٧م – ١٢٩١م/٤٩٠هـ – ٦٩٠هـ) ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، ع ٣٨ ، ١٩٩٩م ، صـ١٣٣ ؛

Housley, Op. cit., P.16 .

طوائفهم[١] من موارنة في طرابلس[٢] ومن سريان[٣] وأرمن في أنطاكية[٤] ومن نساطرة

---

١ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٢٥٩ – صـ٢٦١ ؛ ڤورزبورغ ، المصدر السابق ، صـ٧٥ ؛ أحد الآباء اليسوعيين ، مختصر تأريخ سورية ولبنان ، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٤ م) صـ٦٩ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٦٠ – صـ٦٤ ؛ براور ،الاستيطان الصليبي ، صـ٧٤ ؛ جاك تاجر ، المرجع السابق ، صـ١٦٠ ؛ جورج كيرك ، المرجع السابق ، صـ٧١ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٢ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٢٦٧ – صـ٢٦٨ ، صـ٣٩٤ ؛ محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي " الدولة العباسية " ، (المكتب الإسلامي ، ١٤١١هـ – ١٩٩١) ، جـ٦ ، ط٥، صـ٢٥٧ ؛ موندوند ، المرجع السابق ، مجـ ١ ، صـ٨٦ ؛ نظير سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٩٣ ؛

Armstrong, op. cit, PP. 277 - 278 .

٢ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ٢٧٠ ؛ أحد الآباء اليسوعيين ، المرجع السابق ، صـ٦٩ ؛ براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٢٠ ؛ الاستيطان الصليبي ، صـ٧٦ ؛ جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي ، صـ٣١٢ – صـ٣١٣ ؛ حاتم الطحاوي ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى " مجموعة أبحاث مهداة إلى أ.د/ قاسم عبده " عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣ م) ، ط١ ، صـ١٨٧ ، صـ١٩٨ – صـ٢١٢ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٩٠ – صـ٩١ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧٢ ؛ سعيد برجاوي ، المرجع السابق ، صـ٢٠٣ ؛ عبدالعزيز محمود ، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة (آداب القاهرة) ، صـ١٧٩ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٢ – صـ٣٩٤ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ١٤ ؛ جـ٥ ، صـ٢١ ؛ محمد مؤنس ، التنظيمات الدينية ، صـ٥٥١ ، صـ٥٦٤ – صـ٥٧٤ ؛

Smail , op., cit., P. 53 ; Setton, Op. cit., P.371, P.390

٣ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ١٧٣ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٦١ ، صـ٣٢٩ ؛ الڤيترى ، المصدر السابق ، صـ١٠٨ – صـ١١٠ ؛ جان موريس ، المرجع السابق ، ط١ ، صـ٣٥٧ ، صـ٣٥٨ ؛ سليمان بن عبدالعبدالله ، الصراع الفاطمي السلجوقي في بلاد الشام (٤٤٧ – ٥٦٦هـ/ ١٠٥٥ – ١١٧٠م) ، رسالة دكتورة غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، صـ٣٤٥ ؛ نظير سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٩٦ – صـ١٩٧ .

٤ – الذهبي ، العبر في خبر من غير " من سنة ٣١٩ إلى سنة ٥٤٦ هـ" ، جـ٢ ، صـ٣٦٤ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢٦٦ ، صـ٣٥٨ ؛ جـ٢ ، صـ١٩٤ ، صـ٢٨٠ ، صـ٣٤١ ، صـ٣٦٥ – صـ٣٦٧ ؛ جـ٤ ، صـ٢١٥ ؛ ابن العبري ، تاريخ الزمان ، صـ١٣٩ ؛ جاك تاجر ، المرجع السابق ، صـ١٦٠ ؛ حامد غانم ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، صـ ٢١٦ ؛ حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية " في عصر الحروب الصليبية " ، (مكتبة الشباب ، ١٩٧١ م) ، جـ١ ، ط١ ، صـ١٢١ ، صـ١٢٥ ، صـ١٤٤ ؛ حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، (دار الفكر العربي ، ١٩٥٨م) ، صـ١٠٧ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٩٣ – صـ٩٥ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ١٥١ – صـ١٥٣ ، صـ٣٥٧ ، صـ٣٦٤ ، صـ٣٧٣ – صـ٣٧٨ ؛ سعيد برجاوي ، المرجع السابق ، صـ ١٣٢ ؛ عاطف مرقص ، الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين والمسلمين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، صـ٢٢٠ ؛ محمود شاكر ، المرجع السابق ، ج٦ ، صـ٢٥٥ ؛ نظير سعداوي ، المرجع السابق ، ، صـ١٩٣ ؛

Setton, Op. cit. , vol. II ., P .533; Armstrong , op. cit. , pp. 277 - 279 .

ويعاقبة في الرها[١] . وقام الفرنجة بمكافأتهم حيث عين بعضهم كتاباً بالدواوين ، ووزع على الآخرين أراضي المسلمين المهاجرين من فلسطين ، ومنحهم نفس الحقوق والامتيازات التي منحت للاتينيين[٢] ، وعملت الكنيسة الكاثوليكية علي توحيد المسيحيين الشرقيين تحت زعامتها[٣] .

وأما عن اليهود فنبدأ علاقتهم بالصليبيين منذ بداية الإعداد للمشروع الصليبي باتخاذهم موقفاً عدائياً من الفرنجة ، وقيام بعضهم بإقراض الأموال بفائدة كبيرة ، بالإضافة إلى اضطهادهم للمسيحية والمسيحيين[٤].

وكان لليهود أيضاً طوائفهم مثل المسلمين والمسيحيين ؛ فكان الربانيون[٥] والقرائيون والسامرة (الكوتيين)[٦] ، الذين عانوا أثناء الحكم الصليبي ، فإلى جانب الحرق والتعذيب والقتل والأسر فقدوا امتياز الحياة في المدينة المقدسة وحرية التنقل والمعيشة في مدن بلاد الشام[٧]. فكانت أعداد اليهود ضئيلة جداً ولم يكونوا في وضع يسمح لهم بأي دور منظم سياسياً أو اقتصادياً .

---

١ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ ١٧٣ ؛ أحد الآباء اليسوعيين ، المرجع السابق ، صـ٦٩ ؛ براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ٥٠ ، صـ ٧٤ – صـ ٧٥ ؛ عالم الصليبيين ، صـ ١١٩.صـ ١٢٠ ؛ جاك تاجر ، المرجع السابق ، صـ١٥٩ – صـ١٦٠ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩١ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٩٧ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٢ ؛ عبدالفتاح عبدالمقصود ، صليبية إلى الأبد ، (منشورات مكتبة العرفان بيروت) ، صـ٢٧٠ ؛ محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي – الصليبي "معركة أرسوف (١١٩١م – ٥٨٧ هـ)" ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٧ م) ، ط١ ، صـ٢٥٠ ؛ نظير سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٩٣ ؛
Setton , OP. cit ., P. 371 .

٢ – نظير سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٩٤ .

٣ –رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢، صـ٣٧٤ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٤٣٥ ؛ محمد مؤنس ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب ، صـ ١٤٢ .

٤ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ٩٨ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ١١٦ – صـ١١٧ .

٥ – التطيلي ، المصدر السابق ، صـ٩٤ ؛ جمعة مصطفى الجندي ، حياة الفرنج ونظمهم في الشام " خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر " دراسات تطبيقية علي مملكة بيت المقدس " رسالة دكتوراه غير منشورة ، (كلية الآداب ، جامعة عين شمس) ، صـ٣١٤ – صـ٣١٨ ؛
Lamb, OP. cit ., P. 192, p.205 .

٦ – التطيلي ، المصدر السابق ، صـ٩٥ – صـ ٩٧ ، صـ ١٠٩ ، صـ ١١٧ ، صـ ١٨٧ ، صـ ١٩٥ ؛ سيد فرج ، السامريون واليهود ، (دار المريخ) ، صـ٥ ، صـ٩ ، صـ٢١ .

٧ –جمعة مصطفى ، المرجع السابق ، صـ ٣١٦ – صـ٣١٨.

الفصل الثاني

النظام القيمي والأخلاقي

١- الطوائف المذهبية (الإسماعيلية - الدرزية - الناصرية - الاغتيالات).

٢- العادات والتقاليد .

٣- الثقافة السائدة .

يتضح أثر الحروب الصليبية علي النظام القيمي والأخلاقي في العالم الإسلامي من خلال انقسام العالم الإسلامي في تلك الفترة بين خلافتين ومذهبين متنافسين ، أدى إلى ظهور صدى لهذا النزاع القوي ببلاد الشام بينهما ، وأصبحت بلاد الشام مسرحاً للفتن والثورات بين السنة والشيعة ، ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل ظهرت انقسامات طائفية مثل الإسماعيلية والدرزية والنصيرية ، وما نتج عن هذه الطوائف من تأثير في الحياتين الاجتماعية والسياسية ببلاد الشام[١] . هذا إلى جانب الإفرازات السلبية التي نتجت عن فشل العالم الإسلامي من البداية في القضاء علي الحروب الصليبية الطويلة المرهقة[٢] .

وعن طائفة الإسماعيلية التي يبدو أن بداية ظهورها كان بالعراق وفارس وخُرسان ، والتي أطلق عليها عدة أسماء منها القرامطة والباطنية والفداوية (الحشيشية) والإسماعيلية والملاحدة[٣]

---

١ –الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٣٠ ؛ محمد مرسي الشيخ ، الإمارات العربية ، صـ ٣٥١ .

٢ – قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ ٢٠٢

٣ – القرامطة : نسبة إلى قُرْمُط منشأ دعوتهم ، الباطنية : لأنهم يبطنون دعوتهم أو لأنهم خالفوا الإسلام وادعوا أن لكل ظاهراً باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ، الفداوية : لأنهم يفادون أنفسهم بالمال علي قتل من يسلطون ، الإسماعيلية : لانتساب دعوتهم في أصلها لإسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، الملاحدة : لأن بدعتهم كلها إلحاد ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مجـ٩ ، صـ٣٦ – صـ ٣٧ ؛ ابن جبير ،المصدر السابق ، صـ ١٨٠ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ ٢٦ ؛ مجـ٥ ق١(٩) ، صـ٥٤ ، صـ٢٨٧ ؛ الأصفهاني ، المصدر السابق ، صـ٥٧٥ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " دولة المماليك الأولى " (٧٠٠ – ٧٤٩ هـ / ١٣٠١– ١٣٤٩ م) ، (دراسة وتحقيق / دورتيا كرافولسكي ، المركز الإسلامي للبحوث ، ١٩٨٦ م – ١٤٠٧ هـ) ، جـ٢ ، ط١ ، صـ ١٣٩ ؛ عبداللطيف حمزة ، المرجع السابق ، صـ ٧٠ ، صـ ٧٤ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ ٩٠ ، جـ٦ ، صـ ٢٥٦ – صـ ٢٥٧ ؛ الإسلام والحضارة العربية ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨م) ، جـ٢ ، ط٣ ، صـ ٦٢ ؛ أما عن إطلاق اسم الحشيشية فذلك نسبة إلى عقار مخدر يتناولونه يسمونه الحشيشة ؛ أسامة زكي ، المرجع السابق ، صـ ١٢٤ ؛ جرجي زيدان ، صلاح الدين و" مكائد الحشاشين " ، (مطبعة الهلال ، ١٩٣٣ م) ، ط٤ ، صـ ٣٣ ؛ سيديو ، خلاصة تاريخ العرب ، (أمر بترجمته وتهذيبه وطبعه / علي باشا مبارك ، مطبعة محمد افندي مصطفى ، ١٣٠٩ هـ) ، ط١ ، صـ١٣٧ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ ٤٤٢ ؛ محمد عثمان الخشت ، حركة الحشاشين " تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي " أسرار الباطنية والفرق الخفية " ، (مكتبة ابن سينا) ؛ محمد كرد ، خطط الشام ، جـ٦ ، صـ ٢٦٥ .

والنزارية[١] والسبعية[٢].

ويقول عنهم ابن الوردي إنهم ملكوا قلاعاً منها قلعة أصبهان وآلموت[٣] وحاولوا امتلاك قلعة شيزر ولكنهم فشلوا[٤] . وبحلول عام (٦٢٢ هـ) كانوا قد استطاعوا امتلاك عدد من قلاع بلاد الشام منها قلعة الكهف والقدموس ومصياف[٥] .

وعن موقف الإسماعيلية من القوى الإسلامية التي كانت متواجدة علي مسرح الأحداث في تلك الفترة ، فإنه في الوقت الذي دخل فيه الصليبيون من الشمال الغربي إلى بلاد الشام ، كانت الباطنية يدخلون إليها من الشمال الشرقي[٦] . ولقد برزدورهم أولاً في مقاومة المذهب السني المتمثل في الخلافة العباسية[٧] ، وثانياً في مقاومة الصليبيين ، وبالرغم من ذلك فإنهم لم يفرقوا بين المسلمين والصليبيين والمسيحيين لكنهم اهتموا بتحقيق مصالحهم علي حساب الجميع[٨] .

واتضح ذلك من خلال علاقتهم مع الحكام المسلمين وموقف معظم حكام المسلمين منهم ، فعندما اشتد أمرهم في حلب أثناء حكم (ألب أرسلان) ، قام بقتل زعيمهم مما دفع أتباعه إلى التفرق في البلاد[٩] . ولكن سرعان ما قويت شوكتهم مرة ثانية وبخاصة بعد ظهور زعيمهم بهرام الذي حظي برعاية

---

١ – النزارية : الذين ينتمون إلى نزار بن المستنصر ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ ٩ ، صـ ٣٦ – صـ٤٢ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٦٨ – صـ٧٦ .

٢ – السبعية : لأن أصحابها اعتبروا الإمامة منتهية عند الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق٢ ، صـ ٢٧٧

٣ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ٣٨–صـ٤٠ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٣.

٤ – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ ٤٠ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غير ، صـ٣٨٣ ؛ ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ ١٧ – صـ ١٨ ؛ ابن الوردي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٩

٥ – ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٣٨ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٩٠ .

٦ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ٣٥ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ ٤٤٣

٧ – رمضان المرجع السابق ، صـ ٦٨ ؛ رنسيمان المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ ١٩٣ .

٨ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ١٢٦ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٣٥ ؛ عاشور المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ٤٤٣

٩ – ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ، طـ١ ، صـ ٣٠٢ .

برعاية طغتكين ، واستطاع الاستيلاء علي بانياس بعد قيام طغتكين بمنحة إياها في عام (١١٢٦م)[١] .

.

وقام نور الدين محمود بإلغاء بعض شعائرهم الدينية[٢] ، التي لم يستطيعوا استرجاعها إلا بعد موته[٣] ، وتبرز الأحداث التي وقعت بين الإسماعيلية وصلاح الدين ما كان يكنه كل طرف للآخر ، فقد حاول صلاح الدين أكثر من مرة التخلص من هذه الطائفة ، وأيضاً كانت هناك محاولات عديدة من شيخ هذه الطائفة للتخلص من صلاح الدين ، ولكن انتهت كل هذه المحاولات بالفشل لكلا الطرفين[٤] .

وجاءت نهاية هذه الطائفة علي يد الظاهر بيبرس الذي أخذ في الاستيلاء علي حصونها ببلاد الشام حصناً تلو الآخر ، وبذلك استطاع القضاء عليها[٥].

١ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ ٤٤٥ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ ٣.

٢ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٣٤ .

٣ – محمد مؤنس ، التنظيمات الدينية ، صـ ٢٤٧ .

٤ – ابن تغرى بردي ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ٧٦ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، صـ٤٨٥ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، مج٥ ق٣ (٩) ، صـ٥٦٨ ، صـ٦٣٨ – صـ٦٣٩ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، جـ٣ ، صـ٥٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، ط ق١ ، صـ٦١ – صـ٦٢ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٤ ، صـ٤٤ – صـ٤٥ ، صـ٤٧ – صـ٤٨ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٧٣ – صـ٧٤ ؛ سيد أمير علي ، المرجع السابق ، صـ٣٠٧ ؛ عبدالرحمن الرافعي ؛ عاشور ، المرجع السابق ، صـ٣١٠ ؛ عبدالعزيز سيد الأهل، المرجع السابق ، صـ٨٣ ؛ العريني ، مصر في عصر الأبويين ، صـ٥٠ ؛ فتحية النبراوي ، المرجع السابق ، صـ٢٠٣ – صـ٢٠٤ ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية " الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها " ، (نقله إلى العربية/ نبيه أمين فارس ، منبر البعلبكي ، دار العلم للملايين) ، ط٣ ، صـ ٢٢٨ ؛ محمد أحمد حسين ، أسامة بن منقذ " صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، (القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦ م) ، صـ ٨٣ ؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة الظاهر بيبرس "في مصر" ، (دار الفكر العربي ، ١٩٦٠) ، صـ ٩٠ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ ٥٢ – صـ ٥٣ ؛ جـ٦ ، صـ ٢٦٤ – صـ ٢٦٥ .

٥ –الدواداري ، مختار الأخبار ، صـ٤٤ ؛ الفيتري ، المصدر السابق ، صـ ١٢٩ ؛ جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ، صـ ٩٠ – صـ ٩١ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ٣٦ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ٧٥ – صـ ٧٦ .

وبالنسبة لعلاقة الإسماعيلية مع القوى الصليبية فإنه من الواضح أن عداء الإسماعيلية الشديد لأهل السنة أدى إلى تقربهم إلى الصليبيين بالشام[١] ، حتى إن الصليبيين رأوا فيهم القوة التي يمكن الاعتماد عليها للحد من بطش الأيوبيين ثم المماليك من بعدهم[٢] ، وأبرز مثال علي ذلك المؤامرة التي تمت بين الباطنية والصليبيين علي تسليم دمشق للصليبيين من جانب الإسماعيلية ، ولكنها لم تكلل بالنجاح بل عادت بالشقاء علي الباطنية[٣] .

وبالرغم من ذلك فإن العلاقات الدبلوماسية ظلت متبادلة بين الطرفين حيث أرسل زعيمهم راشد الدين وفداً إلى الملك الصليبي عموري الأول[٤] ، وأيضاً استقبل راشد الدين هنري دي شامبيني[٥] ، وعندما حضر لويس التاسع إلى عكا سارت بينه وبين شيخ الجبل سفارات وتبادل للهدايا[٦] .

ولم تقتصر العلاقات مع الصليبيين علي الملوك الصليبيين فقط ، بل شملت أيضاً طوائف الرهبان من الفرسان حيث كانت الإسماعيلية تقوم بدفع ضريبة للطائفتين الإسبتارية والداوية[٧] وعلي الرغم من محاولة طائفة الإسماعيلية أكثر من مرة التخلص من دفع هذه الضريبة ، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل[٨] إلى أن جاء الظاهر بيبرس الذي أصبحت تدفع الضريبة له بدلاً من طوائف الرهبان[١]

---

[١] – أبو الفداء ، المختصر ، جـ٣ ، صـ ٥٩ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٧٤ .

[٢] – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ٢٦١ .

[٣] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، صـ٢٥٠ – صـ٢٥١ ؛ الذهبي ، سيد أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، صـ٥٢١ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٩٣ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، جـ٣ ، طـ١ ، صـ٢ .

[٤] – الصوري ن المصدر السابق ، جـ٤ صت٥٧ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ٢٦٤ – صـ ٢٦٥ .

[٥] – حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ صـ ٢٧٦ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ٣٦ ؛ فيليب حتى ، أدورد جرجي ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب مطول " ، ١٩٦١١ م) ، جـ٢ ، طـ٣ ، صـ ٧٦٥ .

[٦] – الحويري ، المرجع السابق ، صـ٣٦ ؛ فيليب حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٧١ ؛ مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع ، صـ٢٥٥ .

[٧] – أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٧٤ ؛ جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي ، صـ٢٣٣ ، صـ٢٣٥ ؛ جوناثان رايلي ، المرجع السابق ، صـ ١٤٦ .

[٨] – جوناثان رايلي ، المرجع السابق ، صـ ١٤٥ – صـ ١٤٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ٥٠٢ .



وعند الحديث عن أهم الاغتيالات التي قامت بها الباطنية ، فلابد أن نتحدث عن أهم مراتب نظام الإسماعيلية وهم الفدائيون الذين اهتم بهم شيخ الجبل[٢] ، وكان لا يذكرهم الناس في تلك الحقبة إلا وبيدهم خناجر تقطر دماً[٣]. فلقد اعتمد هؤلاء الباطنية في نجاح مخططاتهم علي السرية والطاعة العمياء لقادتهم[٤] ، فمن مات علي طاعة أئمتهم في جنان ونعيم ، ومن مات علي عصيان أئمتهم في النار والجحيم [٥]. وكانت الأمهات يبكين إذا عاد إليهم أبناؤهم أحياء ، ولقد كان هؤلاء الفدائيون مدربين بعناية علي حمل السلاح واستعماله إلى جانب قيامهم ببعض أساليب التنكر ، وأيضاً إلمامهم ببعض اللغات الأجنبية حتى اللغات الأوربية[٦] حيث كانت هذه الطائفة تطمع في فرض وجودها في بلاد الشام فاتخذت من الاغتيال سبيلا إلى ذلك[٧] ، فأصبحت الباطنية بذلك بمثابة آلة شر علي المسلمين[٨] حيث كان لهم دور كبير في اغتيال الشخصيات الإسلامية والصليبية في تلك الحقبة لدرجة أنهم وصفوا بأنهم أداة الانتقام في أيدي رؤسائهم[٩] . فكانوا يقومون بقتل الأمير المسلم في يوم الجمعة وفي المسجد ، والأمير المسيحي في يوم الأحد داخل الكنيسة[١٠] .

---

١ –محمد جمال الدين سرور ، دولة الظاهر بيبرس ، صـ٩٠ – صـ٩١

٢ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٥٥ ؛ حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٧١ ، صـ٢٧٥ ؛ سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ٢٧٨ ؛ محمد مرسي ، الإمارات العربية ، صـ٤٦٦ .

٣ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٥٦ ؛ زكي النقاش ، الحشاشون ، صـ ٢٠١ .

٤ – زبيدة عطا ، "الباطنية والإرهاب الديني في العصور الوسطى " ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، صـ١١ – صـ١٢ .

٥ –ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، جـ٢ ، صـ ١٣٩ .

٦ – حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ ٢٧٦ .

٧ – محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، صـ ٣٥١ .

٨ – محمد كر علي علي ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ ١٥

٩ – أسامة زيد ، صيدا ودورها ، صـ١٢٤ .

١٠ – حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ ٢٧٦ .

وسقط ضحية هذه الاغتيالات عدد من رجال السياسة والقواد العسكريين المسلمين[١] والصليبيين ، ، ومن أهم هذه الاغتيالات خلال فترة الحروب الصليبية اغتيال الباطنية للوزير أبي نصر بن نظام الملك[٢] وجناح الدولة صاحب حمص حيث تم اغتياله داخل جامع حمص الكبير[٣] ، وخلف بن ملاعب ملاعب صاحب أفاميه[٤]. وأيضاً قاموا باغتيال العلامة أبي المحاسن الروباني[٥] . وكانت أهم اغتيالاتهم أثراً علي المجتمع الإسلامي اغتيالهم للأمير مودود الذي يعتبر من أوائل الداعين إلى حركة الجهاد الإسلامي ضد الوجود الصليبي ، حتى إن الملك الفرنجي قال : " وإن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق علي الله أن يبيدها " حيث إنه تم اغتياله أثناء أدائه لصلاة الجمعة في جامع دمشق[٦] . ومن ضحاياهم أيضاً اقسنقر البرسقي أتابك الموصل[٧]، والخليفة الفاطمي الأمر[٨] والخليفة العباسي المسترشد[٩] ، وأبرز قيامهم باغتيال الخليفة الفاطمي التضارب فيما ادعوه منذ البداية من مسببات قيام هذه الطائفة .

---

[١] – أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ٧٠ ، صـ٧٣ – صـ٧٤ ؛ برنارد لويس ، المرجع السابق ، صـ٢١٤ .

[٢] – ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، صـ ١٧١ ؛ برنارد لويس ، المرجع السابق ، صـ ٢١٤ ؛ سيديو ، خلاصة تاريخ العرب ، صـ١٣٧ .

[٣] – الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، صـ٢٥ ؛ ابن القلانسي ، زيل تاريخ دمشق ، صـ ١٤٢ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٦٩ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ ٢٦٤ ؛ محمد مرسي ، المرجع السابق ، صـ ٤٦٦ .

[٤] – ابن القلانسي ، المصدر السابق ، صـ ١٤٩ ؛ ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ ١١٨ ؛ محمد مرسي ، المرجع السابق ، صـ٤٦٦.

[٥] – الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ط ٧ ، صـ ٢٤١ .

[٦] – ابن الأثير ، الباهر ، صـ١٩ ؛ الكامل ، مجـ٩ ، صـ١٤٩ – صـ ١٥٠ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، صـ ٥٠٧ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ ٤٢ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، صـ٣٥ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٣٠٣ ، صـ ٣١٠ .

[٧] – عاشور ؛ المرجع السابق ، جـ١ ، ط ٥ ، صـ ٤٤٧ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٣١ .

[٨] – حتى ، وآخرون ، تاريخ العرب ، جـ٢ ، ط٣ ، صـ٧٦٥ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٣١.

[٩] –الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ٢٣٩ ؛ ذي النسبين ، المصدر السابق ، صـ١٥٠ ، صـ١٥١ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، صـ٤٤٧ .

وأما عن أهم اغتيالات الإسماعيلية في الجانب الصليبي فنبدأها بقيام الفداوية باغتيال أمير طرابلس ريموند الثاني[١] ، وبعد ذلك قيامهم باغتيال ملك بيت المقدس كونراد مونتفرات[٢]. وفي عام (٥٨٨ هـ – ١١٩٢ م) اغتيل علي أيديهم المركيس كونراد صاحب صور[٣] ، وأيضاً تم اغتيال ريموند بن بوهيموند الرابع أمير أنطاكية علي أيديهم[٤] .

ويعطينا الاتفاق الذي تم بين الظاهر بيبرس وزعيم الحشيشية صارم الدين مبارك انطباعاً لمدى شهرة الباطنية في مجال الاغتيالات ؛ فتم الاتفاق علي أن يقوم الباطنية بإرسال من يقوم باغتيال كل من فيليب دى مونتفرات صاحب صور وليم دي بوجييه رئيس طائفة الفرسان الداوية وصاحب صيدا[٥].

ولذلك اعتبرت طائفة الباطنية خلال فترة الحروب الصليبية مصدراً خطيرا للانحلال السياسي والاجتماعي في المنطقة [٦].وأيضاً كان لها أثرها الواضح علي الجانب الثقافي حيث إنه لم تمنع شرورهم شرورهم رجالا أمثال الإمام الغزالي أن يكتب في فضائحهم كتابا يرفعه إلي الخليفة المستنصر العباسي ، وجاء من بعده علماء كثيرون ساروا علي دربه[٧].

وعن جماعة الدروز[٨] التي رسخت أقدامها في لبنان الأوسط من كسرون إلي المقاطعات الجنوبية [١] حيث المنطقة الجبلية التي لجأ إليها مختلف الفرق الإسلامية المنشقة [٢]،وتعتبر طائفة

---

١ –الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٨١ ؛ حتى وأخرون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط ٣ ، صـ٧٦٥ ؛ عاشور ، ، المرجع السابق ، ج١ ، ط٥، صـ ٤٤٧ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٣.

٢ – حتى ، وأخرون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط ٣ ، صـ ٧٦٥ .

٣ – ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ٢٠٢ ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، جـ٢ ، صـ١٠٥ ؛ سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ٣٢١ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ ٢٦٥ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ ٢٦٥ .

٤ –– محمود عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، صـ ٢٠٣ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ ٢٦٥ .

٥ – أسامة زكي زيد ، المرجع السابق ، صـ ٢٥٤ .

٨–عاشور ،المرجع السابق، صـ ٤٤٧ – صـ ٤٤٨ .

١–عبد العزيز سيد الأهل ،المرجع السابق ،ص٨٢ .

٢– عن أهم أعلام هذه الحركة ، انظر :أحمد رمضان ،المرجع السابق ،صـ ٧٨ – صـ ٨١ ؛ براو ر ،الاستيطان ،صـ ٧٢ ؛ حسن إبراهيم ،المرجع السابق ، جـ٤، صـ ٢٥٩ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ،صـ ٣٧؛
Setton, Op., cit., P.371

الدروز من غلاة الإسماعيلية الذين قاموا بتأليه الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي[٣]،حيث قامت هذه الحركة الشيعية علي يد الفرس [٤]،ويقول عنهم بنيامين التطيلى"إن هؤلاء لا دين يعرف لهم "[٥].وذلك بسبب السرية التي زاول بها الدروز طقوسهم واحتفالاتهم الدينية ،وبالإضافة إلي ندرة المصادر [٦] التي تتحدث عن ذلك .ولقد كانت علاقة الدروز بالمسلمين في توتر مستمر ،حيث كفر الدروز عامة المسلمين[٧] ،ولكن علي الرغم من ذلك فإنه كان يتم الاتفاق بين طوائف الشيعة علي محاربة المسلمين السنة[٨].وأيضاً بالرغم من ذلك فإن الدروز قاتلوا بجانب المسلمين ضد الصليبيين[٩]، ويبرهن علي ذلك ما ذكره بنيامين التطيلى "إن الدروز كانوا في خصام مستمر مع الفرنج في صيدا"[١٠].

وكانت علاقتهم مع اليهود طيبة ، حيث كان يقيم بعض اليهود من أرباب الحرف والصباغين عند الدروز فترة من الزمن ثم يعودون إلي مدنهم [١١].وعاشت طائفة الدروز علي حرفة الزراعة ، فلم تجذبهم

٣- احد الآباء اليسوعين ،المرجع السابق ، صـ ٧٥ .

٤- القلقشندى ، المصدر السابق ،صـ ١٣، صـ ٢٤٨ ؛ براو ر، المرجع السابق ، صـ ٧٢ ،صـ٧٦ ؛ حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ ٣٤٢ ؛ محمد مرسى الشيخ ، المرجع السابق ، صـ.١٩٤

٥- براو ر، المرجع السابق ، صـ٧٢ ؛ حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٥٩ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٣٧

٦- حسن إبراهيم ،المرجع السابق ،جـ ٤ ، صـ٢٥٩ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ ٣٧ – صـ ٣٨ .

٧- التطيلى ، المصدر السابق ،صـ٩١ .

٨- الحويرى ،المرجع السابق ،صـ٣٩ – صـ٤٠ .

٩- القلقشندى ، المصدر السابق ، صـ ١٣ ،صـ ٢٤٨ –صـ٢٤٩ .

١٠- احد الآباء اليسوعين ، المرجع السابق ، صـ٧٥ .

١١- حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٦٤ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ،صـ٤١؛محمد كرد ،المرجع السابق ، جـ٢، صـ.١٤

١-التطيلى ، المصدر السابق ، صـ٩٠ – صـ٩١ .

٢- نفســه ، صـ٩١ .

الصناعة والتجارة[١]، ويقول براور عنهم "إنهم كانوا يفدون إلي الأسواق والمراكز التجارية لكي يقايضوا بمنتجاتهم الزراعية "[٢].

وبالنسبة لطائفة النصيرية[٣] فكانت تقيم في شمال الشام [٤]،وتمثلت عقيدتهم في بعض آراء شيعية متطرفة سرية الطابع كهنوتية النظام باطنية التعاليم مع تقديس كبير لعلي بن أبي طالب[٥].وتكونت هذه الطائفة من قبائل يجمع بينهما تحالف[٦] بحيث تميز نظامهم الاجتماعي بنوع من من الطبقية [٧] .

وعن علاقة الناصرية مع عناصر المجتمع الأخرى فإنهم لعبوا دورا هاما علي مدى القرن الحادي عشر[٨]، فكانوا دائمي الصراع مع جيرانهم بسبب الاضطهادات التي تعرضوا لها ، إلي جانب أن بعض

٣- الحويرى ،المرجع السابق ،صـ.٤١

٤- براور ،عالم الصليبيين ، صـ١٢٣ .

٥- ابن جبير ،المصدر السابق ،صـ١٩٦؛ أحمد رمضان ،المرجع السابق ،صـ٧٧- صـ٧٨؛حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤، صـ٢٦٥؛ محمد كرد ،الإسلام والحضارة العربية ، جـ٢، صـ٦٢؛ محمد مرسى ،المرجع السابق ،صـ.٤٦٣

٦- بور شارد ، المصدر السابق ،صـ ١٧٤ ؛براو ر ،الاستيطان ، صـ٧٢ ؛حتى ، المرجع السابق ،صـ٣٤٢ ؛حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ،صـ٢٦٥ ؛الحويرى ،المرجع السابق ، صـ٤٢ .

٧- ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ ١٩٦ ؛القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ ١٣، صـ٢٤٩ ؛الحويرى ، المرجع السابق ،صـ٤٣ ؛محمد مرسى ، المرجع السابق ، صـ٤٦٤ .

٨- حسن إبراهيم ، المرجع السابق ،جـ٤ ، صـ٢٦٦ .

٩- حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٢٢ .

١- محمد مرسى ، المرجع السابق ،صـ٤٦٥ .

بعض المؤرخين صورهم بأنهم طائفة ملعونة مرذولة مجوسية المعتقد[١]،إلي جانب أن عددا كبيرا منهم لقي مصرعه علي يد الفرنج[٢].

وبالرغم مما سبق فإن حقبة الحروب الصليبية لم تكن كلها معارك بل تخللها العديد من العلاقات الودية التي أتاحت فرصة للاختلاط الاجتماعي بين من وفد وأهل البلاد الأصليين مع بداية الحملات الصليبية[٣].

وتميزت هذه العلاقات بنوع من الأدب الرفيع والتقاليد السمحة لفروسية العصور الوسطي[٤]. حيث حيث إنه بانقضاء الجيل الأول منهم نسوا تعصبهم الديني الأعمى[٥] ، فلم تكد تنقضي فترة الانتقال من من الفتح إلي الاستقرار حتى بدأ كل من الطرفين التقرب إلي الأخر ليسود حياتهم شيء من التفاهم والتساهل[٦]، هذا علي النقيض مع ما كان يحدث بين سكان البلاد والوافدين الجدد من الغرب بعد ذلك ، ، ونستدل علي ذلك مما حدث بين أسامه بن منقذ وأحد الوافدين الجدد عندما كان أسامه يصلي داخل

٢- القلقشندى ، جـ١٣، صـ ٢٥٠ .

٣- الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٤٤ .

٤- نفســـه ، صـ٢٤٢ .

٥- نظير سعداوى ، الحرب والسلام ،صـ٣١ .

٦- الحويرى ،المرجع السابق ،صـ٢٤٢؛

Armstrong ,op . cit ., p . 285.

٧- زكـي النقاش ، العلاقات الاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصـادية "بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصـليبية " ، (دار الكتاب اللبناني ، ١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ (١٩٥٧م)) ، صـ١٤٠ ؛

Armstrong , op . cit ., p . 285

المسجد الأقصى[١].

ولكن علي الرغم من ذلك فإن المزارات النصرانية في فلسطين كانت مكانا يلتقي فيه المسلمون بالصليبيين مما أدى إلي إحياء روح التسامح بين المسلمين والصليبيين[٢]، هذا إلي جانب قيام علاقات صداقات بين رجال من الفرنجة وآخرين من المسلمين حيث إنهم في السلم أخوة[٣]، ويبرهن علي ذلك ما ذكره أسامه بن منقذ من حديث دار بينه وبين أحد فرسان الفرنجة الذي كان يدعوه فيه بأخي[٤]. هذا بالإضافة إلي أن قصور زعماء الصليبيين لم تكن تخلو من العرب ، فكثير منهم نسوا انتماءهم إلي بلادهم الأصلية في أوربا[٥]،فيقول فوشيه الشارترى "إن أولئك الذين كانوا غربيين أصبحوا الآن شرقيين .ومن كان روميا أوفرنجيا قد تحول إلي جليلى أو فلسطيني في هذه البلاد ، ومن أتى من الرايم ، وشارتر أصبح الآن مواطنا في صور أو أنطاكية ، وبذلك فمن ولد غربيا أصبح الآن كمن ولد هنا ، ومن ولد أجنبيا صار كابن البلد[٦].ولم تكن علاقات الود بين المسلمين والصليبيين في فترات السلم فقط فقط ، بل كانت تحدث في أحلك أوقات الصراع الحربي بين الطرفين وبخاصة في المعارك التي لم تحسم سريعا بنتيجة لصالح أحد الطرفين ، فكان المقاتلون يسأمون ويتبادلون الفكاهة والطرف ويأنس بعضهم إلي بعض [٧]،وكانوا يقيمون حفلات الرقص والغناء،ثم يعودون للقتال . وكان الكبار أيضا يدعون الصغار ليكون لهم نصيب حيث تصارع صبيان من الفرنج مع صبيين من المسلمين ، وكانت

١- أسامه بن منقذ ، الاعتبار ، (حررة فيليب حتى ، د.ف ، مكتبة الثقافة الدينية)،صـ١٣٤- صـ١٣٥؛ (تحقيق/قاسم السمرائى) ،صـ١٥٣- صـ ١٥٤ .

٢- عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي ، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الإروبى "خلال الحروب الصليبية" ، رسالة ماجستير منشورة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م) ، صـ.١٣٥

٣- الحويرى ، المرجع السابق ، صـ.٢٤٨

٤- ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٣٢؛(تحقيق / السامرائى) ، صـ.١٥١

٥- عبد الله بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ،صـ٢٥ ،صـ.٢٧

٦- الشارترى ، المصدر السابق ،صـ١١، صـ٢١٨- صـ.٢١٩

٧- الحويرى ، المرجع السابق ،صـ٢٤٩ ؛ سعداوى ،المرجع السابق ، صـ٣١ .

الغلبة لأحد الصبية المسلمين الذي استطاع أن يأخذ الفرنج أسيرا ، وتم افتداء الفرنجى بديناريين أخذهم المسلم[١].

ووصلت العلاقات الودية بين المسلمين والصليبيين إلي حد أنهم كانوا يشتركون في رعي مواشيهم ويتقاسمون الغلة دون جور[٢].

وبذلك فقد نشأ في المدن التي حكمها الإفرنج مجتمع عالمي النزعة[٣]، فكانت مملكة بيت المقدس المقدس مكانا لالتقاء حضارتين وعلي أرضها تعلم الشرق من الغرب وتعلم الغرب من الشرق[٤]، مما أدى إلي مزج بين الحياتين الشرقية الإسلامية والغربية الصليبية وتداخل تأثير كل منهما في الآخرى [٥]. [٥]. فبقدوم الصليبيين إلي الشرق نقلوا معهم إليه الدبلوماسية العسكرية الغربية وفنون القتال المختلفة وما وما انتشر في الغرب من بناء الحصون والقلاع والأبراج[٦]، حيث أدخل إلي الشام هندسة عسكرية جديدة هي هندسة الصليبيين للقلاع والحصون و الدور والكنائس [٧]. وكان ذلك نتاجا لتأثير الصليبيين بما شاهدوه وهم في طريقهم إلي الشام من قلاع في آسيا الصغرى[٨]، وبذلك اتسمت العمارة الصليبية بعدة سمات هامة استمدتها من المؤثرات المعمارية الأوربية والبيزنطية والإسلامية[٩].

١- ابن شداد ،المصدر السابق ،صـ٩٢

٢- عبد الله بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، صـ٣٤

٣- جورج رينتز ، ارشيبالدر.لويس ، جبيراردزالتغر ، وآخرون ،دراسات إسلامية ، (ترجمة / أنيس فريحة ، كمال البازجى ، وآخرون ، إشراف / نقولا زيادة ، دار الأندلس ، مؤسسة فرنكلين ، ١٩٦٠م) ، صـ١٠٨

٤- باركر ،المرجع السابق ،صـ٩

٥- الحويرى ، المرجع السابق ،صـ٢٤٣ .

٦- عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ،(دار الفكر العربى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ، ط٢ ، صـ٢٣

٧- محمد كرد ،المرجع السابق ، جـ٥ ، صـ٢٩٦ .

٨- نبيلة إبراهيم ، فرق الرهبان ، صـ٧٧ .

٩- محمد مؤنس ، التنظيمات الدينية ، صـ٤٢٤ .

ولذلك فقد أنشأ الصليبيون نوعا من القلاع له تحصينات طبيعية أي أنها قلاع مبنية علي مرتفعات لكي يشكل موقعها أحد عوامل حصانتها ، وهذا النوع هو المتبع بناؤه في الغرب الأوربي ، وتمثل قلعة المرقب أبرز مثال لذلك[١]، واتبع الصليبيون تشييد نوع أخر من القلاع علي النمط البيزنطي البيزنطي [٢] الذي اتبعته الداوية في تشييد قلاعهم مثل قلعة طرطوس[٣].

وجاء تأثر الصليبيين في عمارتهم الحربية بالمسلمين قليل الشأن ، وذلك لعدم اهتمام المسلمين كثيرا بأعمال التحصينات الدفاعية[٤]، وهي الأعمال التي كان الصليبيون يهتمون بها في المقام الأول لحماية ما استطاعوا أن يمتلكوه من أراضى الشام ضد أي هجوم .ولذلك فإن القلاع التي ملئت بها البلاد هي أحسن نموذج للهندسة الحربية في القرون الوسطي[٥]، حيث بني الصليبيون قلاعاً حصينة في الجبال وعلي سيف البحر وفي الداخل حماية للبلاد من غارات المسلمين وتأمينا للطرق [٦]، فقام بلدوين الأول ببناء حصن الشوبك وقلعة أيلة وفرعون[٧]، ومن أهم حصون هيئة هيئة الاسبتارية قلعة بيت جبرين وكوكب وأرسوف وهونين[٨] والمرقب وحصن

---

١ – نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ٧٨ .

٢ – حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٨١ ؛ عبد العزيز محمود ،امارة طرابلس ، صـ١٢٩ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق السابق ، صـ٧٨ .

٣ – نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ،صـ٧٨ .

٤ – الحويرى ، المرجع السابق ،صـ١٩٦ ؛ وعن تأثر الصليبيون بالمسلمين في هذا الجانب ، انظر :عبد الله كامل موسى ،"الإستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية "، جامعة جنوب الوادى ، كلية الأداب ، العدد الرابع ، ١٩٩٥م ، صـ٢٦٥ – صـ٢٦٧ .

٥ – كرد على ، المرجع السابق ، صـ٥ ، صـ٢٩٦ .

٦ – أحد الآباء اليسوعين ، المرجع السابق ، صـ٦٠ .

٧ – جمعة مصطفى ، المرجع السابق ، صـ٤٨ ؛ عبد الله كامل موسى ، المرجع السابق ، صـ٢٥١ – صـ٢٥٢ ؛ محمد مؤنس ، الحملة الصليبية النرويجية ،صـ٢٠ ؛ محمد رزق محمود ،العلاقات بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى واقعة حطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، ١٩٧٣م ، صـ٥٢ .

٨ – ابن فضل الله العمرى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٠٦ – صـ٢٠٨ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ٧٨ – – صـ٧٩ .

الأكراد[١]؛ وبذلك فإن من هذه الحصون ما كان للملك ومنها ما كان قلاعا خاصة أو حصونا أو هبة للطوائف الرهبان ولكنها جميعاً اعتبرت من مصادر قوة المملكة[٢].

ويبرهن علي ذلك الآثار المرئية الملموسة لبقايا البروج المنتشرة علي طول الساحل السوري اللبناني وخرائب القلاع الهائلة القائمة علي الهضاب القائمة عند سفوح جبال لبنان[٣].

وكادت العمارة الكنسية تكون غريبة خالصة من حيث الطراز في الأرض المقدسة ، كما أنها مقامة علي قواعد البناء الغربية ، ولكن افتقار الأراضي الفلسطينية إلي الخشب أدي إلي بناء كنائس بسقوف مسطحة ، وإلي جانب تأثير التقاليد الشرقية في البنائين والنحاتين الذين أدخلوا جزءا بسيطاً منها علي بنائهم الغربي الطراز[٤]؛ولذلك فقد اتبع في بناء الكنائس الأسلوب الرومنسى والقوطى[٥]المعروف والقوطى[٥]المعروف في فرنسا وتمثل ذلك النمط في عدة كنائس مثل بيروت وطرطوس وغزة وبيت المقدس[٦].وكانت زخرفتها تتبع النماذج البيزنطية[٧]. بحيث أدخل الصليبيون عناصر جديدة في صناعة صناعة التماثيل بالغرب فكانت هذه العناصر بيزنطية كما كانت فسيفساء وكنائس الأرض المقدسة مأخوذة عن بيزنطة[٨]. ومن أهم ما تبقي من الآثار الصليبية في بيروت كنيسة يوحنا المعمدان التي بناها الملك بلدوين عام ١١١٠م ، والتي حولها المسلمون الآن إلي الجامع العمرى ، وفي جبيل كنسية مارونية[٩] ، وفي البترون كنيسة بها حائط واحد من العهد الصليبي وهي كنيسة مار يعقوب ، وأما دير

---

١ – أحد الآباء اليسوعين ، المرجع السابق ، صـ٦٠ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ، صـ٧٨ – صـ٧٩ .

٢ – السيد العريني ، نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين ،صـ٤٤ .

٣ – فيليب حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٨١ .

٤ – باركر ، الحروب الصليبية ،(عربة / على أحمد ، مطبعة لجنة التأليف ، ١٩٣٦م) ، صـ١٢١ – صـ١٢٢.

٥ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٨١ ؛ نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ،صـ٧٧ .

٦ – نبيلة إبراهيم ، المرجع السابق ،صـ٧٧ .

٧ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٨١ .

٨ – باركر ، المرجع السابق ، صـ١٢٢ .

٩ – الكنسية المارونية : تنسب لإسم القديس ماريو حنا ؛ حتى ،المرجع السابق ، صـ٣٨١ .

البلمند الذي أقيم علي هضبة بجنوب طرابلس فهو من الأبنية الصليبية القليلة التي احتفظت بأسمائها اللاتينية ، حيث بني هذا الدير في عام (١١٥٧م) للرهبنة السسترشية ، وسمي باللاتينية "Abbatia Belimontis" أي الدير القائم علي جبل جميل[١].

وأما الآثار الصليبية في القدس فمنها كنيسة القديسة حنا الموجودة بين باب الأسباط وباب حطا والتي يطلق عليها الآن الكنيسة الصلاحية ، وكنيسة القديسة مريم الكبرى التي بني الألمان علي بقاياها كنيسة المخلص في الدباغة ، وكنيسة القديسة مريم اللاتينية عند مدخل سوق الدباغة . وكنيسة الداوية قبل كنيسة القيامة [٢].وبذلك أصبحت الحروب الصليبية أكثر وجودا لنصارى القسم الشرقي من المملكة العباسية[٣]، وهذا بالإضافة إلي ما تميزت به الكنائس والأديرة التي أقامها الصليبيون بالشام من وفرة ثرواتها واتساع أملاكها التي لم تقتصر علي بلاد الشام بل امتدت إلي أوربا[٤].

أما عن الديار التي قطنها الصليبيون وبخاصة منازل الكبراء فكانت تبني علي الطراز العربي[٥]؛ حيث توجد بها ساحة ورخام ونافورة وخرير مياه جارية ، وكانت زخرفة الأثاث الداخلي أيضا علي النمط العربي حيث سكن النبلاء والأمراء وكبار السادة الإقطاعيين القصور الفخمة التي تكونت من طابقين في وسطها من الداخل نافورة تتدفق منها المياه كسيت نوافذها بالزجاج الملون ، وزينت أرضها بالموزايكو[٦]، بالموزايكو[٦]، وأيضاً الزخرفة والأثاث الداخلي كان علي الطراز العربي[٧].

---

١ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٨٢ – صـ٣٨٥ .

٢ – عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٦ .

٣ – جان موريس ، المرجع السابق ،ط١ ، صـ٣٤٠ .

٤ – عبد العزيز محمود ، إمارة طربلس ، صـ١٤١ .

٥ – باركر ، المرجع السابق ، (تعريب /على أحمد) ،صـ١٢٢ ؛ (ترجمة / العرينى)،صـ٨٥ – صـ٨٦ .

٦ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٤٣ .

٧ – باركر ، المرجع السابق ، صـ١٢٢ ؛ صـ٨٥ – صـ٨٦ .

وأيضاً نتج عن العلاقات الودية التي أقاموها مع المسلمين حياة اجتماعية كانت مزيجاً من الحياتين الشرقية الإسلامية والغربية الصليبية ، وأثرت كل منهما علي الأخرى وتداخلت[١]. وبرز عن ذلك أن تأثر الصليبيون بمعظم العادات والتقاليد عند المسلمين حيث يقول أحد الآباء اليسوعين "إن العلاقات بين السوريين والفرنج أدت إلي تقليد الفرنج لعاداتهم في المعيشة وتخلقوا بأخلاقهم "[٢]. فلقد تأثر الصليبيون بالملابس الشرقية [٣]التي كان لها من الفخامة ما لأثاث دورهم[٤]، حيث أقبلوا علي الأقمشة الموصلية والبغدادية والدمشقية [٥].

إلي جانب إطالة الملابس مثل العرب وتحليتها بالجواهر ، واستخدامهم النعال في بيوتهم كالمسلمين ، وأطلق بعضهم لحاهم تشبها بالشرقيين . وكان بلدوين ملك بيت المقدس من أبرز الأمثلة ؛ حيث إنه ارتدى الملابس الشرقية بدل الغربية ، وأطلق لحيته وتناول طعامه علي بساط متربعاً علي الأرض[٦]، وأيضاً ملك بيت المقدس هنرى دى شامبنى الذي ارتدى القبا والشربوس ليتقرب من صلاح الدين[٧].

---

١ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٤٣ .

٢ – أحد الآباء اليسوعين ، المرجع السابق ، صـ٦٦ .

٣ – براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٢٣ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٩ ؛ سعداوى ، المرجع السابق السابق ، صـ١٧١ ؛ محمد مؤنس ، العلاقات بين الشرق والغرب ، صـ١٤٩ .

٤ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٩ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٧١ .

٥ – حتى ، العرب " تاريخ مؤجز " ، (دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٦٥م) ، ط٣ ، صـ٢٤٩ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٧١ .

٦ – سعداوى ، المرجع السابق ،صـ١٧١ – صـ١٧٢ .

٧ – من الخلعة السنية ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ ١٠ ، صـ٢١٣ – صـ٢١٤ .

وتأثرت المرأة الصليبية أيضا بالبيئة الإسلامية ، فارتدت قميصا مرسلاً إلي القدمين [١] وسترة قصيرة أو رداء بكمين [٢] ، وكلها موشاة بخيوط الذهب والجواهر [٣] ، وفي الشتاء كانت ترتدي الفراء مثل زوجها[٤]، وعند الخروج من المنزل اتخذت الحجاب[٥] شأن النساء المسلمات[٦].

واكتسب الصليبيون أيضا العديد من الذوق الشرقي في الأطعمة والأشربة فقد تعرفوا إلي كثير من الغلال ومواد الأطعمة الشرقية مثل السمسم والخروب والأرز والليمون وكان أهم ما تعرفوا إليه مادة السكر ، وأيضاً تعرفوا إلي الروائح العطرية والتوابل[٧].

وتأثر الصليبيون بعادة المسلمين في الاستحمام [٨] ، فعندما كان يتفاخر البعض منهم أنهم لا يستحمون البتة جاء بعد ذلك من ذكر غير ذلك وأن الاستحمام أصبح عادة سيدات الطبقة العليا [٩]. وأصبحت الحمامات بذلك مجالاً واسعًا للتأثير والاحتكاك الاجتماعي بين الطرفين وأيضاً لانتقال العادات والتقاليد بينهم[١٠].

---

١ – سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٧٢ .

٢ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٩ .

٣ – باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة / العرينى) ، صـ٨٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٥٠٩ .

٤ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٩ .

٥ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٩ ؛ سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٧٢ .

٦ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٩ .

٧ – حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٧٩ ؛ العرب ، ط٣ ، صـ٢٤٨ – صـ٢٤٩ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٧٢ – صـ١٧٣ .

٨ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ،صـ١٣٦ – صـ١٣٧ ؛ (تحقيق / السامرائى) ، صـ١٥٥ – صـ١٥٦ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٤٥ – صـ٢٤٦ ؛ محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، صـ٢٦٩ .

٩ – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٩ .

١٠ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٤٦ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٩ .

وأيضاً تأثر الصليبيون بعادات المسلمين في الاحتفالات حيث استعانوا بجوقات الطرب وما صاحبها من آلات موسيقية ومغنيات [١] ، واستخدموا الفتيات الراقصات[٢] ، وكان المسلمون يشاركون يشاركون الصليبيين حفلاتهم وبخاصة حفلات الزواج[٣] .

وعلي الرغم من أن التزاوج يعتبر أحد العوامل الرئيسية في الاختلاط والتفاعل الاجتماعي إلا أنه لم يتم بين المسلمين والصليبيين ببلاد الشام عقد أي زيجات إلا فيما ندر[٤] . ويعتبر مشروع الزواج الذي كان يرجى تحقيقه ولم يتحقق بين الملك العادل و أخت الملك ريتشارد قلب الأسد من أبرز الأمثلة علي ندرة هذه الزيجات[٥] . ويذكر فوشيه الشارترى " إن البعض اتخذ زوجات لهم لا من بنات جلدتهم بل من السوريات أو من الأرمينيات بل وحتى من الشرقيات اللواتي حظين ببركة العماد ، فلدينا هنا أحفاد وأولاد أحفاد"[٦]. وأصبح هذا الجيل الجديد يجمع بين الجنسين العربي والفرنجى ، بل إن بعض الصليبيين الذين استقروا و ارتبطوا بالكيان القومي العربي حيث احتفظت بعض العائلات اللبنانية بأسماء لاتينية مثل Frankish , Crusading , Balduin وغيرها[٧]

وأما عن الصيد الذي ولع به كل من المسلمين والصليبيين[٨] ، فإنه تم الاتفاق بينهما علي تنظيم تنظيم عمليات الصيد ، وفي بعض الأحيان كان الطرفان يجتمعان من أجل المشاركة في الصيد معا[٩] ، وكان الصيد يتم بالبزاة والصقور والكلاب السلوقية

---

١ – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٨ .
٢ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٤٣ .
٣ – ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ٢١٣ .
٤ – الحويرى ، المرجع السابق ،صـ٢٥٩ .
٥ – ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ١٨٩ ، صـ١٩٧ .
٦ – الشارترى ، المصدر السابق ، ط١ ، صـ٢١٨ .
٧ – حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٩٠ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٥٩ .
٨ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٤٣ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٧ .
٩ – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٧ .

وغيرها من أدوات الصيد[١].

ومثل احتياج الصليبيين إلي الأطباء المسلمين مجالاً كبيرًا للتأثير الاجتماعي بينهم حيث قدر الصليبيون كفاءة الأطباء المسلمين ، ويبرهن علي ذلك قيام الملك عمورى باستخدام الأطباء الدمشقيين المهرة عندما مرض ابنه بلدوين الأبرص وعجز الأطباء الصليبيون عن معالجته[٢] ، وأيضاً يوضح ما ذكره أسامه بن منقذ أن عجيب طبهم أدى إلي لجوء الصليبيين إلي المداواة تحت أيدي الأطباء المسلمين ، فلقد ذكر ما حدث للمرأة التي لحقها النشاف والفارس الذي طلع في رجله دمل وما حدث لهم علي يد الطبيب الصليبي مما أدي إلي وفاتهما ، ولكن علي الرغم من ذلك فإنه لم تكن كل حالات المرضى التي يداويها الأطباء الصليبيون تنتهي بالفشل ومثال ذلك ما حدث لخازن الملك الفارس برنارد الذي استطاع أحد أطباء الفرنجة مداواته مما أصابه في ساقه[٣] . ويذكر أيضا الدكتور فيليب حتى أن الصليبيين استخدموا ممرضات من أبناء البلاد [٤] ، ويفسر رنسيمان سبب احتياج الصليبيين إلي أطباء أطباء البلاد بأن ما أصابهم من أمراض اعتبر غريبا عليهم ، وكان أطباؤهم لا يصلحون لعلاجها . فكان من الطبيعي اعتمادهم علي الطب الوطني[٥] .

ويعتبر المستشفي المعروف بالمارستان من أهم ما تبقي من أثار الصليبيين ، وعلي الرغم من أن بناءه كان في عهد الفاطميين إلا أنه تم توسعته بشكل كبير في زمن الصليبيين ، وهذا إلي جانب النزل الذي أقاموه بجانب هذا المستشفي[٦].

---

١ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / السامرائى) ، صـ٢٠٤ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٧.

٢ – عبد الله بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، صـ١١٢ ؛ محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٦٩ .

٣ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٣٢ – صـ١٣٤ ؛ (تحقيق / السامرائى) ، صـ١٥٢ – صـ١٥٣ .

٤ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٧٩ .

٥ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥١٠ .

٦ – عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٦ .

وأما عن نظام الأسرة عند الصليبيين في بلاد الشام وأوضاعها فإنه لم يختلف عن الوضع المتبع في غرب أوربا في تلك الفترة[١] ، وبالنسبة للمرأة وحقوقها داخل الكيان اللاتيني الشرقي فإن القوانين الكنسية اهتمت بحماية حقوق المرأة وخصوصا حقوقها المادية فعلي سبيل المثال إذا أرادت أن تبيع شيئا من ممتلكاتها فكان عليها أن تحضر إلي المحكمة لتقر البيع بنفسها ، وكانت المرأة تعامل معاملة الشخص القاصر الذي يجب حمايته من جانب الدولة . ولقد كان هناك بعض القوانين التي تبرز مدي أهمية وضع المرأة داخل المجتمع اللاتيني ، فلقد كان يوجد قانون يمنع الزوج من طرد زوجته المصابة بمرض مزمن إلا إذا قام بإثبات ذلك[٢] ، وهذا إلي جانب أن المرأة المتزوجة عندما تريد أن تلجأ إلي القضاء كان يجب عليها أن تحصل علي موافقة الزوج حتى ولو كان سبب ذلك جريمة قتل[٣] ، وعندما يتم استدعاؤها إلي المحكمة كان يتم ذلك داخل قاعة مغلقة ؛ ولذلك فإن وضع المرأة في المجتمع اللاتيني الشرقي هو نفسه وضعها في المجتمع اللاتيني الغربي[٤].

وبالنسبة لظاهرة الانحلال الخلقي التي برزت بوضوح في تلك الفترة ، فلقد كان من أسبابه أن طبيعة الحروب الطويلة أدت إلي وجود عدد كبير من شباب الغرب الأعزب بعيدا عن موطنهم لفترة طويلة[٥] ، ولقد استنكر ابن منقذ هذا الانحلال الخلقي وبخاصة عندما يذكر المرأة التي يراها زوجها مع مع شخص آخر في حجرة نومهما ، وأيضاً من موقف الرجل الآخر الذي ترك امرأته لصديقه يتحدث معها بينما ينتظرها الزوج[٦] .

---

١ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٩٦ .

٢ – حسن عبد الوهاب حسين ، دراسات في تاريخ الحركة الصليبية " التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية " ، (دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٧م) ،صـ١٦٢ – صـ١٦٣ .

٣ – كان نص القانون " أن المرآة المتزوجة لا تستطيع أن تلجأ إلي العدالة ولو كان هدف اللجوء هو جريمة قتل إلا بعد أن تحصل علي موافقة الزوج " ؛ حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، صـ١٦١ .

٤ – نفسه ، صـ١٦١ ، صـ١٦٣ ، صـ١٦٨ .

٥ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٩٧ .

٦ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٣٥ – صـ١٣٦ ؛ (تحقيق / السامرائى) ، صـ١٥٤ – صـ١٥٥

ولقد ظهرت عدة أمراض أخلاقية بسبب الأوضاع التي عاش فيها الصليبيون في بلاد الشام كان منها انحراف بعضهم نحو الشذوذ الجنسي[١]. بحيث انتشر في ذلك العصر انتشارا كبيرا لأسباب منها الحروب التي لم تكن تخمد نارها إلا لتعود إلي الاشتعال من جديد ، وقد شغلهم ذلك عن الاستقرار الذي يترتب عليه تكوين الأسرة [٢]. ولذلك برزت فكرة جلب نساء من غرب أوربا وجزر البحر المتوسط[٣]، ويذكر العماد الأصفهانى "وصول مركب بها عدد من الإفرنجيات المستحسنات جاءوا لإسعاف الغرباء وإسعاد الأشقياء "[٤].

وعلي الرغم من ذلك فإن وجود العاهرات في الحروب الصليبية أزعج بعض المؤرخين فقالوا إن العاهرات وغيرهن ممن علي شاكلتهن قد لوثت الجيوش الصليبية وأصبن الجند بعدوى رذائلهن[٥].

ولقد اعترف المؤرخون الصليبيون بوجود ظاهرة العاهرات داخل المجتمع الصليبي والتي اشتهرت بها مدينة كبيرة مثل عكا[٦] والتي اشتهرت بوجود حي بها مخصص لأعمال الدعارة عرف بالحي الأحمر ، وأيضاً كان من رجال الدين المسيحيين التابعين للكنسية من قام بتأجير أماكن العبادة من أجل أن تمارس الدعارة فيها لما تدره عليهم من أرباح كبيرة[١].

ولقد كانت الغالبية العظمى من الملاحظات الخاصة بالنساء في كتابات الحروب الصليبية ترتبط بالإغراءات الجنسية التي قدمنها للرجال وخضوع الرجال لهن مما دفع المؤرخين أن يرجعوا سبب جميع النكسات التي منى بها الجيش الصليبي إلي الممارسات الجنسية ؛ لذلك لجأ القادة الصليبيون إلي تجنب

---

١ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ٣٩٧ ؛

Mills, op. Cit., PP.

٢ – محمد سيد كيلانى ، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ، (مطبعة دار الكتاب العربي ، ١٩٤٩م) ، صـ٤٠ .

٣ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ٣٩٧ .

٤ – الحنبلي ، الانس الجليل ، جـ١ ، صـ٣٦٢ ؛ الأصفهانى ، المصدر السابق ، صـ٣٤٧ – صـ٣٤٨ .

٥ – حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، صـ١٧٣ .

٦ – جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي ، صـ٣٢١ ؛ محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي الصليبي ، صـ٢٦٦.

الإغراءات عن طريق إبعاد النساء بصفة مؤقتة . كما لجأوا إلي طقوس الاستغفار والتطهير الروحي أيضا قبل المعارك الحاسمة ، وهذا إلي جانب ما قام به القادة من إصدار مرسوم ينص علي معاقبة من يخرق القواعد الخاصة بالسلوك الجنسي[٢].

وكان من هذه العقوبات أنه يتم تجريد الزاني والزانية من ملابسهما ويجبران علي المشي حول الجيش وأيديهما مكبلة خلف ظهريهما والجلادون يضربونهما بشدة بالعصي حتى يخاف الآخرون من رؤيتهم لتلك المعاملة القاسية فلا يقعوا في نفس الجريمة ، ويتضح ذلك من خلال قضية الراهب وعشيقته اللذين تم إدانتهما بالزنا عن طريق التعذيب بالحديد المتوهج والجلد بالسياط عاريين داخل المعسكر الصليبي . وأيضاً كانت هناك عقوبة طبقت علي من يقوم من الرجال اللاتين بإقامة علاقات جنسية غير شرعية مع النساء المسلمات فإنه إذا ثبت أن أحداً ضاجع امرأة مسلمة برضاها يخصي الرجل ويقطع أنف المرأة ، وكانت تنطبق هذه العقوبة علي الرجل المسلم إذا مارس الجنس مع امرأة مسيحية[٣].

ويقول غوستاف لوبون عن ذلك أن عدد الصليبيين عندما خرجوا من أوربا كان يمكنهم من فتح العالم إلا أن المجاعة والأوبئة والدعارة إلي جانب المنازعات لم تبق منهم إلا عددا ليس بكثير عند بلوغه بيت المقدس[٤].

---

[١] – محمد مؤنس ، دراسات شرق أوسطية "أضواء علي الطب " ،صـ١٦– صـ١٧ .

[٢] – حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، صـ١٧٤ – صـ١٧٦ .

[٣] – نفسـه ، صـ١٧٦ – صـ١٧٩ .

[٤] – غوستاف لوبون ، المرجع السابق ، صـ٣٢٦ .

أما بالنسبة لتأثر النشاط الثقافي والتراث الفكري فإن الحياة العقلية كما يقول رنسيمان كانت مخيبة للآمال وذلك لأن المجتمع الشرقي الفرنجي كان يتكون من الجنود والتجار ولذلك لم يكن قادراً علي خلق مستوي فكري رفيع[١] ، هذا إلي جانب أنه لم تتح للصليبيين الحياة المستقرة في الشرق والتي تكون ضرورية لممارسة النشاط الفكري والحضاري [٢] ، ونضيف إلي ذلك أن ثقافة الفرنج كانت أقل من ثقافة المسلمين ، وأيضاً التعصبات الدينية والعداوات بين الطرفين وأيضاً الحاجز اللغوي ، كل هذا مثل عقبة أمام التفاعل الفكري بين المسلمين والفرنج في بلاد الشام[٣]. وليس معني هذا أن التبادل الثقافي انعدم بين الطرفين في فترة الحروب الصليبية ، ولكن هذه الحروب كان يتخللها فترات هدنة طويلة كان يعيش الطرفان في سلام مع بعضهم البعض[٤] ، ولكن التبادل الثقافي الذي حدث كان محدود المدى و الأثر حيث انحصر بين الشرق وجزء محدود من الغرب[٥].

ولإحقاق الحق فلقد صحب الحروب الصليبية بعض من النشاط الحضاري والفكري . بحيث وجد من استقر من الغربيين في الأراضي المقدسة ومنهم من كتب في التاريخ وفي القانون[٦]. ولأن اللغة هي هي وسيلة التحاور بين الناس وهي التي يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن أرائه[٧]؛ ولذلك كانت اللغة

ضرورية للتبادل الفكري بين الطرفين ، وبما أن العنصر الفرنسي هو العنصر السائد اجتماعياً وثقافياً[٨] في المجتمع الفرنجى داخل بلاد الشام فإنه علي الرغم من أن اللغة اللاتينية هي اللغة التي

---

١ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ٨١٧ .

٢ – سعيد عاشور ، حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطي ، (دار النهضة العربية) ، صـ٢٦١ .

٣ – حتى ، العرب ، ط٣ ، صـ٢٤٦ ؛ لبنان في التاريخ ، صـ٣٨١ ؛ حتى ، وآخرون ، تاريخ العرب ، جـ٢ ، صـ٧٨٤ ؛ سعداوي ، المرجع السابق ،صـ١٨٣ .

٤ – عفاف صبرة ، المستشرقون ، صـ٢٤ .

٥ – الياس ابو شيكه ، روابط الفكر و الروح " بين العرب والفرنجة " ، (منشورات دار المكشوف ، ١٩٤٥م) ، ط٢ ، صـ١٩ .

٦ – عاشور ، المرجع السابق ، صـ٢٦٢ .

٧ – عبد الله بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، صـ٢٩ .

٨ – براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٩٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٠ .

كانت تستخدم في المراسلات[١] إلا أن اللغة الفرنسية كانت لغة التحدث بين السكان[٢]حيث كانت اللغة المستخدمة في المملكة اللاتينية هي لغة وسط وجنوب فرنسا ، وكانت أنطاكية تستخدم اللغة الفرنسية النور ماندية ، وطرابلس تستخدم اللغة الأوكسبتاتية Occitan أو البروفنسالية[٣].

هذا فضلا عن الجاليات الإيطالية التي امتلكت أماكن عديدة داخل المناطق الفرنجية ببلاد الشام مثل الجنوية والبنادقة والبيازنة والأمالفين وغيرهم من المدن التجارية الإيطالية الذين صحبوا الفرنج عند دخولهم بلاد الشام . فكانوا يتحدثون اللغة الإيطالية [٤]، ونقلوا أيضا إلي الشرق لهجاتهم المحلية[٥].ونظرا لتعدد اللغات التي استخدمها هؤلاء التجار في موانيء الشام الفرنجية ؛ فقد نشأت لغة مشتركة Lingua Franca ، والتي كانت عبارة عن تداخل بين اللغات الفرنسية والإيطالية واليونانية والعربية[٦] ، وذلك ينطبق مع ما ذكره فوشيه الشارترى بقوله: " لجأ الناس إلي استعمال التعابير والبيان من لغات شتى في التحادث فيما بينهم ، فأصبحت الكلمات من اللغات المختلفة ملكية مشتركة تعرفها كل أمة[٧].

---

١ – براور ، المرجع السابق ، صـ١٩٥ .

٢ – براور ، المرجع السابق ، صـ١٩٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٦٧ ، صـ٤٧٠ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٩٦ ؛ كرد على ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٨١ .

٣ – إن لغة التخاطب في مملكة بيت المقدس وإمارة أنطاكية هي لغة شمال فرنسا Langue d'oeil ، ولغة الأوك Langue d'oc كان أول استخدامها في كونتية طرابلس ؛ انظر ، براور ، المرجع السابق ، صـ١٩٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٠ .

٤ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧١ .

٥ – عفاف صبرة ، العلاقات بين الشرق والغرب " علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠ – ١٤٠٠م " ، (دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م) ،صـ٢٥١ .

٦ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٤٦ .

٧ – الشارترى ، المصدر السابق ، ط١ ، صـ٢١٨ .

وعلي الرغم من أن العرب المسلمين لم يقبلوا علي تعلم لغة الفرنج وذلك لأنهم كانوا يرونها ثقيلة علي أنفسهم أن يتعلموا لغة أعدائهم وهم الذين يتحدثون لغة القرآن الكريم[١] وتشير الدلائل إلي أن أسامة بن منقذ – وهو أكثر المثقفين المسلمين احتكاكاً بالفرنج – لم يكن يعلم بلغتهم ، ونستدل علي ذلك من حديثه عن المرأة الفرنجية التي تعلقت به أثناء اجتيازه السوق ولم يستطع أن يفسر ما تقوله إلي أن جاء صديقه من الفرنج وخلصه من يدها وترجم له كلامها حيث ذكر أسامة " أنها كانت تبربر بحديث لم يفهمه" [٢] ويذكر أيضاً عارف العارف " أن الحملة الصليبية لم تؤثر علي البلاد من حيث اللغة ، إذ ظل سكانها عرباً ، ويتكلمون اللغة العربية[٣].

وعلي العكس مما سبق فإن أكثر أمراء الإفرنج قاموا بتعلم اللغة العربية[٤]. ويأتي المؤرخ وليم الصورى علي رأس الذين اهتموا بدراسة اللغة العربية[٥] ، والذي يعتبر من أهم المؤرخين المعاصرين لفترة الحروب الصليبية ؛ فلقد قام الصورى بناء علي طلب الملك عمورى ملك بيت المقدس بتأليف كتاب عن تاريخ الشرق والغرب منذ ظهور الإسلام إلي تلك الحقبة ، ولقد تناول فيه الحديث عن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعن أمراء الشرق أجمعين معتمدا علي المصادر العربية واليونانية وتاريخ سعيد بن البطريق ، وأطلق الصوري علي هذا الكتاب اسم تاريخ العرب Une Historia Sara Cenorum ، ولكن للأسف لم يتبق من هذا الكتاب سوي ما نقله منه بعض مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي .ولقد شارك الصورى في هذا الميدان همفرى صاحب تورون والملك بلدوين الثالث والملك عمورى الأول[٦] و

---

١ – حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٩٠ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٩١ .

٢ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٤٠ – صـ١٤١ ؛ (تحقيق / السامرائى) ، صـ١٦٠.

٣ – عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٦ .

٤ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٠ – صـ٣٩١ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ،جـ١ ، صـ٨١ ، جـ٤ ، صـ٣٩ .

٥ – أحد الآباء اليسوعين ، المرجع السابق ، صـ٦٨ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٠ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ،صـ١٨٤ .

٦ – سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٨٤ – صـ١٨٥ .

أيضاً وليم الطرابلسي وأميرا قلعة الشقيف والكرك ، كما شارك ريموند الثالث ملك طرابلس الذي تعلم اللغة العربية أثناء وقوعه في الأسر في حلب عام ١١٦٥م[١].

وممن تعلم اللغة العربية أيضا كان أرناط صاحب صيدا ويتضح ذلك من قول ابن شداد : " إنه عندما كان صلاح الدين يحاصر شقيف أرنون بجيشه دخل أرناط إليه في خيمته و تحدثا معا دون مترجم " ويقول أيضا عنه:"إنه كان يعرف بالعربية وعنده اطلاع علي شيء من التواريخ "[٢]. ويبدو أن أمراء الإفرنج وإقطاعييهم وتجارهم [٣] ورهبانهم وجدوا أن من الخير لهم أن يتعلموا اللغة العربية ؛ فعندما أرسل راشد الدين سنان زعيم طائفة الإسماعيلية وفداً إلي لويس التاسع احتاج الرسل إلي مترجمين من الإفرنج لينقلوا الرسالة بواسطتهم [٤] ، وعندما أرسل لويس التاسع سفيرا إلي الإسماعيلية في قلاعهم اختار الراهب الدومينيكانى ايف لى بريتون Yvesle Breton لمعرفته الجيدة للغة العربية[٥].

وبذلك انسابت بعض الكلمات والمصطلحات العربية في اللغات الغربية[٦] و بعض الكلمات الغربية في اللغة العربية . وتمثلت بعض الكلمات الغربية كما يذكر باركر في إنْبِرور Imperator ، قَسْطَلْ Castellum ، وبُرْجْ Burgus ، غِرْشى Grossus [٧].ويضاف إلي ذلك ما استخدمه العديد من من مؤرخي تلك الفترة من ألفاظ و اصطلاحات ، وذلك علي الرغم من إحجامهم عن تعلم لغة الفرنج مخالفين بذلك قول رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو " من تعلم لغة قوم أمن شرهم "[٨].

---

١ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٠ – صـ٣٩١ .
٢ – ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ٧٩ – صـ٨٠ .
٣ – حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٠ – صـ٣٩١ .
٤ – نفســه ، صـ٣٩١ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٢١ .
٥ – نفســه ، صـ٢٢١ .
٦ – باركر ، الحروب الصليبية ، (عربة / على أحمد عيسى) ، صـ١١١ ؛ عاشور ، حضارة ونظم أوربا ، صـ٢٦٢ .
٧ – باركر ، المرجع السابق ، صـ١١١ .
٨ – سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٩٢ .
* تركبولى : هم الذين تم تجنيدهم من السكان المحليين علي يد الفرنجة ، وكانوا ينحدرون من والدين يعتنقان دينتين

ومن هؤلاء المؤرخين – والذين يمكننا أن نعتبره في مقدمتهم لأنه كان الأكثر تعاملا معهم – أسامة بن منقذ ، فلقد استخدم كلمات منها تركبولى* Turcopole ، وسرجندى[١] و برجاس Bourgeoisie ، والداما Madame ، والبسكند Viscount[٢] ، وأيضاً ما تناوله ابن شداد في كتابه النوادر السلطانية من كلمات مثل كلمة الترم ، حيث يقول : " ما يقضيه هذا الترم " ، وأيضاً كلمة الانكتار فيقول : " وأمر الانكتار باقي الناس " [٣] ، وقول العماد الأصفانى " الكنيسة المعروفة بصندحنة " ، ويبدو أن كلمة صند هي تحريف للكلمة الفرنسية Saint بمعني القديسة[٤] .

وكما أدخل المؤرخون المسلمون مصطلحات وكلمات إفرنجية في كتاباتهم فإن الصليبيين نقلوا مفردات عربية إلي لغاتهم الغربية[٥] ، ويذكر باركر عن ذلك " إن الكلمات العربية التي استعيرت إلي اللغات الغربية وفيرة "[٦]. مثل الكحول Alcohol والفضة Alfalfa ، والقلوي Alkali ، والجبر Algebra ، والسمت Azimuth ، والذروة Zenith ، قافله Caravan ، وترجمان Dragoman ، وجرة Jar ، وشراب Surup [٧] ، وأيضاً ألفاظ متعلقة بالتجارة البحرية مثل تعريفة Tariff ،والسخرة Corvette . وكذلك ألفاظ مرتبطة بالآلات الموسيقية مثل العود Lute ، والنقارة Naker [٨].



مختلفتين ؛ الڤيترى ، المصدر السابق ، صـ١٥٤ .

١ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / السامرائى) ، صـ٧٣ ، صـ٩٧ – صـ٩٨ .

٢ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٣٦ ، صـ١٣٩ ، صـ١٤١ ؛ (تحقيق / السامرائى) ، صـ١٣٥ ، صـ١٥٥ ، صـ١٥٨ ،صـ١٦٠ .

٣ – ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ١٦٤ – صـ١٦٥ .

٤ – العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، صـ١٤٥ .

٥ – عبد الله بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، صـ٣٦ – صـ٣٧ .

٦ – باركر ، المرجع السابق ، صـ١١١ .

٧ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٢٨ – صـ٢٢٩ .

٨ – باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة / العرينى) ، صـ١٩٤ .

وبالنسبة للتعليم في الشرق الفرنجى فإن الصليبيين قصدوا بلاد الشام لا لطلب العلم ولكن للحرب[١] ، ولذلك فقد كان تلقي التعليم يتم داخل المدارس الملحقة بالأديرة والكنائس[٢] أو ببلاط الملوك الملوك والأمراء ، ويدل علي ذلك أن قادة الفكر من رجال السياسة والدين ذهبوا إلي فرنسا لإكمال تعليمهم والاستزادة من الدراسات العالية أمثال وليم الصورى وأيمرى Aimery أمير انطاكية و جيمس دى فيترى أسقف عكا[٣]. ويذكر براور بقوله : " إنه من الصعب التأكد من درجة تعليم نبلاء الفرنج " ، وأما الشرائح الدنيا من النبلاء فهناك شك فيما إذا كانت درجة تعليمهم تماثل درجة تعليم النبلاء الآخرين[٤] ، ولكنه يقول في موضع أخر : " إنهم لقنوا مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وأيضاً كانت لهم معرفة سطحية باللاتينية بحيث يمكنهم استكمال الحسابات والتقارير و كذلك كتابة مذكرة حول العقود التي كان موثق العقود الرسمي يقوم بتحريرها " ، وكانوا يحاولون أثناء كتاباتهم باللغة اللاتينية إدخال بعض التغيرات الفرنسية والإيطالية[٥]. وكان متوسط المستوي التعليمي بين الإيطاليين أعلي من المستوى بين الفرنجة[٦].

أما المسلمون الذين كانوا تحت السيطرة المباشرة للصليبيين ، فإنهم لم يستطيعوا ممارسة النشاط العقلي كما يجب ، ويرجع ذلك إلي وضعهم غير المستقر. وحتى المدن التي كانت بعيدة عن أيدي الصليبيين كانت الحياة العقلية منحدرة في بعض منها[٧] مثل حلب التي خلت من العلماء بسبب تهديد

---

١ – عاشور ، المرجع السابق ، صـ٢٦١ .

٢ – براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٣٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ط٢ ، صـ٨١٨ ؛ سعداوى ، المرجع السابق السابق ، صـ١٨٨ .

٣ – سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٨٨ .

٤ – براور ، المرجع السابق ، صـ١٥٣ .

٥ – نفســه ، صـ١٣٥ .

٦ – نفســه ، صـ١٦٢ .

٧ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٢٢ .

الصليبيين لها ، وأصبح الناس فيها يأخذون النحو من أبي السخاء فتيان الحلبى[١] ، ولكن لم تلبث حلب أن استعادت مركزها العلمي حتى أصبحت أم البلاد ومملوءة بالعلماء[٢].

وعند سقوط المسجد الأقصى في يد الصليبيين (بسقوط بيت المقدس) اختفي فيه صوت العلم ما يقرب من تسعين عاماً إلي أن تم فتحه علي يد صلاح الدين الذي اهتم بإرجاع مكانته العلمية مرة أخري[٣] ، وأيضاً انطفأ مصباح العلم في طرابلس التي كانت من أعظم مواطن العلم في بلاد الشام[٤]

الشام[٤]

وقد أدركت القيادات الإسلامية في تلك الفترة أهمية إحياء فكرة الجهاد لمواجهة الصليبيين وإمكانية تحقيق ذلك بإنشاء المدارس والربط والخوانق والزوايا إلي جانب استقدام علماء الأمصار للتدريس في المدارس . بحيث أخرجت هذه المؤسسات التعليمية أجيالا متحمسة لمواجهة الغزو الصليبي لبلادها[٥]، واستطاع العلماء والمتدينون خلق مناخ للرأي العام جعل من الصعب أن يتجنب الحكام في الشام ومصر المواجهة المباشرة للوجود الصليبي[٦].

واعُتبر أيضاً إنشاء دور التعليم سبباً أساسياً وحيوياً لتنشيط الحركة العلمية لما شملته من مدرسين وطلاب وما يقرر فيها من دروس ؛ لأنها البيئات الطبيعية لنمو العلم وازدهاره[٧].

---

١ – أبي السخاء الحلبى : هو حائك من عوام حلب ، قرأ شيئا عن النحو وفهم أوائله ؛ أحمد أحمد بدوى ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، (مكتبة نهضة مصر) ، صـ٢٥ .

٢ – أحمد بدوي ، المرجع السابق ، صـ٢٥ .

٣– نفســـه ، صـ٢٦ .

٤ – أحمد بدوى ، المرجع السابق ، صـ٢٩ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٥٣ ، صـ٣٥٥ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ١٩٧ ؛ محمد مرسى الشيخ ، الإمارات العربية ، صـ٢٧٤ ، صـ٤٣٥ – صـ٤٣٦ .

٥ – محمد مؤنس ، التنظيمات الدينية ، صـ٥٧٧ .

٦ – قاسم عبده قاسم ، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية ، (دار الموقف العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣م) ، صـ٢٣ .

٧ – محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي " في الحركة العلمية " ، (مكتبة الأداب بالجماميز ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م) ، مجـ٣ ، صـ٢٧

ولذلك كانت المدارس[*] في تلك الفترة أشبه بجامعات ومعاهد التعليم العالي[١] ، وكان إنشاء أول مدرسة علي يد بدر الدولة سليمان بن أرتق بحلب في عام (٥١٥ هـ)[٢] ، وسار علي دربه السلاطين والأمراء ، من أشهرهم نور الدين محمود[٣] فقام بإنشاء المدارس في جميع بلاد الشام وغيرها مثل دمشق وحلب وحمص وحماة وبعلبك ومنبج والرحبة[٤].

وأخذ نور الدين يستدعي أشهر العلماء من الأقطار حتى أصبحت الشام علي عهده مقر العلماء والفقهاء[٥] ، ومن هؤلاء العلماء قطب الدين النيسابورى[٦] ، وجاء في كتاب الروضتين أنه سر به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق[٧] ، وأيضاً من العلماء شرف الدين بن أبي عصرون فكان نور الدين يبني لهم المدارس ويغدق عليهم وعلي مريديهم أنواع الإحسان والرواتب[٨].

وجاء صلاح الدين مقلداً لنور الدين حيث اهتم صلاح الدين ببناء المدارس لأسباب من أهمها إثارة التحمس الديني ضد الفرنج في الحروب الصليبية[٩] ، ويرجع الفضل إلي صلاح الدين في إدخال المدارس إلي القدس[١٠] ، وكانت المدرسة الصلاحية من أولي المدارس التي أنشأها الأيوبيون وأشهرها[١] ، ومن أهم

---

*– عن تعريف المدارس ، انظر : محمد كرد ، المرجع السابق ، صـ٦ ، صـ٦٨ .

١ – عبد الرحمن الرافعى ، عاشور ، المرجع السابق ، صـ٣٩٤ .

٢ – أحمد بدوى ، المرجع السابق ، صـ٧٠ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٣٨ .

٣ – جرجى زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ٣ ، صـ٢٠٠ ؛ عبد اللطيف حمزه٠ ، المرجع السابق ، صـ٨٢ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٣٨ .

٤ – أحمد بدوى ، المرجع السابق ، صـ٣٠ ، صـ٧٠ ، صـ٧٢ ، صـ٧٤ ؛ حتى وآخرون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٧٨١ ؛ جرجى زيدان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ٢٠٠ ؛ عمر موسى ، المرجع السابق ، طـ٢ ، صـ١٠٦ .

٥ – حامد غانم ، المرجع السابق ، صـ٢٠٥ ؛ كرد على ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ٦٨ .

٦ – محمد كرد على ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٣٩ .

٧ – ابو شامه ، المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، صـ٥٤٥ .

٨ – محمد كرد على ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٣٩ .

٩ – عبد اللطيف حمزه ، المرجع السابق ، صـ٨٢ .

١٠ – حتى وآخرون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٨٨٢ ؛ محمد كرد على ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ٦٨ ، صـ١١٨ – صـ١١٩ .

أهم المدارس في بيت المقدس المدرسة الفارسية والنحوية والناصرية[٢]. وشجع الأيوبيون – أيضاً – العلماء ، فكانوا يكرمون من يرد إليهم من المشايخ وأرباب العلم والفضل وذوي الأقدار[٣].

وكانت حركة تشييد المدارس للمشاركة في إعداد جماهير المسلمين للجهاد حركة عامة أثناء تلك الفترة[٤] ؛ فلقد كان لنساء البيت النورى والأيوبي دور في إنشاء المدارس في بلاد الشام ، فبنت زوجة نور الدين محمود وصلاح الدين من بعده المدرسة الخاتونية ، وأيضاً ست الشام أخت صلاح الدين التي قامت ببناء مدرستين للشافعية هذا إلي جانب العديد من نساء البيت الأيوبي[٥] ، ويضاف إلي ذلك الدور الذي قامت به الربط والزوايا وبخاصة ربط القدس وزواياها[٦].

وكان من الضروري وجود مكتبات ضخمة يرجع إليها المدرسون والطلاب ليعتمدوا عليها في التحصيل و الاستزادة[٧] ، وكانت أشهرها دار الحكمة بطرابلس[٨] ، والتي تم تدميرها عن أخرها عند فتح الصليبيين لطرابلس[٩] ، وعندما تولي نور الدين الشام قام بإنشاء المدارس التي جعل فيها الخزائن للكتب وعرفت بالخزائن النورية واتبعه في ذلك الأيوبيون[١].

وأحدثت الحروب الصليبية أيضا حركة قوية في ميدان التأليف ؛ وذلك بقيام مجموعة من المسلمين الذين عجزوا عن الجهاد بالسيف لاتخاذ التأليف ميدانا للكفاح والنزال والدفاع عن الدين

---

١ – عبد العزيز عبد الدايم ، بيت المقدس في العصر الأيوبي ، صـ١٧٤ .
٢ – الحنبلى ، الأنس الجليل ، جـ٢ ، صـ٣٣ – صـ٣٤ .
٣ – عمر موسى ، المرجع السابق ، ط٢ ، صـ١٠٨ .
٤ – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٨٢ .
٥ –بدوى ، المرجع السابق ، صـ٣٧ – صـ٣٩ .
٦ – الحنبلى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٣ ، صـ٢٣ ، صـ٣٤ ؛ كرد على ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ١٥٢ ، صـ١٥٤ .
٧ – عبد الرحمن الرافعى ، عاشور ، المرجع السابق ، صـ٣٩٤ .
٨ – أحمد بدوى ، المرجع السابق ، صـ٢٧ – صـ٢٨ ؛ كرد على ، المرجع السابق ، جـ٦ ، صـ٦٨ .
٩ – جرجى زيدان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ٢٠٧ ؛ عبدالعزيز عبدالدايم ، إمارة طرابلس ، صـ٥٩ .

الإسلامي[٢] مثل ابن قيم الجوزية الذي ألف كتباً منها : " هداية الحيارى من اليهود والنصارى " ، و " إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان " ، والغزالي في كتب منها " جوهر القرآن " ، " فضائل القرآن " ، ولابن تيمية أيضا كتب منها " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "[٣].

وأوجدت الحروب الصليبية حماسة دينية جعلت للعلوم الشرعية مكانة في مناهج الدراسة ، وسرت في أمهات المدن الفلسطينية نهضة لتدريس هذه العلوم مثل بيت المقدس والخليل ونابلس وغيرها[٤].

ولقد لقيت العلوم العملية رواجاً كبيراً لشدة حاجة المجتمع إليها وبخاصة العلوم التي لها علاقة بحياة الإنسان أو بأساليب الحرب[٥] ، فظهور الحاجة إلي توفير الرعاية الطبية لعناصر

---

١ – جرجى زيدان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ٢٠٧ ؛ عبد الرحمن الرافعى ، عاشور ، المرجع السابق ، صـ٣٩٤ .

٢ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ١٢٥ ، صـ١٤٨ .

٣ – نفسه ، صـ١١٧ ، صـ١٢٥ ، صـ١٤٩ .

٤ – سليمان إسحق عطية ، تاريخ التعليم في فلسطين علي عهد سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (كلية الأداب بجامعة القاهرة ، ١٩٥٧م) ، صـ٣٨ .

٥ – عمر موسى ، المرجع السابق ، طـ٢ ، صـ١٥٢ .

الصليبيين[١] أدى إلي حرصهم علي الاهتمام بالناحية الطبية ، حتى أصبح الطب في دائرة الصراع بين الصليبيين والمسلمين فكانت هناك مواجهة حضارية بينهما سعي فيها الصليبيون إلي الاستفادة من علوم المسلمين الطبية[٢] ، وتمثل ذلك في كتاب " كامل الصناعة الطبية " أول الكتب العربية التي تم نقلها من العربية إلي اللاتينية علي يد أسطفان الانطاكى[٣] .

أما العلوم الجغرافية والفلكية ، فقد نشطت في هذا العصر نشاطاً ملموساً ، وكثرت فيها المصنفات ؛ فكان أشهرها كتاب " تقويم البلدان " لأبي الفداء ملك حماة[٤] "معجم البلدان" لياقوت الحموي ، ومن الفلكين أبو الفضل بن ياسين الحلبى ومؤيد الدين العرضي الدمشقي وعبد الله الجماعيلى[٥].

وكثرت الوثائق السياسية التي كانت تصدر من ملوك المسلمين وحكامهم خلال هذه الحروب والاتفاقيات التي عقدت بين المسلمين والصليبيين أثناء الحروب الصليبية ، فقام محمد بن المكرم صاحب " لسان العرب " بجمع عدد كبير منها في كتاب سماه " تذكرة اللبيب ، ونزهة الأديب "[٦]. وأيضاً ظهرت كتب عديدة في علم السياسة و تدبير شئون الرعية ، منها كتاب " المنهج المسلوك في سياسة الملوك " لأبي الفضائل عبد الرحمن بن عبد الله[٧].

ولقد نما علم التاريخ بصفة عامة وألفت فيه كتب ضخمة مازلنا ننتفع بما وصل إلينا منها[٨] ، ومنها "الاعتبار" لأسامة بن منقذ ، "العب في خبر من غبر" للحافظ الذهبي ، و"الكامل في التاريخ" ،

---

١ - محمد مؤنس ، أضواء علي الطب في المناطق الصليبية ، صـ١٠ .

٢ - نفســه ، صـ٣٤ .

٣ - حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٨١ ؛ عفاف صبرة ، المستشرقون و مشكلات الحضارة ، صـ٢٥ .

٤ - عمر موسى ، المرجع السابق ، ط٢ ، صـ١٤٧ - صـ١٤٨ .

٥ - نفســه ، ط٢ ، صـ١٤٨ - صـ١٤٩ .

٦ - محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٧١ .

٧ - نفســه ، صـ١٥٥ .

٨ - محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ١٥٣ .

"التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل" لابن الأثير ، "والبداية والنهاية " لابن كثير ، رحلة ابن جبير ، و" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " لابن شداد ، وهذا إلي جانب العديد من الكتب التي من الصعب إحصاؤها والتي تم الاعتماد علي بعض منها في هذا البحث .

وبذلك فإن التحدي الصليبي للشخصية المسلمة (قد ترجم إلي استجابة إبداعية تمثلت في كثير من العلماء الذين زخرت بهم تلك المرحلة)[١] ؛ فسطرت الكتب ودبجت الرسائل التي تتحدث عن الجهاد وفضل المجاهدين وعن مكانة بيت المقدس وأهميته بالنسبة للمسلمين[٢].

وتأثر الأدب العربي بالحروب الصليبية التي مثلت مسألة حياة أو موت للمسلمين فإما الانتصار ليعيشوا آمنين مطمئنين أو أن تذهب مقومات حياتهم بالهزيمة ؛ فنتج عن ذلك عاطفة دينية جبارة لا تعرف الرفق ولا الهوادة ، وأصبح الأدب الذي أنتجته هذه الحروب أدبا عاطفيا قويا تغذيه عاطفة الدين والجنس واللغة[٣] ، وأثناء ذلك قام الأدب العربي في بلاد الشام بدور كبير في حث جمهور المسلمين علي الصراع مع الصليبيين ، ولقد عبر الأدب عن قضية الجهاد في صورتين أساسيتين هما النثر و الشعر ، فتمثل الإنتاج النثري فيما ألف في مجال الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتفنيد مزاعم النصارى واليهود ، وصورت الخطابة شكلا أخر من أشكال النثر[٤] حيث شهد عصر الحروب الصليبية تفوقا واضحا للخطابة ودورها في إثارة نفوس المسلمين للقيام بالجهاد لقتال الكفار أعداء الإسلام[٥].

١ – محمد مؤنس ، أضواء علي الطب ، صـ٢٨ .
٢ – قاسم عبده ، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية ، صـ٢٣ .
٣ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٥٣ .
٤ – محمد مؤنس ، التنظيمات الدينية ، صـ٨٨ ، صـ٩٢ – صـ٩٣ .
٥ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٣٦ ، صـ٥٤ ؛ عبد اللطيف حمزة ، أدب الحروب الصليبية ، (دار الفكر العربي ، ١٩٤٨م) ، ط١ ، صـ٢٠٣ – صـ٢٠٤ ، صـ٢٠٦ .

وازدادت ثروة الأدب العربي في تلك الفترة من الرسائل التي كان يتم تبادلها بين ملوك المسلمين إما لطلب النجدة أو الشكر علي معونة وللبشارة بفتح حصن أو مدينة ، وأمهر من تناول كتابة هذه الرسائل[١] القاضي الفاضل والعماد الأصفهانى[٢] و ابن الأثير ومحي الدين بن عبد الظاهر[٣]

وكان للصبغة الدينية التي تميزت بها الحروب الصليبية أثر كبير في الشعر العربي الذي غلبت العاطفة الدينية علي أكثر موضوعاته[٤] ، فظهرت القصائد الطوال في مدح الرسول – صلي الله عليه عليه وسلم – وهجاء النصارى واليهود . ومن أمثلة ما قيل في النصارى ...

يغالطني بعض النصارى جهالة ∴ إذا أوجب الملغي وأُلغي الموجبا

وفي اليهود :

وحللت اليهود بحفظ سبت ∴ لهم مال الطوائف أجمعينا[٥]

وأخذ الشعراء علي عاتقهم إلي جانب ذلك مهمة التحريض علي جهاد الفرنجة واستنهاض همم الملوك ونشر دعوة الجهاد والكفاح بين الناس[٦] ، ومن ذلك . . .

ريــح العبيــر لكــم ونحــن عبيرنــا ∴ وهــج الســنابك والغبــار الأشــهب
ولقــد أتانـــا عـــن مقـــال نبينـــا ∴ قــول صــحيح صــادق لا يكــذب[٧]

وعند دخول الإفرنج بيت المقدس في (عام ٤٩٢هـ) قال المظفر الأبيورى شعراً منه :

وإخــوانكم بالشــام يضــحي مقــيلهم ∴ ظهــور المــذاكى أو بطــون القشــاعم
∴

١ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٥٣ .
٢ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٦٢ ؛ عبد اللطيف حمزة ، المرجع السابق ، صـ٢٦٠ .
٣ – عبد اللطيف حمزة ، المرجع السابق ، صـ٢٦٠ .
٤ مهجة محمد كامل ، " الحروب الصليبية وأثرها في إذكاء العاطفة الدينية في الشعر العربي " جامعة الأزهر ، كلية الدراسات الإسلامية ، المجلة العلمية ، العدد الخامس ، صـ١٠٠ .
٥ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٤١ .
٦ – أبو شامة ، المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، صـ٥٢٧ ؛ عمر موسى ، المرجع السابق ، صـ٤٢١ .
٧ – محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٣٥ .

تســـومهم الـــروم الهـــوان وأنـــتم   تجـرون ذيـل الخفـض فعـل المسـالم[١]

وعنـدما قـام عمـاد الـدين زنكـى بفـتح بعـض الحصـون مدحـه الشـعراء ومـنهم ابـن قسـيم الحموى فقال :

ألـــم تـــر أن كلـــب الـــروم لمـــا ∴ تبـــين أنـــه الملـــك الـــرحيم
فجـــاء يطبـــق الفلـــوات خـــيلا ∴ كـــأن الجحفـــل الليـــل البهـــيم[٢]

وبعد ذلك قاموا بمدح نور الدين محمود في الواقعة التي كانت بينه وبين صاحب أنطاكية ، فقال ابن القيسرانى

صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها ∴ براحة للمساعي دونها تعبُ[٣]

ويقول عنها ابن منير الطرابلسى . . .

وسقي البرنس وقد تبرنس ذلة ∴ بالروح مما قد جنت غدراته[٤]

وفي مدح صلاح الدين علي فتوحاته يقول العماد الكاتب قصيدة منها :

حططت علي حطين قدر ملوكهم ∴ ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا

ويقول ابن الساعاتى :

جلت عز ماتك الفتح المبينا ∴ فقد قرت عيون المؤمنينا[٥]

ويقول الملك المظفر تقى الدين عمر :

جاءتك أرض القدس تخطب ناكحا ∴ يا كفؤها ما العذر من عذرائها[١]

---

١ – ابن الاثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، طـ٣ ، صـ٢٠ ؛ ابن الوردى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١١ .

٢ – ابن الاثير ، الباهر ، صـ٥٦ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٨٢ .

٣ – ابن الاثير ، المصدر السابق ، صـ٩٩ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، صـ٢٢٦ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ١٢١.

٤ – ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، جـ٢ ، صـ٤٩ .

٥ – ابن تعزى بردى ، المصدر السابق ،جـ٦ ، صـ٣٤ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٩٨.

ويقول الجوانى قصيدة منها :

أتــري مناماً مــا بعينــي أُبصــرُ ∴ القــدسُ تُفــتَح وُالنّصــارَى تُكْسَــرُ

قــد جَــاءَ نصــرُ الله والفــتحُ الــذي ∴ وُعِــدَ الرســول فسَّــبحُوا واســتغفروا[٢]

وكان لهؤلاء الشعراء دور في هجاء حكام تلك الفترة من المسلمين ، فيقول بعضهم في هجاء المعظم عندما قام بتخريب بيت المقدس في عام (٦١٦هـ)

فـي رجبٍ حلّلَ الحُمَيّا ∴ وأخرب القُدْسَ في المحرم[٣]

وفي تسليم الكامل القدس للفرنجة في عام (٦٢٦هـ) قال الحافظ شمس الدين قصيدة منها :

علي قبة المعراج والصخرة التي ∴ تفاخر ما في الأرض من صخرات[٤]

وعاد الشعراء ومدحوا لناصر داود وعندما قام بفتح بيت المقدس في عام (٦٣٧هـ) حيث قال جمال الدين بن مطروح قصيدة منها :

المســجد الأقصــى لــه عــادة ∴ صــارت وســارت مــثلاً ســائرا

إذا غــدا بــالكفر مســتوطناً ∴ أن يبعــث الله لــهُ ناصــرا[٥]

---

١ - الدوادارى ، كنز الدرر ، جـ٧ ، صـ٩١ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٣٦ .

٢ - الذهبى ، دول الإسلام ، جـ٢ ، صـ٩٥ .

٣ - ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، جـ٦ ، صـ٢٤٥ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ٨٣ .

٤ - الحنبلى ، الانس الجليل ، جـ١ ، صـ٤٠٧ ؛ الدوادارى ، المصدر السابق ، جـ٧ ،صـ٢٩٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ١ق١ ، صـ٢٣٣ .

٥ - الحنبلى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٥ ؛ الدوادارى ، المصدر السابق ، جـ٧ ، صـ٣٤٠ ؛ محمد بن شاكر الكتبى (٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، (تحقيق / إحسان عباس ، دار الثقافة ، ١٩٧٣م) ، مجـ١ ، صـ٤٢٣ – صـ٤٢٤ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٣ ، صـ١٨٢ ؛ ابن واصل ، المصدر السابق ، (تحقيق / حسنين ربيع ، مراجعة / عاشور) ، جـ٥ ، صـ٢٤٧ .

وعندما قام الأشرف خليل بفتح عكا في عام (٦٩٠هـ) قام محيى الدين بن عبد الظاهر بتهنئته في قصيدة منها :

جاء عكا محاصراً فتداعت ∴ ولأهل الإلحاد صارت لُحُودا[١]

ومنها:

قد أخذ المسلمون عكا ∴ وأشبعوا الكافرين صكا[٢]

هذا إلى جانب الأدب الوصفى الذي راج في عصر الحروب الصليبية حيث اتخذه كتابه مجالاً لإظهار قوتهم البيانية ومقدرتهم البلاغية[٣] ؛ فقد وصف أبو الحكم الأندلسي جيش الفرنجة علي دمشق دمشق فقال :

أتانـــــــا مائتـــــــا ألـــــــف ∴ عديـــــــــــداً أو يزيـــــــــــدونا
فبعضـــــــهم مـــــــن أنـــــــدلس ∴ وبعـــــــض مـــــــن فلســـــــطينا
ومـــــــن عكـــــا ومـــــن صـــــور ∴ ومـــــــن صـــــــيدا وتبنينـــــــا[٤]

وظهر في تلك الفترة أيضا الأدب الساخر الذي دعت الحاجة إلي وجوده وبخاصة عندما اضطرت ظروف الحرب بعض الحكام أن يكونوا قساة جبارين ؛ مما دفع الناس إلي الانتقام منهم عن طريق جعلهم أضحوكة ، ويعتبر الأمير بهاء الدين قراقوش أبرز مثال علي ذلك[٥].

وعن الإنتاج الأدبي للفرنج في الشرق فكان ينحصر أولا : في كتب الحوليات التي ألفها رجال ولدوا في الغرب باستثناء حوليات وليم الصورى وخليفته أرنول . وتأتي التشريعات القانونية والدستورية في المرتبة الثانية للإنتاج العقلي للفرنجة في الشرق ، والتي تم تأليفها لتنظيم حياتهم ، ودونوا فيها

---

١ - شافع بن الكاتب المصرى ، المصدر السابق ، صـ١٧٨ .
٢ - ابن الفرات ، المصدر السابق ، مجـ٨ ، صـ١١٣ .
٣ - محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ١٤٢ .
٤ - محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٢٠ - صـ٢١ .
٥ - محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٤٢ .

أفكارهم وأعمالهم ونظمهم السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية[١]. وأشهر هذه المؤلفات " كتاب كتاب الملك "[٢] ،و"كتابان لفيليب دى نافار"، و "كتاب نشأة البرجوازية"[٣].

ومثل الشعر القومى و العاطفى جانباً آخر من جوانب الإنتاج الأدبى للفرنج فى الشرق ، وذلك حيث توجه مع الحملات الصليبية مجموعة من الشعراء[٤] الغنائيين من التروبادور و المنيسنجر أمثال رودل أوالبرت يوهانز دورف. وتعتبر أنشودة الحقراء Chanson des Chetifs أبرز مثال على ذلك[٥].

ويتحدث صاحب الأنس الجليل عن الشعراء فيقول :"إن عند الإفرنج شاعرا منتجعا إليهم قال :يخاطب ملك الإفرنج و اسمه صنجلى:

نصـــرت بســيفك ديـــن المســـيح ∴ فللــــــه درك مـــــن صــــــنجلى

ومـــا ســـمع النــــاس فيمــــا روى ∴ بـــأقبح مــــن كســـرة الأفضــــل[٦]

ويوجد داخل كتاب تاريخ الحملة إلى القدس لفوشية الشارترى بعض النماذج للشعرالصليبى منها:

عند استيلائهم على مدينة طرابلس ...

"سطعت الشمس فى برج السرطان لثلاثين يوما ينقصها ثلاثة.

عندما أخذ رجالنا المحاربون بيأسهم مدينة طرابلس."[٧]

طرابلس."[٧]

---

١ - رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ٨١٩ ؛ نظير سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٨٨ - صـ١٨٩ .

٢ - جوناثان رايلى ، المرجع السابق ، صـ١٠٠ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧٩ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٨٩ .

٣ - سعداوى ،المرجع السابق ،صـ١٨٩.

4- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ٨٢٠.

٥ - نفســه ، جـ٣ ،صـ٨٢١ ، باركر ، المرجع السابق ،(ترجمة /العرينى) ، صـ٢٤٦ .

٦- الحنبلى ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٠٨.

٧ الشارترى ،، المصدر السابق ، ط١ ، صـ١٤٥ .

ويضاف إلى ما سبق تأثر الأدب القصصي الذى كان واضحا فى ميدان القصص الدينى الذى وضعت فيه القصص الطويلة فى مولد الرسول – صلى الله عليه وسلم– وبعثته وما جاء على يده من معجزات ووضعت قصص وحكايات كثيره حول الأولياء والأقطاب وما يأتونه من الكرمات والعجائب[١] . ولقد أضفت الحروب الصليبية على الأدب القصصى بصفة عامة ثوباً من الحزن ،وظهر ذلك بوضوح فى الكفاح بين المسلمين والإفرنج ، والذى كان ينتهي دائما بانتصار المسلمين على أعداء الدين الإسلامي وانهزام النصرانية. و يتضح ذلك فى بعض من قصص ألف ليله وليله وهى ثلاثة حكايات داخل ألف ليلة وليلة عن الحروب الصليبية وهي " حكاية على نور الدين المصرى مع مريم الزنارية " ، و" قصة الصعيدى وزوجته الإفرنجية "[٢] ، و "حكاية الملك نعمان وولديه شركان وضوء الزمان"[٣]. ولقد تأثر كتاب الصليبيين أمثال تشوسر بألف ليلة وليلة وبكليلة ودمنة * والكأس المقدس * ؛ فأدخل بوكاتشيو الإيطالي حكايات شرقية في كتابه " ديكا مرون " "Decameron " [٤]

وكانت البعثات التبشيرية أيضا من أهم آثار الحروب الصليبية علي مجتمعات بلاد الشام حيث قامت البابوية بإرسال هذه البعثات لاجتذاب المسلمين إلي اعتناق المسيحية عن طريق الإقناع[٥] ، وبخاصة بعدما ضحت به من أموال في الحروب الصليبية دون نتيجة واضحة[٦] ؛ فقام راهب صليبي في عام (١١٥٤م) بتأسيس الرهبانية الكرملية* التي انتشر أتباعها في أنحاء بلاد الشام ، وتم تأسيس مركز لهم في طرابلس ،

---

١ –محمد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ١٢٧ .

٢ – نفسه ، صـ١٢٨ – صـ١٣٤ ؛ قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ٢٢٣ ، صـ٢٢٤ .

٣ – قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ٢٢٣ .

(*) – كليلة ودمنة : قصة حكيت على لسان الحيوانات وضعها الفيلسوف الهندى بيدبا ؛ كليلة و دمنة ، (عربها بليغ العرب / عبد الله بن المقفع) .

(*) – الكأس المقدس : التي استعملها المسيح عليه السلام في العشاء الأخير ؛ فيليب حتى ، العرب (تاريخ موجز) ، ط٣ ، صـ٢٤٧ .

٤ – نفسه ، ط٣ ، صـ٢٤٧ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٨٧ ؛ عفاف صبرة ، المستشرقون ، صـ٢٥.

٥ – باركر ، المرجع السابق ، صـ١٨١ ؛ حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٩٤ .

٦ – عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٢٥ .

(*) – نسبة إلي جبل الكرمل الذي أقيمت فيه ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٤ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٣٦ .

وبعدها تم تأسيس رهبنيتين جديدتين عند مستهل القرن الثالث عشر هما الفرنسيسكان والدومينيكان وبعدها تم تأسيس إرسالية تبشيرية فرنسيسكانية في مدينة طرابلس ، وأسس دير لهم في بيروت[١]. وتم إنشاء أول جمعية للتبشير في عام (١٢٥٣م) علي يد البابا انوسنت الرابع والتي ضمت عدداً كبيراً من المبشرين الفرنسيسكان والدومنيكان[٢]. وكان من أنشط مبشري تلك الفترة المبشر ريموندلل Roymunduslullus [٣] ، الذي وهب حياته لمهمة التبشير بالمسيحية بين المسلمين[٤].

وعن أشهر الكتب التي ظهرت في تلك الفترة كتاب " مقال في حالة المسلمين" " Tractus des Tatus Saracenorum " لوليم الطرابلسى[٥] ، وكتاب " الإسلام والإرساليات " للورانس براون"[٦].

وبالرغم مما سبق إلا أن النشاط التبشيري لم يلق نجاحاً هو الأخر بين المسلمين في بلاد الشام[٧] الشام[٧] إلا أنه ترك خلفه سوءاً في الصلات بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الأدنى[٨].

---

١ - حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٤ .

٢ - الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٣٧ ؛ عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٢٥ - صـ٢٦ .

٣ - باركر ، المرجع السابق ، صـ١٩٢ .

٤ - حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٥ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٣٧ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٨٧ ؛ عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٢٦ .

٥ - حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٩٥ .

٦ - عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٤١ .

٧ - الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢٣٨ .

٨ - نفســـه ، صـ٢٣٦ .

الفصل الثالث

تأثر الأحوال الاقتصادية

١- الأحيـــــاء التجاريـــــة الإيطاليـــــة .

٢- النظـام الإقطـاعي (تـأثيره و تـأثره).

٣- أحـــــــــوال الفلاحـــــــــين .

وأما تأثر الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام من جراء الحروب الصليبية[١] ؛ فقد بلغ درجة من السوء لم يسبق لها مثيل ، ويرجع ذلك إلي طول فترة القتال والتي نتج عنها تخريب المدن ، وتعطلت الصناعة وأقفرت الحقول من الزراعة ، واختل الأمن وأصبح الناس عرضة للسلب والنهب ومصادرة الأموال[٢] ، وذلك علي الرغم من أن أحد أسباب قيام الحروب الصليبية هو تحقيق مكاسب اقتصادية في الشرق الأدنى[٣].

ونتحدث في البداية عن المؤثرات الصليبية في الصناعة ؛ فلم يستحدث الصليبيون أنماطا صناعية جديدة في بلاد الشام ، بل نجحوا في إدارة الصناعات الشامية بنفس الطريقة مما ساعد الاقتصاد الصليبي في سد احتياجات السكان[٤] ، حيث شهدت الصناعة في تلك الفترة عناية كل من الصليبيين والمسلمين[٥] ، وشاركهم في ذلك حرفيون وصناع من الإيطاليين. وأيضاً سكن في الأحياء التي خصصت لقيام مختلف الصناعات مسيحيون ويهود ، وإلي جانب بعض الجنسيات الأخرى التي شاركت في الصناعات المختلفة التي عرفت في بلاد الشام خلال تلك الحقبة[٦]. فلقد اشتهر المغاربة

---

١ – محمد محفل ، برهان الدين عبد الرحمن دلو ، عادل سليمان زيتون ، ملامح من تاريخ " الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري " العصر الراشدي والأموى – العصر العباسي – العصر الأيوبي والمملوكي " ، (التدقيق اللغوي / حسن قطريب) ، مجـ٢ ، صـ٤٤١ .

٢ – محمد سيد كيلانى ، المرجع السابق ، صـ٣٨ .

٣ – الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٠٤ .

٤ – أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٠٨ – صـ١١٧ ؛ حاتم عبد الرحمن الطحاوى ، الحياة الاقتصادية في المستعمرات الصليبية في بلاد الشام ، رسالة ماجستير غير منشورة (آداب الزقازيق عام ١٩٩٢م) ، صـ٢٥٣ .

٥ – أسامة سيد على أحمد ، الظهير الشامى ودورة في الصراع الإسلامي الصليبي " في القرن السادس الهجرى – الثاني عشر الميلادى " ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، (أداب عين شمس عام ١٩٩٦م) ، صـ١٣٩ ؛ على السيد على ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ، طـ١ ، صـ١١ – صـ١٣ .

٦ – سعيد محمد سعيد الغمرى ، الحرف والصناعات في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية " ١٠٩٩ – ١٢٩١م / ٤٩٥ – ٦٨٧هـ " ، رسالة ماجستير غير منشورة (آداب الزقازيق ، عام ١٩٩٨م) ، صـ٢١ .

والأندلسيون بمقدرتهم الفائقة في صناعة آلات الحرب والقتال المستخدمة في دك أسوار المدن المحاصرة ، حيث قاموا بصنع أنواع من المجانيق عرفت باسم المجانيق المغربية[١].

ولقد أدت وفرة المواد الخام إلي قيام العديد من الصناعات المتنوعة ، والتي عمل بها عدد كبير من السكان[٢] ؛ وتمثلت أهم هذه الصناعات في صناعة السكر[٣] وصناعة الزجاج التي كانت من أهم الصناعات التي اختصت بها بلاد الشام حيث كان يضرب به المثل في الرقة والصفاء[٤] ولهذا مثلت صناعة الزجاج أهم الصناعات للصليبيين فاشتهرت بها مدن صور وعكا وأنطاكية[٥]. أما صناعة الورق الورق فكانت تمارس في طبرية وطرابلس وحماة[٦].

وانتشرت صناعة المنسوجات في أغلب مدن الشام كحلب وحماة وطبرية وطرابلس وأنطاكية . فلقد وفرت هذه الصناعة للجنود الصليبيين الملابس اللازمة لهم وذلك إلى جانب عمل الرايات والأعلام والشارات الحربية[٧] ، وازدهرت صناعة المنسوجات القطنية والكتانية مما أدى إلى ازدياد نسبة المبيعات

---

1 – صلاح الدين محمد نوار ، " دور المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين والمغول في بلاد الشام من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حتى منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي " ، المؤتمر العلمي الأول جامعة القاهرة ، مايو ١٩٩٥م ، صـ١٠٦ .

٢– أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٠٨ – صـ١١١ ، صـ١٢١ – صـ١٢٩ ؛ أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٤٢ ؛ على السيد ، المرجع السابق ، صـ١١ – صـ١٢ ؛

Smail , op. cit., p. 43

٣– بنيامين التطيلى ، المصدر السابق ، صـ٩٢ ؛ الصورى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٢٣ ؛ الڤيترى ، صـ٦٤ ؛ حتى ، العرب ، ط٣ ، صـ٢٤٩ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٠٨ .

٤– محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٣٧ – صـ٢٣٨ .

٥ – التطيلى ، المصدر السابق ، صـ٨٧ ، صـ٩٢ ؛ الصورى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٢٣ ؛

Lamb , op. cit., p. 224

٦– القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ٤٣ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٣٦؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٢٧ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٤٢ – صـ٢٤٤ .

٧– أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ ١٤٢ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ١٣٥ – صـ ١٣٦ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١٢٢ – صـ ١٢٣ ؛

Lamb, op. cit , p. 224

المبيعات منها ، واشتهرت المنسوجات الصوفية الملونة بطربلس وأنطاكية[١] وبرزت صيدا وصور في صناعة الأصباغ[٢] .

وبناء علي ما كانت تشهده هذه البلاد من معارك كان لا بد أن يكون هناك اهتمام خاص بصناعة القيانة والحدادة والنحاسة[٣] حيث استخدم الصليبيون الحدادين في صناعة أبواب القلاع والخزانات الحديدية وصناعة المحاريث اللازمة للزراعة ، ولقد استخدمت الصناعات النحاسية التي تمثلت في أواني الطهي التي كان يستخدمها جنود المشاة في الطهي[٤] ، صناعة أجراس الكنائس التي ربما دخلت إلى بلاد الشام مع قدوم الصليبيين[٥] وذلك علي الرغم من وجود أجراس كانت تصنع من الخشب[٦] .

وكان لإقبال الصليبيين علي شراء التحف المعدنية المزخرفة بطريقة المينا أثره علي هذه الصناعة التي لم يكن يمتلك العامل من الوقت ما يساعده علي استحداث طرق صناعية معقدة تساعده علي التغير والابتكار[٧] .

١- أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ ١٤٢ .

٢- التطيلي ، المصدر السابق ، صـ ٩١ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ١٤ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٥١ .

٣- القيانة أو القردحة : أي صناعة عمل السلاح ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١٢٣ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ ٢٣٦ .

٤- أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ ١٤٣ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١٢٣ .

٥- رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١٢٤ .

٦- كانت الأجراس الخشبية تستخدم لإجراء عمليات البيع ؛ أحمد رمضان ، صـ ١٢٤ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ ٢٣٦ .

٧- محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ١٣٦

وشهدت بلاد الشام في تلك الفترة تطور في صناعة الخزف فاستطاعت أن تحتل هذه الصناعة مركزاً للصدارة بين الصناعات الأخرى ، ويرجع ذلك إلى تفضيلها علي الأواني المصنوعة من الذهب والفضة التي كان يحرم استخدامها من جانب رجال الدين ، إلى جانب تقدم الحياة الاجتماعية .

التي تطلبت الحاجة إلي استخدام أنواع ممتازة من الخزف[١]. وبجانب الخزف جاء القيشانى وصناعة الأثاث والحلي والصابون وغيرها من الصناعات التي تحتاج إليها الظروف الحياتية مثل النبيذ[٢].

ويمكن إرجاع أهم الأسباب التي ساعدت علي النهضة الصناعية داخل بلاد الشام إلي أن الصليبيين كانوا في حاجة إلي سد احتياجاتهم من المنتجات الصناعية ، إلي جانب أن التدمير الذي كان يحدث أثناء القتال كان يشمل الزراعة حيث يتم تخريب الريف ، وذلك لان الأراضي الزراعية كانت مفتوحة بطبيعتها ، أما المناطق الصناعية فكانت تقام داخل أسوار المدن المحصنة بالأسوار والقلاع[٣].



وعن التجارة فإنها بصورة عامة لا تنتعش إلا داخل الدولة المستقرة سياسياً ، وإذا كانت الدولة في حالة حرب تكون التجارة من نصيب الطرف الأقوى اقتصادياً الذي يستطيع السيطرة علي الموانيء الساحلية التي تمثل مفتاح التجارة الدولية ، وبناء عليه فإن سيطرة الصليبيين علي المدن الساحلية جاء علي حساب التجارة الإسلامية ، وعليه فإن الموانيء الإسلامية المحتلة أصبحت تذخر بالسفن التجارية الحربية التي تخدم العمليات العسكرية الصليبية لتحقيق أكبر مكاسب ممكنة ، والتي منها نقل الجنود والحجاج والمرتزقة إلي منطقة بلاد الشام . وضمان الإمداد المادي ونقل الذخائر والأسلحة والمؤن

١- أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٢٥ .

٢- الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٣٥ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٢١ – صـ١٢٩ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ٢٠٢ – صـ٢٠٣ ؛ قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ٢١٢ .

٣- أسامه سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣٩ .

الحربية وأدوات الحصار اللازمة للجيوش الصليبية ، ومنها أيضا التدخل المباشر في الإسهام في احتلال المدن الإسلامية بإحكام الحصار عليها وحمايتهم من الهجمات الاستردادية الإسلامية[١].

وعليه فإن الازدهار التجاري الذي شهدته منطقة بلاد الشام فترة الحروب الصليبية في (ق٦هـ / ١٢م) جاء علي حساب التجارة والتجار المسلمين ، حيث انتقص من دورهم الذي كان يمثل الدور الأساسي والأكبر في التجارة العالمية في شرق المتوسط قبل الحروب الصليبية[٢] التي فتحت المجال واسعا أمام التدخلات التجارية والعسكرية للجمهوريات البحرية الإيطالية ، إلي جانب العديد من التجار الأوربيين. وجني التجار المسلمون الآثار السلبية حيث تم تأسيس الأحياء التجارية في المدن الإسلامية المحتلة من جانب الصليبيين مما نتج عنه زيادة النفوذ التجاري الصليبي والموارد المالية لديهم علي حساب التجار المسلمين[٣].وعلي الرغم من ذلك فلم يستطع الصليبيون الاستغناء كلياً عن التجارة والتجار المسلمين فكانت هناك علاقات تجارية بين المسلمين والصليبيين ساعدت الأحوال الاقتصادية لكلا الطرفين[٤] ، ويبرهن علي ذلك ما جاء في قول ابن جبير : " إن قوافل المسلمين تخرج إلي بلاد الإفرنج ، وسبيهم يدخل إلي بلاد المسلمين " ، ويذكر خروجه مع قافلة تجارية متجهة إلي عكا من دمشق ، وكيف وصلت إلي مدينة عكا الصليبية بسلام[٥] ، ويوضح ذلك حرص الجانبين الإسلامي والصليبي علي ضمان الأمن للتجارة المتبادلة بينهما[٦].

ولقد حرم الصليبيون علي المسلمين بفلسطين أي تبادل تجاري عن طريق البحر ، وساعدهم علي تحقيق ذلك الاتفاقيات التي جرت بين الصليبيين والجمهوريات الإيطالية صاحبة السيطرة والتفوق البحري

١- أسامه سيد ، المرجع السابق ، صـ١٤٩ .

٢- أسامه سيد ، المرجع السابق ، صـ١٤٧ ؛ قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ٢١٣ .

٣- الڤيترى ، المصدر السابق ، صـ١٠٨ ؛ أسامه سيد ، المرجع السابق ، صـ١٤٧ - صـ١٤٨ .

٤- المقريزى ، السلوك ، جـ١ ق١ ، صـ١١٠ ؛ براور ، عالم الصليبيين ، صـ٩٩ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ٦٠٩ ؛ عبد الرحمن الرافعى ، عاشور ، المرجع السابق ، صـ٤٠٣ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٥ ، صـ٧٧ ؛ محمد ياسين الحموى ، المرجع السابق ، صـ٤١ - صـ٤٣ .

٥- ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ٢٠٨ - صـ٢١١ .

٦- الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١١٠ .

وقتئذ ، وترتب علي ذلك حرمان المسلمين من مصدر رئيسي لمبادلاتهم التجارية وتركيز النشاط التجاري في بلاد الشام في أيدي الصليبيين والجمهوريات الإيطالية[١].

فلم تُقدم الجمهوريات الإيطالية علي مساعدة الصليبيين لاحتلال أكبر قدر من المناطق الشامية إلا سعياً وراء تحقيق مكاسب تجارية[٢] ؛ ولذلك فإن المدن الإيطالية أكثر من انتفع من مادية الحرب ، فكانوا هم أصحاب السفن التجارية والموانيء البحرية[٣]. ويذكر محمد كرد: " أنهم كانت لهم قصور في الشام تدل علي غني "[٤].

ولقــد تركــز التجــار الإيطــاليون فــي المــدن الصــليبية وعلــي الأخــص المــوانيء الســاحلية منهــا كعكــا ويافــا وصــور وقيســرية وبيــروت وطــرابلس واللاذقيــة ، وظلــوا يكونون طبقة مستقلة بذاتها ولا يختلطون بغيرهم إلا في نطاق المعاملات المالية والتجارية[٥]. ويتحدث رنســيمان عــن الجاليــات الإيطاليــة بقولــه : " إنهــم كونــوا قومونــات* ذات حكومــة

---

١ - عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٢١٥ .

٢- الڤيترى ، المصدر السابق ، صـ١٠٨ ؛ أحمد شلبى ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية " دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في جميع العصور وجميع الأنحاء " ، (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م) ، جـ٥ ، ط١ ، صـ٤١٠ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٣١ ؛ جورج كيرك ، المرجع السابق ، صـ٧٤ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ١١٩ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ط٢ ، صـ٥٩٩ ؛ شارل ديل ، البندقية " جمهورية أرستقراطية " ، (تعريب / أحمد عزت عبد الحكيم ، توفيق اسكندر ، دار المعارف بمصر) ، صـ٣٠ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط ، صـ٣٣ ؛ العرينى ، مصر في عصر الأيوبيين ، صـ٩ ؛ على أحمد ، الظهير الشامى ، صـ١٥٠ ؛

T .F . Tout , M . A . , Dilitt , op . cit . , p . 185 .

٣- محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٢٨٣ ؛ جـ٤ ، صـ٢٨٤ ؛

T . F . Tout , op . cit . , p . 185 .

٤- محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٨٤ .

٥- رمضان ، المرجع السابق ، صـ٣١٣ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٩٥ ؛

Armstrong , op . cit . , p . 279 .

(*) – القومونات : مفردها قومون : هي شخصية جمعية لها حقوق وسلطات ، وهي شخصية إقطاعية تستطيع أن يكون لها أتباع إقطاعيون ، وتؤدي يمين الولاء لسيدها الأعلى وتتقبله من إتباعها ، وان تعقد المحاكم وتعلن الحرب وتعقد المعاهدات ؛ وليام لانجر ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٦٢٧ ؛ يوشع براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ١١٠ .

مستقلة[١] ، وعبارة عن مستعمرات داخل مستعمرات ودولة داخل دولة[٢]. وبناء علي المساعدات التي قامت هذه المدن بتقديمها للصليبيين كان لابد أن تجني هذه المدن التجارية مقابلاً لهذه المساعدات . فطلبت تسهيلات وحقوقاً تجارية . كأن يكون لهم أحياء خاصة في المدن الكبرى التي يحتلها الصليبيون والإعفاء التام أو الجزئي من الضرائب ، والحصول علي امتيازات مربحة لهم[٣]. وترتب علي ذلك قائمة طويلة من المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تمت بين ملوك بيت المقدس الصليبية وسادة المدن الإيطالية . وشملت هذه المعاهدات تحديد الوضع الاجتماعي لأبناء القومونات الإيطالية[٤].

ومن أهم الأسباب التي دفعت المدن الإيطالية إلي الاشتراك في الحروب الصليبية رغبتهم في الاستيلاء علي منتجات الشرق ومتاجره ، فلا يتحقق ذلك إلا بإقامة متاجر ومستودعات تجارية في الشرق الأدنى والحصول علي امتيازات مربحة لهم . وعليه فإن المساعدات الحربية التي قامت السفن الإيطالية بتقديمها للصليبيين كانت من أهم العوامل التي ساعدت الصليبيين علي النجاح في دخول بلاد الشام والاستيلاء علي أهم الموانيء بها[٥] ، وبذلك فإن الباعث الاقتصادي كان له أكبر الأثر في تحريك القوي البحرية الإيطالية للمشاركة في الحركة الصليبية وتقديم مساعداتها البحرية للصليبيين بالشام مقابل ما حصلت عليه من امتيازات واسعة في مواني الشام ومدنه الصليبية[٦].

ولذلك كانت أول مهمة شعرت المملكة اللاتينية بضرورة القيام بها هي الاستيلاء علي المدن الساحلية لضمان حركة المواصلات ، واستطاعوا فعل ذلك علي الرغم من مناعة المدن الساحلية

١- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧١ .

٢- باركر ، المرجع السابق ، صـ٧٩ ؛ براور ، عالم الصليبين ، صـ١٥٩ ؛ الاستيطان الصليبي ، صـ١١٠.

٣- جورج كيرك ، المرجع السابق ، صـ٧٤ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٤٩ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥٠٤ ؛ شارل ديل ، المرجع السابق ، صـ٣٠ - صـ٣١ ؛ العرينى ، المرجع السابق ، صـ٩ .

٤- براور ، الاستيطان ، صـ١١١ .

٥- براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ١١١ ؛ العرينى ، المرجع السابق ، صـ٩ .

٦- عاشور ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ١٠٩٩ .

الحصينة ، وتم هذا بمساعدة المراكب الحربية التي قدمتها لهم الجمهوريات الإيطالية ، فكانت تمدهم بالطعام والسلاح والمدد من الجنود[١].

ونلاحظ مما سبق أن التجارة سارت وراء الصليب ، أو أن التجارة هي التي قادت الصليبيين إلي بلاد الشام ، فانتزعت الأساطيل التجارية الإيطالية السيطرة علي أجزاء كبيرة من البحر المتوسط والتي كانت تحت سيطرة المسلمين ، وعليه فقد وسعت الحروب الصليبية نطاق هذه المدن التجارية علي حساب المسلمين[٢].

وكانت جنوة من أول المدن الإيطالية التي قامت بتقديم المساعدات العسكرية للصليبيين[٣] ، وفي مقابل ذلك حصلت علي اتفاقيات وحقوق فأعطاهم بوهيموند حق ملكية ثلاثين منزلاً في مدينة أنطاكية ، وسوق خاص بهم وكنيسة[٤] و فرن وبئر وفندق ومستودع ضخم لبضائعهم وأعفاهم من جميع القوانين والرسوم السائدة في المدينة ، واعتبرت هذه الاتفاقية أول قائمة للامتيازات التي استطاعت جنوة الحصول عليها ببلاد الشام[٥] ، وبعدها انهالت عليها الامتيازات والحقوق التجارية[٦]. حتى إن الجنوية استطاعوا أن يجعلوا من مدينة جبيل مستعمرة جنوية تحت إشراف أسرة امبرياتشى Embriaci[٧] ، وكان ذلك

---

١ - حتى ، المرجع السابق ، صـ٣٤٩ .

٢ - محمود عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، صـ٣٤٧ .

٣ - الصورى ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣١٦ ؛ جـ٢ ، صـ٦٣ ، صـ١٠٤ ؛ الفيترى ، المصدر السابق ، صـ٣١ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ١١١ ؛ سيد الحريرى ، المرجع السابق ، صـ٣٣ .

٤ - عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ١٧٨ ؛ عفاف صبره، العلاقات بين الشرق و الغرب ، صـ١٨٠ ؛ مصطفى الكنانى ، العلاقات بين جنوة والشرق الإسلامي ، صـ٣١٩ .

٥ - الكنانى ، المرجع السابق ، صـ٣١٩ .

٦ - عن هذه الامتيازات ، انظر : الصورى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢١٧ ، صـ٢٢٢ ؛ ابن القلانسى ، تاريخ دمشق ، ط١ ، صـ٢٦٢ ؛ زيل تاريخ دمشق ، صـ١٦٣ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٥٢ ، صـ٥٤ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١١٣ – صـ١١٥ ؛ عاشور المرجع السابق ، ط١ ، ط٥ ، صـ٢٣٧ – صـ٢٣٨ ، صـ٢٩٠ ، صـ٣١٦ ؛ عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ١٨١ – صـ١٨٢ ؛ الكنانى ، المرجع السابق ، صـ٣٢٠ .

١- الصورى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٧٧ – صـ٢٧٨ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١١٥ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٢٩٠ ؛ عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ١٨١ .

طبيعياً نتيجة لما عقدته جنوة من اتفاقيات مع الصليبيين مقابل تدخلهم في الدفاع عن الوجود الصليبي في الشرق ومساندته وتوسيع رقعته إن أمكن ذلك[١].

وتعتبر البندقية من أكثر الجمهوريات الإيطالية التي استفادت من سيطرة الصليبيين علي بلاد الشام وبخاصة الموانيء الساحلية منها وعلي الأخص ميناء عكا[٢] ، الذي كان كما يقول ابن جبير : " إن ميناء عكا كان قاعدة مدن الافرنج بالشام ، ومحط الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ، مرفأ كل سفينة " [٣].

وتميزت علاقات البنادقة بغيرهم في تلك الحقبة بالصفة التجارية ؛ فكان هدفهم الأول والأخير هو الكسب المادي ، ولم يهتموا بالعوامل الدينية إلا بالمقدار الذي يحقق مصالحهم ، وكان شعارهم الذي اشتهروا به " لنكن أولاً بنادقه ثم بعد ذلك مسيحيين " Siame Veneziani Poichristinai "[٤] .

وحصل البنادقة علي منح كثيرة مقابل الخدمات التي كانوا يقدمونها مثل نقل الحجاج في سفنهم إلي الأراضي المقدسة وتقديم المساعدات الحربية بأساطيلها[٥] ، فحصلوا علي الثلث في كل مدينة

٢- الصوری ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢٤٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧١ ؛ الكناني ، المرجع السابق ، صـ٣٢٠ .

٣- الصوری ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣٧٨ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ١١١ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧١ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٤١٥ ، صـ٤١٧ ؛

Iamb , op. cit. , p . 224 .

٤- ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ٢١١ .

٥- عفاف سيد صبره ، علاقة البندقية بمصر والشام من بداية القرن الثاني عشر حتى نهاية الرابع عشر الميلادي ، رسالة دكتوراة منشورة ، (آداب القاهرة ، ١٩٧٧م) ، صـ٦ .

٦- الصوری ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٦٣ ، صـ٣٧٣ - صـ٣٧٤ ؛ جـ٣ ، صـ٢٨ ، صـ٤٣ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ٥١ ، صـ٥٣ ؛ شارل ديل ، المرجع السابق ، صـ٣١ .

* - الفندق : Fondaco : عبارة عن مبني ضخم مربع يشبه الحصن ، تحيط به الحدائق و البساتين في الغالب ، ويتكون من عدة أدوار ، خصص الدور الأرضي للمحلات وغيرها من المخازن ، وفي الأدوار العليا توجد مساكن التجارة وسمح للتجار بتربية الحيوانات الأليفة والخنازير اللازمة لإطعامهم طبقا لعاداتهم ، ولم يكن الفندق ملكاً للجالية التابع لها بل كان ملكا للدولة ، وتمنحه للتجار للإقامة فيه وممارسة أنشطتهم التجارية . وكانت الدولة تتكفل

يساعدون في الاستيلاء عليها ليقيموا فيها مؤسساتهم اللازمة لإقامتهم ومباشرة نشاطهم التجاري ، كالفنادق* والمخابز والطواحين والحمامات علي أن تكون جميع هذه المؤسسات والمرافق معفاة من الضرائب والمكوس تماماً ، وكان لهم الحق أيضا في استخدام موازينهم ومقاييسهم ومكاييلهم(١) ، وعليه فقد استطاعت البندقية تحقيق مركز لنفسها في هذا الجزء من الشرق لا مثيل له(٢) وبخاصة في عكا وصور وحيفا وبيروت(٣).

أما عن بيزا فبعد المساعدات التي قدمتها للصليبيين استطاع البيازنة الحصول علي امتيازات عديدة ، منها شارع في أنطاكية وحي في اللاذقية ، وإلي جانب حرية التجارة والعمل في جميع موانيء أنطاكية(٤) ، وحصلوا أيضاً علي حقوق وأراضي في بيت المقدس وصور و عكا ويافا .

وجاءت نابلي بعد ذلك لكي تجد لها فرصة للحصول علي بعض المزايا التجارية في بلاد الشام ، فحصلوا علي حي خاص بهم وبعض الإعفاءات الجمركية والتسهيلات التجارية(٥) ، ووجد الأمالفيون في بيت المقدس وعكا واللاذقية(٦) ، وتمتعت فلورنسا بنشاط تجارى واسع حيث كان لها فنادقها الخاصة بها ، أما (انكونا) وغيرها من المدن التجارية الإيطالية الأخرى فإنها لم تصل إلي المركز التجاري الذي تستطيع المنافسة مع غيرها من المدن الإيطالية مثل البندقية فاقتصرت امتيازاتهم علي أحياء ومناطق خاصة لهم ببلاد الشام(٧).

بالإشراف علي الفندق وصيانته وحمايته ، وكلف من يسمي " الفنداقى " بالإشراف علي الفندق في كل مدينة يوجد بها ؛ عفاف صبره ، العلاقات بين الشرق والغرب ، صـ٢٣٩ ؛ الكنانى ، المرجع السابق ، صـ٣٢٦ .

١- الصورى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٣٧٨ - صـ٣٨٤ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ٢١٥ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٢٦٧ - صـ٢٦٨ ؛ شارل ديل ، المرجع السابق ، صـ٣١ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، صـ٢٢٣ ، صـ٤١٥ ؛ عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ٢٦ - صـ٢٧ .

٢- شارل ديل ، المرجع السابق ، صـ٣١ .

٣- عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٤١٧ ؛ عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ٣١ .

٤- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧١ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٣٣ ؛ عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ٢٠٩ ؛

Setton , op. cit . , p . 374

٥- عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ٢٠٩ ، صـ٢١٤ .

٦- الصورى ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٨٨ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤١٧ .

٧ - عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ٢١٥ - صـ٢١٦ .

واستطاعت مرسيليا (وهي إحدى مدن جنوب فرنسا) أن تنافس المدن الإيطالية[١]. فحصل تجارها علي امتيازات بمقتضاها يكون لهم حي في بيت المقدس ، ومنح أهالي مرسيليا امتيازاً لإقامة مصانع لهم في كل مواني‌ء فلسطين ، وأيضاً تأسيس حي لهم في صور ، وأعفيت سفنهم من كل رسوم المواني‌ء ، وأيضاً صار لهم محكمتهم الخاصة بهم في عكا[٢] ؛ وبذلك أصبح لهم منشآت في عكا ويافا وصور و جبيل ، وتملك تجار برشلونة كذلك عدة مؤسسات في صور[٣]. وبالنسبة للتنظيم الداخلي لهذه لهذه القومونات فقد عاشت تلك الجاليات التجارية داخل أحيائهم الخاصة ومارسوا نشاطهم[٤] و تحدث كلُ ُ ُ ُ ٌ بلهجته الخاصة ، وكان السيد الأعلى للقومون أحد سكان الحي ، وأيضاً المالك لكل الممتلكات الحقيقية داخل نطاق القومون وكان مركز القومون هو القصر الذي يسكن فيه القنصل أو الفيكونت Vicomte وهو حاكم مرسل من المدينة الأم ، ويسانده مجلس في تمثيله لمصالح القوميون وهو الوسيط بين القوميون والملك ، وأيضاً كان مسئولاً عن إدارة ممتلكات القوميون والحفاظ علي امتيازاته في المدينة[٥] . وكان لكل حي مخابزه وأفرانه وحماماته وكنائسه[٦] التي كانت تتبع الكاتدرائية في الوطن الأم ، وكان لديهم رجال دين لمهام الوعظ والإرشاد ودفن الموتى[٧] ، وموثقون يتبعون القنصل ، فكانوا يقومون بإعداد الاتفاقيات بين التجار وكذلك عقود الزواج[٨].

أما الأسواق في تلك الفترة فتوصف بأنها كانت عبارة عن الشارع الرئيسي أو الميدان الرئيسي في المدينة ، بحيث كانت البيوت المحيطة به تضم بعض الحوانيت والسقائف والمحلات حيث تنتظر البضائع الشرقية دورها في التصدير إلي أوربا ، وتعرض البضائع المستوردة من أوربا في انتظار

---

١ - حتى ، العرب ، صـ٢٥٠ .
٢ - الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١١٦ ؛ سليمان عبد العبد الله ، المرجع السابق ، صـ٣٧٦ - صـ٣٧٧ .
٣ - رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧١ .
٤ - جمعة مصطفى ، المرجع السابق ، صـ١٨٦ .
٥ - براور ، عالم الصليبين ، صـ١٥٩ - صـ١٦٠ ، صـ٢٢١ .
٦ - نفســه ، صـ١٦٠ ، صـ٢٢١ .
٧ - الطحاوى ، المرجع السابق ، صـ١٢٧ .
٨ - براور ، المرجع السابق ، صـ١٦٠ .

المشترين(١). وكانت هذه الشوارع مسقوفة من أعلى لتمنع الأمطار وحرارة الشمس عن التجار وأيضا استخدام بعض التجار مظلات مصنوعة من القماش(٢) ، وهذه الأسواق إما أن تكون محلية أو موسمية أو سنوية (معارض)(٣). ويخضع السوق لسيد المدينة ، ووجدت أسواق متخصصة لنوع معين من السلع(٤) ، فاعتبر سوق الفاكهة والتوابل من أهم هذه الأسواق ، وبعده جاءت سوق الأعشاب الطبية وسوق الدواجن وأسواق الماشية(٥) وسوق الغلال ، وتم تعيين مراقبين للإشراف علي الأسواق(٦). وأدت الوكالات القيساريات* والخانات نفس وظيفة الأسواق من حيث البيع والشراء(٧). وتم استخدام الموازين والمكاييل التي كانت تستعمل في البلاد قبل قدوم الصليبيين(٨) حتى إن أماكن الأسواق لم يقوموا بتغييرها بتغييرها إلا فيما ندر(٩).

وخدمت الأسواق التبادل التجاري في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية . فوجود الكيان الصليبي أعاد فتح البحر المتوسط أما السفن القادمة من الغرب الأوربي(١٠).

ويتضح دور الأسواق المؤثر في تلك الفترة من خلال ما يمكن أن نسميه " الحرب الاقتصادية " التي كان يمكن أن يشنها المسلمون من وقت لآخر علي المستعمرات الصليبية لمحاصرتها ، وأحياناً كان يستمر الحصار أكثر من عام مما يعرض السكان وإقطاعات الفرق العسكرية الصليبية لخطر المجاعة لو لم يهتموا بالتوجه إلى الأسواق لتخزين بضائعهم كإجراء احتياطي وقائي ، وغالباً ما كان

١- الصورى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ٣٣٣ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ١٦٠ .
٢- براور ، المرجع السابق ، صـ٢٢٣ .
٣- الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٤٢ - صـ١٤٤ ؛ على السيد ، المرجع السابق ، صـ٨٩ - صـ٩٣ ؛ مصطفى الكنانى ، المرجع السابق ، صـ٣٢٣ .
٤- براور ، المرجع السابق ، صـ٢٢٢ ؛
Armstrong , op . cit . , p . 279
٥- عفاف صبره ، المرجع السابق ، صـ٢٢٤ .
٦- براور ، المرجع السابق ، صـ٢٢٢ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ١٤٤ .
* - القياسرا والقيساريات مفردها قيسارية ، وهي الخان العظيم به مجموعة من المباني العامة وحوانيت ومصانع ومخازن وأحيانا مساكن ؛ انظر : حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٤١٢ .
٧- الكنانى ، المرجع السابق ، صـ٣٢٤ - صـ٣٢٥ .
٨- أسامه زيد ، صيدا و دورها ، صـ١٠٤ .
٩- الطحاوى ، المرجع السابق ، صـ١٥٦ .
١٠- حتى ، المرجع السابق ، ط٣ ، صـ٢٤٨ - صـ٢٤٩ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ١٤٢ .

الصليبيون يحتاجون لفائض الإنتاج الزراعي لهذا الغرض ، فكانت الأسواق تعتبر بمثابة مراكز اقتصادية لخدمة الأغراض العسكرية للصليبيين ، فاحتفظت كل مدينة صليبية بسوق سواء أكان دائماً أو موسمياً لتلبية احتياجات كل مدينة[١] .

وانفردت بلاد الشام بنوع من الأسواق أثناء الحروب الصليبية هو سوق العسكر ، والذي اقتضت الأحوال العسكرية إنشاءه ، ففي المعارك التي دارت حول عكا في عام (١١٨٩ -١١٩١م) أُقيم معسكر المسلمين وسار فيه النشاط التجاري إلى جوار النشاط الحربي[٢] ، ويدلل علي ذلك ما ذكر بأن بأن " السوق الذي في عسكر السلطان علي عكا كان عظيماً ... "[٣] .

ولقد ارتبطت عمليات التبادل التجاري بين المسلمين والفرنج في بلاد الشام علي عصر الحروب الصليبية بالأسواق الموسمية وبخاصة ما يرتبط منها بقدوم الحجاج المسيحيين وبالأعياد المسيحية والاحتفالات الدينية[٤] .

وأدرك الفرنج في بلاد الشام ما للتبادل التجاري من أهمية اقتصادية فأقاموا أسواقاً موسمية كانت بمثابة المعارض الدولية التي شهدت الكثير من عمليات البيع والشراء بين التجار المسلمين والتجار من البنادقة والجنويين وتجار مرسيليا ، وأيضاً عقد الكثير من الصفقات التجارية بين المسلمين وهم الذين يحتكرون تجارة الشرق الأقصى وبين الفرنج في بلاد الشام والذين نقلوا متاجر الشرقيين الأدنى والأقصى إلى المدن والمستوطنات الصليبية إلى الغرب الأوربي[٥] .

وبذلك ساعدت هذه المواسم التجارية علي نشاط التبادل التجاري بين المسلمين والفرنج منذ منتصف القرن الثاني عشر للميلاد ؛ مما أدى إلى تكتل رؤوس الأموال الأجنبية والإسلامية لتنفيذ أكبر العمليات المالية والصفقات التجارية ، وقد كانت أهم خاصية لهذه المواسم التجارية هي التصريح للتجار

---

[١] – أسامة سيد علي ، المرجع السابق ، صـ ١٦٣.
[٢] – الحوير ، المرجع السابق ، صـ ١٤٤.
[٣] – المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ، صـ٩٤.
[٤] –علي السيد ، المرجع السابق ، صـ ٨٩.
[٥] – علي السيد ، المرجع السابق ، صـ ٩١ .

سواء من المسلمين أو الفرنج بالقدوم إلى مدن الطرف الثاني ومزاولة أعمال التبادل التجاري علي جميع المستويات علي اعتبار أنها مصلحة اقتصادية مشتركة للطرفين[١] ، ويتحدث عن ذلك ابن جبير فيقول : " إن الحروب الصليبية بين دول المسلمين والفرنج لم تعطل من حركة التجارة بين رعية الفريقين في أنحاء البلاد " فلقد كان هناك تبادل بين دمشق الإسلامية وعكا الصليبية ، وذلك علي الرغم من قيام صلاح الدين بشن حرب ضد أرناط صاحب حصن الكرك [٢] .

وبالرغم من ذلك إلا أن نظام الأسواق في شرق البحر المتوسط ، قد تأثر إلى حد كبير بالتقلبات السياسية والاقتصادية التي نشأت عن الصراع الصليبي الإسلامي ، فكانت تغلق الأسواق وتتوقف عجلة التجارة كلما تأزمت الظروف ، ولكن بعد انتهاء الصراع (إما بهدنة أو بمعركة فاصلة) ، تعود الحركة إلى الأسواق مرة أخرى[٣] .

وبهيمنة الصليبيين وتكوينهم الهيكل العسكري الإداري للملكة اللاتينية ، واجهتهم مشكلة إيجاد النظام المالي المناسب لوجودهم الاستيطاني في الوقت الذي كان فيه الدينار * الإسلامي يمثل العماد الرئيسي للنظام النقدي مما جعل الصليبيين يفكرون في استمرار العمل بالنظام المالي الإسلامي المعروف بالعملة الذهبية ، بجوار العملات الفضية المعروفة عندهم في أوربا[٤] .

وحاول الصليبيون إقامة نوع من التوازن المادي للمحافظة علي كيانهم الاقتصادي باستخدامهم نوعين من النقود ، ففي بداية الاحتلال الصليبي كانت معظم العملات النقدية التي ضُربت بواسطة الصليبيين من الذهب الخالص[٥] ، وربما كانت أقدم النقود الذهبية التي ضربها الصليبيون هي تلك التي

---

١ – نفســـه ، صـ٩٣.

٢ – ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ١٤.

٣ – مصطفى الكناني ، المرجع السابق ، صـ٣٢٢ .

* – الدينار : هو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب ؛ انظر : رأفت محمد النبراوي ، النقود الإسلامية في مصر " عصر دولة المماليك الجراكسة "،(مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٦) ، ط٢ ، صـ٣٤١.

٤ – أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٦٨ .

٥ – نفســـه ، صـ١٦٩ .

التي سكها تانكريد الإنطاكي ، وعليها صورته في زي عربي[١] ، ويوضح ذلك ما ذكره باركر بأن العملة التي ضربها الصليبيون في الأراضي المقدسة كانت عملة ذهبية عليها نقوش عربية وبعض آيات صغيرة من القرآن الكريم ، وإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ هجري ، وظل العمل بهذه العملة إلى أن احتج البابا إينوست الرابع علي استخدام الصليبيين لها في عام (١٢٤٩ م)[٢] ، وأما عن سك هذه النقود ، فكان ذلك في أيدي حكام الشرق الفرنجي فلم يكن يجوز للجاليات الإيطالية أو الطوائف الدينية العسكرية أن تعتدي علي هذا الاحتكار ، ولم يكن يسمح للمقطعين إلا أن يضربوا نقوداً من البرونز لسد الحاجات المحلية[٣] .

وكان التأثير الأكبر علي النقود في فترة الحروب الصليبية عندما تتغير دفة الأمور إلى صالح القوى الإسلامية ، وبخاصة في بداية انهيار المملكة اللاتينية ، فيمكننا اعتبار موقعة حطين بداية النهاية ؛ حيث فتحت الطريق أمام انهيار اقتصادي عام أثر علي العملات الصليبية النقدية حيث تم خفض قيمة العملة الصليبية ، فوجدت بيزنتات صليبية ضربت بطريقة رديئة يرجع تاريخها إلى عصر الملك عموري الثاني (١١٩٧ – ١٢٠٥ م) ، وزاد علي ذلك عمليات تزييف العملة الصليبية وإحلال النقود النحاسية والبرونزية محل النقود الذهبية ، وأخذت العملات الذهبية الصليبية في الاختفاء من الأسواق ؛ ويفسر هذا ما قام به أصحاب بعض الإقطاعات في ضرب نقود خاصة بها مثل إقطاعية بيروت وصيدا[٤].

وعلي الرغم من أن الصليبيين ضربوا عملات خاصة بهم[٥] ،إلى جانب إحضارهم كميات ضخمة ضخمة من العملات الغربية إلى الشرق[٦] إلا أنهم ظلوا يستخدمون العملات الإسلامية من الدنانير

---

١ – نظير سعداوي ، المرجع السابق ، صـ٢٠٣ .

٢ – باركر ، ، المصدر السابق ، (ترجمة / علي أحمد) ، صـ ١١٩ – صـ١٢٠.

٣ – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ١٣٩ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ٦١٩ .

٤ – أسامة سيد علي ، المرجع السابق ، صـ ١٧٠ – ١٧١ .

٥ – براور ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٤ ؛ الكناني ، المرجع السابق ، صـ ٣١١ .

٦ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ ٥٢ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ١١٠ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٤ ؛ جوزيف نسيم يوسف ، لويس التاسع في الشرق الأوسط (١٢٥٠ – ١٢٥٤ م) "قضية فلسطين في عصر

الذهبية والهيبربرون الذهبية البيزنطية والدراهم الفضية الإسلامية[١] فضلاً عن الأرجبنتسي البيزنطي "Greek Argenteus" ، والتورناي الفرنسي الكبير "French Grostournios" ، والبنسات الأنطاكية الفضية ، والمارك الفضي والصولدي "Soldus - SU" والدراهم ، وأيضاً استخدم الفلورين الجنوي ، والبندقي والفلورنسي[٢] . وبذلك أدى الإقبال العظيم علي النقد إلى وضع اقتصادي قائم علي العملة والازدياد في سك النقود[٣] .

ولكن الدينار الإسلامي ظل يلقى القبول علي الرغم من الاحتلال الصليبي للموارد الاقتصادية المختلفة ، ويعود ذلك إلى اعتماد الكثير من التجار الإيطاليين علي عمليات استيراد البضائع الشرقية من أسواق المدن الإسلامية الداخلية كحلب ودمشق ، وأيضاً ساعدت حالة المقاطعة التي فرضها التجار المسلمون علي البيزنتات الصليبية ورفضهم التعامل بها علي رواج الدينار الإسلامي ، مما اضطر التجار الإيطاليين إلى دفع ثمن بضائعهم التي يقومون بشرائها بالدينار الإسلامي ، وتعامل التجار المسلمون في الأسواق الصليبية نفسها بالعملة الإسلامية أيضاً ، فكان الدينار الإسلامي بمثابة الدعامة الأساسية في عمليات البيع بالجملة في الأسواق الصليبية[٤] .

ولقد أدت الحاجات المالية للتجارة الشرقية ولشئون الحجاج والفرسان المنتقلين من أوربا إلى نشأة نظام الأوراق المالية (الحوالات المالية) ، وتأسست شركات الصيارفة في جنوة وبيزا وانتشرت فروعها في الشرق[٥] ، فرأت بعض العائلات الإيطالية أن تفتح فروعاً لها في المدن الصليبية فوجدت المناضد التي أقاموها لصرف النقود[٦] . وبذلك وجد شارع في جميع المدن الكبرى تقريباً أو منطقة مخصصة للصرافين بالقرب من الأسواق ؛ لأن مهنة الصيرفة كانت ضرورة يومية بسبب سيل الصليبيين والحجاج

الحروب الصليبية " ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦ م) ، صـ٣١٥ ؛ العدوان الصليبي علي بلاد الشام ، صـ ٣٢٧ ؛ الكناني ، المرجع السابق ، صـ ٣١١ .

١ – براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ ٩٠ .

٢ – الكناني ، المرجع السابق ، صـ ٣١١ .

٣ – حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ ٣٠٨ ؛ العرب ، صـ٢٥٠.

٤ – اسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ ١٧٠ .

٥ – باركر ، المرجع السابق ، صـ ١١٩ ؛ حتى ، المرجع السابق ، صـ ٢٥٠ ؛ سعداوي ، المرجع السابق ، صـ٢٠٣ .

٦ – بروار ، عالم الصليبين ، صـ ١٦٠.

والتجار الوافدين من جميع أنحاء أوربا ، وكان يتم تبادل العملات الأوربية بالعملة المحلية في المصرف إلى جانب التعامل بمختلف النقود وأصنافها التي لا تحصى تم ضربها في أوربا ، وكان يتم تقدير قيمتها الأساسية كمعدن ثم تحويلها إلى عملة محلية[١] .

ويضاف إلى ذلك أن الصيارفة تعاملوا بالعملات الموجودة في الشرق الأدنى إلى جانب عملات أوربا[٢] . فكانت العملة الرئيسية قبل مجيء الصليبيين هي الدينار الذهبي (المصري) أو الدرهم الفضي (الفاطمي) وكانت هذه العملات تختلط وبخاصة في المدن البحرية بعملات كل من بلاد الشام والعراق وفارس . وظلت هذه العملات متداولة بعد الغزو ، فإنها إن لم تكن مدخرة فقد وردت إلى دور السك الخاصة بالنقود الفرنجية عن طريق الضرائب . وبذلك أصبح الصيرفي الصليبي بمثابة الوسيط بين العملات الأوربية وغيرها ؛ فكان الصيارفة الفرنجة يحتلون شارعاً في بيت المقدس ، وأما عن الصيارفة السوريين من المسيحيين الشرقيين الذين من المحتمل أنهم تخصصوا في العملات الشرقية فقد كانوا علي الجانب الآخر[٣] .

وبما أن النشاط التجاري كان هو المصدر الأساسي للموارد المالية الاقتصادية التي اعتمدت علي التعامل التجاري والاتجار مع بلاد المسلمين[٤] ، فإن السياسة الضرائبية للفرنج كانت تسمح بالمرور للتجار والمسافرين ببلادهم ، ولكن بعد أن يتم دفع الرسوم الجمركية[٥] . و يتضح ذلك مما قاله ابن جبير عند وصول القافلة التي كان فيها إلى حصن تبنين – وهو موضع تمكيس القوافل – حيث جرى عليهم التمكيس فقاموا بدفع الضريبة التي كانت تقدر بدينار وقيراط من الدنانير الصورية علي الرأس[٦] وإلى جانب الرسوم التي كانت تدفع علي المصنوعات المحلية من أقمشة وأوان خزفية وأشغال معدنية فلم

---

[١] – نفســـه ، صـ ٢٢٣ .
[٢] – القيتري ، المصدر السابق ، صـ ١٠٧ .
[٣] – براور ، المرجع السابق ، صـ٢٢٤ .
[٤] – الحويري ، المرجع السابق ، صـ ١٤٠ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ ٢١ – صـ ٢٢.
[٥] – أسامة زيد ، المرجع السابق ، صـ ١١٤ ؛ الحويرى ، المرجع السابق ، صـ ١٤٠.
[٦] – ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ ٢١٠ – صـ ٢١١ .

تكن صالحة للاستعمال إلا بدفع الرسوم المقررة عليها[١] ، وكانت هناك رسوم جمركية تدفع علي الطعام ، ورسوم جمركية إضافية كان يدفعها البائع والمشتري وهما يتفاوضان بشأن صفقتهما ، وأيضاً شملت الرسوم المقاييس والأوزان والمكاييل السائلة والجافة[٢] .

ولم يسر الصليبيون علي سياسة ضرائبية ثابتة ؛ فعمدوا في بعض الأحيان إلى زيادة الضرائب المفروضة أو فرض ضرائب إضافية لاستكمال حروبهم مع المسلمين[٣] ، وأبرز مثال الضريبة التي تم فرضها في عام (٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م) لسد النفقات للدفاع عن مملكة بيت المقدس أمام هجمات صلاح الدين ، حيث تم عمل إحصاء شامل للسكان الخاضعين للسلطات الصليبية من مسيحيين وأوربيين وشوام ومسلمين ويهود وإيطاليين وغيرهم ، وفرضت الضريبة عليهم بمقدار بيزانت واحد لكل مائة بيزانت من الممتلكات ، وفرض علي الكنائس (٢ بيزانت) عن كل مائة بيزانت[٤] .

وأما عن علاقة الجاليات التجارية مع بعضهم فكانت علاقات مصالح في المرتبة الأولى ، فلم تكن الجمهوريات الإيطالية في حرب الصليبيين دولاً بحرية فقط ولكنها كانت منظمة بأفضل النظم الجمهورية ، ومع ذلك فكثيراً ما كانت تنشب الحرب فيما بينها إلى أن تستطيع إحداها السيطرة علي التجارة في الشام[٥] وعلي الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدراً لثراء باهظ للمشتغلين بها حيث كان هدف تجار المدن الإيطالية والفرنسية والاسبانية استغلالها استغلاً تجارياً[٦] .

---

١ - الحويري ، المرجع السابق ، صـ ١٤٠ - صـ١٤١ .

٢ - بروار ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٢.

٣ - الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ٣٠٩ ؛ الحويري ، المرجع السابق ، صـ ١٤١ .

٤ - الصورى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ٣٠٩ - صـ ٣١١ ؛ أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٦٦ - صـ ١٦٧ .
.

٥ - محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٢٦٦.

٦ - نادية حسن صقر ، " أثر الحروب الصليبية علي الكشوف الجغرافية " ، مجلة بحوث آداب المنوفية ، العدد العشرين العشرين ، ١٩٩٤ ، صـ٣٨ .

فحارب أبناء بيزا والبندقية وجنوة ومرسيليا وقطلونية بعضهم البعض في أغلب موانئ الشرق من أجل سعيهم الدائم للتفوق السياسي والتجاري[١] ، ومثل الصراع بين البنادقة والجنوية أبرز مثال علي هذا الصراع . فدفعت المصالح التجارية البنادقة والجنوية إلى الدخول في عداء وصراع كبير مع بعضهم خوفاً من أن تتمكن إحداهما من امتلاك أغلب الامتيازات التجارية في مصر والشام ، وبالرغم من ذلك استطاعت البندقية أن تصبح أكبر قوة تجارية أجنبية في تلك المنطقة[٢] .

وكانت مدينة عكا أبرز شاهد علي هذه الحروب التي قامت بين المدن الإيطالية وبخاصة بين البندقية وجنوة ؛ فكانت " حرب القديس سابا"* والتي بدأت بمعركة محلية بين البندقية وجنوة ، ولكن سرعان ما تدخلت أغلب طوائف الإفرنج الموجودين من فرنسا الداوية والأسبتارية والتيوتون وقطلونية والبيازنة[٣] ، وعليه فقد أصبحت التجارة مصدراً للضعف السياسي للمملكة اللاتينية وبخاصة بعد استخدام الموانئ البحرية كساحات للمعارك بين الجاليات الإيطالية المتنافسة[٤]. وكما ورد من قبل فإن المدن التجارية لم تشارك في هذه الحروب من أجل مصالح العالم المسيحي ، ولكن لتحقيق مكاسب تجارية حتى و لو كان ذلك بخيانة المصالح العامة بقيامهم بعمل علاقات صداقة مع جيرانهم من المسلمين[٥] ؛ مما دفع البنادقة إلى المبادرة لمساندة المسلمين[٦] ، وقويت علاقتهما حيث أصبح قوامها المصلحة المشتركة للطرفين[٧] ، فحصل البنادقة علي امتيازات تجارية كثيرة وإعفاءات ضرائبية متعددة ، ، وتصاريح للمرور في الأراضي الإسلامية ، وكانت البندقية أكثر مدينة من المدن الإيطالية قد حصلت

---

[٤] – جورج رينتز ، وآخرون ، المرجع السابق ، صـ١٣١ .

[٢] – عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ ٥ ، صـ ١٧٩ .

(*) دير قديم " للقديس سابا " "saint Sabas" بعكا يقع علي تل ويفصل بين الحي الجنوى والحي البندقي ، وادعت كلٌ من جنوة والبندقية الحق في ملكيته ؛ عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ١٨٧ .

[٣] –باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة / العريني) ، صـ ١٦٢ – صـ ١٦٣ ؛ جورج رينتز ، وأخرون ، المرجع السابق ، صـ ١٣١ ؛ جوناثان رايلي ، المرجع السابق ، صـ ١٨٣ .

[٤] – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ٦١٥ .

[٥] – نفســه ، جـ٢، طـ٢ ، صـ ٥٠٤ ؛ جـ٣ ، طـ٢ ، صـ ٥٩٩ ؛ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١١٩ .

[٦] – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ ٥٠٤ .

[٧] –عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٦ ، صـ ٨٥ .

علي امتيازات تجارية[١] ، ومقابل ذلك قدم البنادقة للمسلمين جميع المواد التي يحتاجونها في الحروب مثل الأسلحة والدروع والأخشاب اللازمة لبناء السفن ، ولم يكن هذا فقط ، بل إنهم كانوا يحذرون المسلمين من الحملات الصليبية التي كانت تعد لهم مثل الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت في عام (١١٩٠م)[٢] ، ولم يقتصر الأمر علي ذلك ، بل كانوا في بعض الأحيان يطلبون من المسلمين فتح بعض المدن التي في يد الصليبيين ، فأرسلوا إلى السلطان قلاوون ليعرضوا عليه ضرورة فتح طرابلس[٣] طرابلس[٣] .

ويوضح ما سبق أن الحروب الصليبية فتحت مجالاً لعلاقات تجارية مباشرة بين البندقية والعالم الإسلامي بخاصة في المنطقة العربية ، فلم يهتم البنادقة بقرارات تحريم المتاجرة مع المسلمين التي كان البابوات يقومون بإصدارها ، وأيضاً العقوبات التي كان يجب أن تطبق علي من يخالف هذه القرارات[٤] .

وقام الجنوية بعقد عدة اتفاقيات مع المسلمين لضمان استمرار التجارة بينهما[٥] ، وعقد البيازنة معاهدة مع الخليفة الفاطمي الظاهر حصلوا فيها علي إمتازات تجارية كبيرة[٦] ، واستطاع البيازنة عقد معاهدة مع صلاح الدين الأيوبي حصلوا من خلالها علي إمتيازات تجارية لرواج الصادر والوارد[٧] .

وأبرزت هذه العلاقات التي قامت بين المسلمين والمدن الإيطالية أن هذه المدن علي الرغم من أنها أحد أهم الأسباب التي ساعدت علي بناء المملكة اللاتينية منذ بداية تكوينها إلا أنها كانت من أهم

---

١ - نفســه ، صـ ٥ .

٢ - باركر ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٩ ؛ عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٨٦ ، صـ٩٢ ؛ فتحية النبراوي ، المرجع السابق ، صـ ٢٣١ .

٣ - عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٥٧ - صـ٥٨ .

٤ -اسمت غنيم ، الدولة الأيوبية والصليبيون ، (دار المعرفة الجامعية) ، صـ٧١ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١١٩ - صـ١٢٠ ؛ عفاف صبرة المرجع السابق ، صـ ٨٦ ، صـ ٨٨ ، صـ٩٢ .

٥ - باركر ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٩ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١٢٠ ، صـ٣١٨ ؛ مصطفى الكناني ، المرجع المرجع السابق ، صـ ٣٢٢ .

٣- عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٢١٠.

٧ - عفاف صبرة ، المرجع السابق ، صـ٢١٠؛ محمد ياسين الحموي ، المرجع السابق ، صـ٤٢ .

الأسباب التي ساعدت علي انهيار هذه المملكة ؛ إما بالنزاعات والحروب التي كانت تشب بين هذه المدن التجارية ، أو بما قاموا بتقديمه من مساعدات للمسلمين ، إما بالإمدادات المادية أو الإمدادات المعلوماتية وتحفيزهم علي إرجاع بعض المدن من أيدي الصليبيين .

وتعد الشعارات التي اتخذتها هذه المدن من أبرز الأدلة علي ذلك مثل البناقة الذين كان شعارهم " نحن أولاً بنادقة وبعد ذلك مسيحيون[١] ، والجنوية " جنويون أولاً ، وجنويون أخراً "[٢] ، وعلي الرغم من ذلك فلقد كان للمدن الإيطالية تأثير في هندسة البناء ، فإن أصول الهندسة الطليانية في الدور والقصور دخلت إلى بلاد الشام منذ عهد الحروب الصليبية وبخاصة في طرابلس وبيروت[٣] .

وأما عن السلع والمنتجات التي كانت تصدرها بلاد الشام فيأتي الحرير السوري والعطور والتوابل في المرتبة الأولى للصادرات ثم بعد ذلك الزجاج والأدوات والأواني المصنوعة محلياً ، وأيضاً مثلت بلاد الشام في تلك الفترة دور الوسيط بالنسبة لتصدير سلع البلاد الشرقية فصدرت الحرير المستورد من الصين والتوابل واللآلئ[٤] .



واستكمالاً للحياة الاقتصادية لتلك المنطقة وأثر الصليبيين عليها تأتي الزراعة ، ونبدأ بالحديث فيها عن النظام الإقطاعي ، وعن الإقطاع[٥] في هذه المنطقة فإن نظام الإقطاع أو الالتزام يعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث كان نوعين : إقطاع استغلال وإقطاع تمليك[١] .

---

[١] – إسمت غنيم ، المرجع السابق ، صـ٧١ .

[٢] – الكناني ، المرجع السابق ، صـ ٣٢٢ .

[٣] – محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ ١٣٧ .

[٤] – أحمد رمضان ، المرجع السابق ، صـ ١٢١ ، صـ٣١٣ .

[٥] –الإقطاع : هو الأرض وغلتها وترجع أصولها إلى قيام الدولة الإسلامية ، وهو نوع من امتلاك الأراضي ؛ انظر : جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ١ ، صـ ٢١٨ ؛ حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ٣٤٧ ، رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٢١٩ ؛ السيد الباز العريني ، " الإقطاع في الشرق الأوسط " منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي " ، حوليات آداب عين شمس ، المجلد الرابع ، يناير ١٩٥٧ م ، صـ ١٢٦ ؛ محمد محفل ، وآخرون ، المرجع السابق ، صـ ٤٩٣ .

وكانت كل الأراضي التي تقع في أيدي المسلمين ولم يكن لها مالك ، مثل الأرض التي تكون لحاكم المدينة قبل دخولهم أو الأرض التي يقتل صاحبها في الحرب أو التي نتجت عن مغيض ماء كان الخلفاء الراشدون يعطونها لمن أرادوا كإقطاعات علي أن يؤدوا عشرها لبيت المال ، وأيضاً أقطع بنو أمية وبنو العباس بعض خواصهم[٢] ، وفي عصر سلاطين السلاجقة سار الإقطاع عاماً علي يد نظام الملك و سار علي دربه الزنكيون والأيوبيون والمماليك[٣] . فكان زنكي يرى أن الإقطاع يغني عن شراء الأرض للملك ، وأعطى الإقطاعات في عهده للأمراء والقواد وأصحاب الدولة[٤]

وبالنسبة للإقطاع الحربي (العسكري) الذي كان من ضروريات الوجود في تلك الفترة ، لأهميته في التعبئة الدائمة للجيش والاستعداد لخوض المعارك في أي لحظة[٥] ، وكان نظام الملك الوزير السلجوقي أول من عرف بأنه قام بإعطاء الإقطاعات إلى الجند واقتدى به من جاء بعده[٦] ، وفي مقابل ما يتمتع به الجندي من إقطاع يؤدي ما يطلب منه من خدمات[٧] . وبذلك فإن الغرض من الإقطاع الحربي هو مراعاة مصالح الجيش وتحقيق ما تفرضه الظروف المادية للعصر[٨] ، وبالرغم من ذلك فإن الجندي لم يقم بأرض الإقطاع فكان يرسل من قبله مشرفاً يتولى جمع الخراج من الفلاحين بشرط أن يحصل علي أكبر قدر ، وكان ذلك يعرض الأرض للخراب[٩] .

---

[١] – جرجي زيدان ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٢١٨ – صـ٢١٩ ؛ حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، جـ٤ ، صـ ٣٤٨ ؛ العريني ، المرجع السابق ، مجـ٤ ، صـ ١٢٦ – صـ١٢٧.

[٢] – رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٠ ؛ زيدان ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٢١٨ – صـ ٢١٩ .

[٣] – رمضان ، المرجع السابق ، صـ ٢٢١ – صـ ٢٢٢ ؛ زيدان ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٢١٨ – صـ٢١٩ ؛ عمر موسى ، المرجع السابق ، ط٢ ، صـ٦٧ .

[٤] – محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ١٦.

[٥] – رمضان ، المرجع السابق ، صـ٢٢١ ، صـ٢٣١ – صـ٢٣٢ ؛ قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ ١٨٥ – صـ١٨٦ ، صـ ١٨٨ .

[٦] – رمضان ، المرجع السابق ، صـ٢٢١ – صـ٢٢٢ ؛ قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٨٦ ؛ محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٥ ، صـ٦٨ ؛ محمد محفل ، وأخرون ، المرجع السابق ، مجـ٢ ، صـ ٤٩٤

[٧] – رمضان ، المرجع السابق ، صـ٢٢٧ –صـ٢٢٨ ؛ العريني المرجع السابق ، صـ١٣٢.

[٨] – العريني ، المرجع السابق ، صـ١٣٤ – صـ١٣٥ .

[٩] – نفســـه ، صـ ١٣١ .

ومن أمثلة هذه الاقطاعات قيام نور الدين بإقطاع أسد الدين شيركوه حمص والرحبة بعد استيلائه علي دمشق ، وأقطع مجد الدين أبابكر بن الداية حلب وحارم وقلعة جعبر ، وقام صلاح الدين أيضاً بإعطاء بعض الإقطاعات فأقطع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي كلاً من سنجار ونصيبين والرفة وسروج والخابور[١] ،وأقطع صلاح الدين بن المشطوب القدس[٢] .

وتم الاعتراف بوراثة الإقطاع وبخاصة من زنكي ونور الدين وذلك تشجيعاً لأصحاب الإقطاعات علي البقاء في الجندية[٣] ، فأقر نور الدين أولاد الجندي المتوفي علي إقطاع أبيهم[٤] . وطبق أيضاً وراثة الإقطاع في أيام حكم صلاح الدين وخلفائه[٥] .

وبالنسبة للنظام الإقطاعي الصليبي في الشرق فلقد عمل الصليبيون منذ البداية علي أن يكون النظام السائد داخل المملكة اللاتينية ، وذلك لأنه النظام الوحيد الذي كانوا يعرفونه في موطنهم بالغرب[٦] ، وتم تعديل هذا النظام لكي يناسب ظروف واحتياجات الشرق[٧] .

ولهذا فإن البناء السكاني للإقطاعات الصليبية كان مختلفاً عن الشكل الأوربي الذي كان يعرفه النبلاء الصليبيون[٨] ، فإلى جانب الملك الذي كان علي رأس الهرم الإقطاعي ومن بعده الأمراء[٩] ضم

---

١ – رمضان ، المرجع السابق ، صـ٢٢٢ – صـ ٢٢٣ ؛ كمال بن مارس ، المرجع السابق ، صـ ١٢٦ – صـ١٢٧ .

٢ – ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، صـ٤٨٤ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ٢٢٣ – صـ٢٢٥ .

٣ – العريني ، المرجع السابق ، صـ ١٤٢ .

٤ – نفســه ، صـ ١٤٢ ؛ عمر موسى ، المرجع السابق ، صـ٦٧ .

٥ – ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ٦٣ – صـ٦٤ .

٦ –باركر ، المرجع السابق ، صـ ٤٧ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ١٢٨ ؛ جوناثان رايلي ، المرجع السابق ، صـ٢١ ؛ سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ٢٨٨ ؛ عارف العارف ، المرجع السابق ، صـ٧٥ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٨٤ ؛ غوستاف لوبون ، المرجع السابق ، صـ ٣٢٨.

٧ – أسامة زيد ، المرجع السابق ، صـ ١٠٥ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ١٢٨ ؛ الاستطان ، صـ٨٩ .

٨ – براور ، عالم الصليبين ، صـ ١٣٣.

٩ – براور ، الإستيطان ، صـ٨٨ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٨٤ .

ضم البناء السكاني الفرسان وسكان المدن في القومونات التجارية الإيطالية ، وأيضاً شمل المسيحيين الشرقيين والمسلمين واليهود والدروز والحشاشين والسامرة[١].

ولقد تزامن اقتسام الأراضي بين الملك والبارونات المرتبطين به بالولاء مع فتح البلاد[٢] ، ولقد كان لهذا التقسيم تأثيره علي شخصية ومستقبل الأراضي التي احتلها الصليبيون في الشرق العربي ، حيث منح حكام الإمارات الصليبية الإقطاعات والإيرادات لأتباعهم ؛ وبذلك أصبحت أنطاكية نورمانية في عاداتها وتقاليدها بحكم بوهيموند لها ، وطرابلس بروفنسالية الطابع بتأسيس ريموند السانجيلي[٣] ، وأما مملكة بيت المقدس فكانت وفق النظم والتقاليد الفرنسية[٤] و أما الرها فكان تأثرها ضئيلاً وذلك علي علي الرغم من أنها حُكمت بأفراد من أسرة بويون الفرنسية " Bouillons " ، وبعدهم أسرة كورتيناري ، إلا أن سكانها المحليين من الأرمن واليعاقبة لم يستطع الصليبيون أن يحلوا محلهم ، ويضاف إلى ذلك أن فترة حكم الصليبيين للرها كانت قصيرة إلى حد ما[٥] وذلك لأنها كانت أول إمارة استطاع المسلمون إرجاعها من يد الصليبيين .

وبناء علي العرف السائد في النظام الإقطاعي في المملكة " أن الملك الأول بين أقرانه"[٦] فإنه باستقرار ووضوح الخطوط العريضة للنظام الإقطاعي في المملكة الصليبية . كانت الأملاك الملكية هي الأكثر ثراء والأوسع حيث شملت منطقة يهوذا فيما بين الخليل في الجنوب والسامرة في الشمال[٧] .

---

١ - باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة / علي أحمد) ، صـ١٠٤ ؛ براور ، عالم الصليبيين ، صـ١٣٣ .

٢ - الڤيتري ، المصدر السابق ، ، صـ٦٢ ؛ ميشيل بالار ، المرجع السابق ، صـ١٢٦ ؛
T.F.Tout , Op. cit ., P.184 .

١- براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ ٨٦ .

٢- نفسه ، صـ ٨٦ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ١٢٠ .

٣- براور ، المرجع السابق ، صـ ٨٦ .

٤ - عباللطيف عبدالهادي السيد ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الثالث "١١٤٣ - ١١٦٣م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (آداب عين شمس ، ١٩٩٠) ، صـ٤١ .

٥- الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٦٢ ؛ براور ، عالم الصليبيين ، صـ ١٣٠ ؛ بالار ، المرجع السابق ، صـ١٢٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ٤٧٥ .

وبذلك كانت الأملاك الملكية (الدومين) تمثل جوهراً أساسياً[١] إلا أن جزءاً كبيراً من الأراضي تم تقسيمه إلى إقطاعات ومقاطعات يمتلكها سادة إقطاعيون[٢] ، وكانت هذه الإقطاعات إما كبيرة مثل الجليل وإقطاع شرق الأردن ومقاطعة يافا* أو صغيرة مثل التي تمركزت حول المدن الساحلية كصيدا وبيروت وحيفا وقيصرية و أرسوف أو حول المراكز الداخلية مثل نابلس وحيدون والرملة وبيسان[٣] .

وبالرغم من أن الأسباب الدينية اعتبرت من أول الدوافع التي قامت من أجلها الحروب الصليبية ، إلا أن الإقطاعات الدينية كانت ضئيلة للغاية ؛ فمن هذه الإقطاعات اللد* وبيت لحم والناصرة[٤]. ولأسباب استراتيجية انتشرت إقطاعات الطوائف الدينية العسكرية في جميع أنحاء أراضي الفرنج[٥] .

ولقد سار الصليبيون علي النظام الإقطاعي الطبقى في بلاد الشام فبعد الملك جاءت ثلاث طبقات من الأمة تشترك معه في إدارة الأعمال العمومية فكان الملك الذي يحكم مملكة بيت المقدس ثم الأكليروس الذي كان له مكانة كبيرة عند الفرنج[٦] ، والصنجيل والكند سطبل والمارشال[٧] .

٦- براور ، الاستيطان ، صـ٨٩ .

٧- الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٩ ، صـ ٢٤١ ، صـ ٢٧٦ ، صـ ٣٠٨ ؛ جـ٤ ، صـ ٩٧ .

* أصبحت مقاطعة يافا – عسقلان بعد ذلك من أملاك الأسرة الحاكمة ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ١١٨ ؛ براور ، عالم الصليبين ، صـ ١٣٠ .

١- الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٢٩٣ ؛ الفيتري ، المصدر السابق ، صـ ٦٢ ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ ١٣٠ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٤٧٥.

* – اللد : أطلق عليها بعد ذلك سان جورج ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ ١٣٠ .

٢- براور ، المرجع السابق ، صـ ١٣٠ .

٣- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ،ط٢ ، صـ ٤٧٦ .

٤- أحد الآباء اليسوعيين ، المرجع السابق ، صـ ٦٥

٥- المارشال : يطلق علي ناظر إسطبلات الملك بأوربا ؛ باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة/ العريني) ، صـ١٤٩ ؛ رايلي ، المرجع السابق ، صـ ٣١٢ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٤٨٦ .

* بيت المال (Secrete) : هو الديوان الذي يؤدي كل ما يستحق الملك من أموال ويصرف من المرتبات ويحفظ بسجل لكل العمليات المالية المرتبطة بالحكومة ولقد نقله الفرنج عن العرب ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٤٨٦ .

وأما عن بيت المال* داخل هذا التنظيم فلم يكن إلا إدارة مفككة التنظيم(١) علي أن الفيكونت* اعتبر أهم موظفي الإدارة المحلية فكان يمثل الملك في كل المدن التي توجد في إقطاعاته ، ويأتي المحتسب – الذي احتفظ بالاسم العربي – بعد الفيكونت في المكانة وكان يطلق عليه في بعض الأحوال كبير السرجندارية* أيضاً(٢) .



وبالنسبة لفلاحي تلك المنطقة في ذلك العصر ، ولإيضاح تأثيرهم بالأحداث التي كانت تجري ، تبدأ بالحديث عن أهمية الإنتاج الزراعي للمسلمين والصليبيين في تلك الفترة التي كانت في اغلبها حروباً بين الطرفين ؛ فمثل الإنتاج الزراعي قوام التجارة وأساس الاقتصاد بالنسبة لهم ، بحيث رأت كل قوى منهم أنه من الضروري توفر الغذاء . ولذلك اعتنى الصليبيون بزراعة السهول والوديان والجبال التي كانت مزروعة من قبل وتطهير الوديان وإعداد القرى التي خربتها الحروب(٣) . وتحدث عن ذلك فوشيه الشارتري فقال : " إن البعض اعتنى بزراعة الكرمة والأخرون يحرثون الحقول "(٤).

وأخذ الصليبيون عن الشرقيين نظمهم الزراعية المتقدمة(٥) ، فلم يغيروا النظام الزراعي المحلي في في سوريا(٦) ، ومثل القطن أهم المحاصيل التي زرعوها ، وكان يزرع في أنطاكية وطرابلس(٧) ،

٦- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ ٤٨٦ .

* الفيكونت أو البسكند "viscount" : هو شحنة البلد ويذكر المقريزي أن صاحب الشحنة هو المتولي رياسة الشرطة ؛ أسامة بن منقذ ، المصدر السابق ، تحقيق / حتى) ، صـ ١٣٩ ؛ (تحقيق / السامرائي) ، صـ ١٥٨ ؛ المقريزي ، المصدر السابق ، جـ١ ق١ ، صـ٣٥ .

* السرجندارية " Serjtants" هم المحاربون المشاة ذوي الرواتب ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٣٣ ، صـ١٢٢ ، صـ٢٣٦ ؛ ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ٩٧ – صـ٩٨ ؛ براور ، الاستيطان ، صـ١٠٦ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٦٩ .

١- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ صـ٤٨٦ .

٢- أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١١٦ – صـ١١٧ ؛ جلال يحيى ، العالم العربي الحديث " المدخل" ، (دار المعرف ، ١٩٨٢م) ، صـ١٨ .

٣- الشارتري ، المصدر السابق ، ط١ ، صـ ٢١٨ .

٤- عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، صـ٢٤ .

٥ – رايلي ، المرجع السابق ، صـ٢٣ .

٦ – سعداوي ، المرجع السابق ، صـ ١٧٢ .

واشتهرت طرابلس بزراعة قصب السكر أيضاً الذي لم يكن معروفاً عند الفرنجة قبل مجيئهم إلى الشرق[١] . وزرعوا أيضاً أشجار اللوز والنخيل[٢] والحمضيات والفواكه والزيتون[٣] .

وجاء تأثر أحوال الفلاحين مع بداية الغزو الصليبي لمنطقة الشرق الأوسط ، فهجر المسلمون الأراضي وتركوا خلفهم أراضي واسعة قام الصليبيون بتوزيعها علي من جاءوا معهم من مواطنيهم[٤] من الفلاحين الذين نزحوا معهم من الغرب بسبب النير الإقطاعي الذي كانوا يعانون منه في موطنهم بسبب الأعباء التي كانت تلقى عليهم ، حيث كانت الحاجة والجوع تضطرهم أحياناً[٥] إلى حرق الضياع أو إلى الهرب للتخلص من الابتزاز ومن غارات العصابات الإقطاعية اللصوصية[٦] ، ولجأ بعضهم إلى الزهد الديني بدخول الأديرة[٧]

ونظراً لذلك فعندما نودي للحروب الصليبية لتحرير الأراضي المقدسة وهي الأرض التي كانت تفيض باللبن والعسل [٨].فكان من ضمن أسباب مجيء الحروب الصليبية إلى بلاد الشام الحصول علي علي خيرات الشرق[٩] واتضح ذلك من خلال "قانون الغزو" "law of conauest " الذي طبق علي الممتلكات والأملاك الريفية ، فعند إحتلا أي قرية يدعي الفارس امتلاكه له ، وكان يتم التصديق علي

٧- الصوري ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ٢٣ .

٨- جمعة مصطفى ، المرجع السابق ، صـ ١٤٢ – صـ ١٤٣ .

٩- بورشارد ، المصدر السابق ، صـ ١٧١ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٢٣ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٣٣ ، صـ ٤١ .

١- الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ١٨٠ ؛ رنسيمان ، ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٤ ؛
Lamb, op.cit., P.236, P.241, P.261.

٢- ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، (ترجمة / إلياس شاهين ، دار التقدم ، ١٩٨٦ م) ، صـ١٦ .

٣- زابوروف ، المرجع السابق ، صـ١٦ ؛ قاسم عبده ، رؤية اسرائيلية ، صـ١٥ .

٤- زابوروف ، المرجع السابق ، صـ١٦ – صـ١٧ .

٥- الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ٢١ .

٦- باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة / العريني) ، صـ١١ – صـ٢٦ ؛
Jay Willams , OP.cit., P.46 .

هذا الوضع وإقراره بشرط أن يقوم هؤلاء الملاك بتأدية يمين الولاء والتبعية للملك الصليبي[١] فأصبح الكثير من القرى التي امتلكها المحاربون الصليبيون تعرف بأسمائهم[٢] .

وبذلك شرع الصليبيون في بناء مستوطنات قروية صغيرة في الأراضي التي امتلكوها ، وتم اختيار مواقع هذه القرى طبقاً للظروف الأمنية ، فغالباً ما قام الصليبيون ببنائها علي قمم التلال وأيضاً قاموا بمحاولة عمارة القرى التي هجرها أهلها نتيجة الحروب لكي توفر لهم إيرادات مالية كبيرة[٣] .

وكما يقول براور " إن الريف كله كان مسلماً تحت الحكم الصليبي[٤] ، ومثل الفلاحون من المسلمين قاعدة الهرم الطبقى[٥] فعاش بجوارهم داخل القرية الصليبية الأرمن والموارنة ، والصليبيون[٦] الذين كانوا في مرتبة أعلى من الفلاحين الشوام لمعاملتهم علي أنهم بورجوازيون وقطنوا بمنازل حول القلعة الموجودة داخل القرية[٧].

وبذلك بقيت الخلايا الاجتماعية الأساسية كما هي علي الرغم من أن الدولة الإسلامية فقدت سيادتها وسلطاتها علي تلك المناطق[٨] ؛ فخضع الريف وسكانه لشيخ (رئيس)* من دين أغلبية الأهالي[٩] ، ولقد اعترف الصليبيون بالسلطة التقليدية للشيوخ في القرى ، فأصبح لهم سلطات يمثلون من خلالها القرية في التعامل مع الحاكم الصليبي ، فكان الرئيس يشرف علي ضرائب الدخل عندما لا

٧- براور ، المرجع السابق ، صـ ٧٨ ، صـ ٨٧ .

٨- نفســـه ، صـ٨٧

١- الصورى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٢١٢ .

٢- براور ، عالم الصليبين ، صـ ٩٨ ، صـ ١٢٣ .

٣- أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣٠ ؛ محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي الصليبي " معركة أرسوف" ، صـ ٢٥٥ .

٤- الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ٤٣٩ .

٥- أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ ١٣٠ ؛ براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ ١٠٨

٦- براور ، عالم الصليبيين ، صـ٩٨

* – رئيس : هو اسم عربي احتفظ به شيخ القرية إلى جانب اسم الوسيط ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، طـ٢ ، صـ٤٧٤ .

٧- أحد الآباء اليسوعين ، المرجع السابق ، صـ٦٧

يوجد وكيل للخراج[١] ، واستخدم سيد الإقطاع أحد مواطنيه ليكون مرشداً له[٢] وأيضاً استخدم كاتباً مسلماً ليتولى أمر سجلاته باللغة العربية[٣] .

وتركزت الحياة الدينية في القرى حول المساجد الصغيرة بها ، واستمر القضاة والعلماء يباشرون خدماتهم الدينية وغير الدينية وذلك لعدم إمكانية الاستغناء عنهم في شئون الزواج والميراث[٤] ، وكان التقاضي داخل القرى بين أعضاء الجماعات المختلفة يتم أمام سلطاتهم التقليدية سواء كانت علمانية أو دينية[٥] .ففي إقليم جبلة اللاذقية أسند بوهيموند الثالث أمير أنطاكية أحوال المسلمين إلى قاضى جبلة الشيخ منصور بن نبيل ، ولقد استفاد المسلمون من ذلك كثيراً. ففي الحرب بين المسلمين والصليبيين يقدم المسلمون وقاضيهم المساعدات لجيوش المسلمين ؛ فعندما جاء صلاح الدين لفتح بلاد الساحل السوري الشمالية في عام (١١٨٨ م) قام الشيخ منصور برفع أعلامه علي سور جبلة وأفسد دفاعات الصليبيين بها وأخذ يراوغ الصليبيين إلى أن استولى صلاح الدين علي جبلة . وأما في السلم فيعمل القاضي علي تنظيم الحياة اليومية للمسلمين مع السلطات الصليبية عن طريق تخفيف ظلم حكامها من كثرة الأعباء علي المسلمين [٦].

ومن أهم الأعباء التي تعرض لها فلاحو تلك المنطقة[٧] مع بداية الغزو الصليبي يقول سيد الحريري : " إن القرى الواقعة بجوار أنطاكية أصبحت مدمرة من جراء الحرب" [٨] وأما عند هجوم الفرنج الفرنج علي أحد الحصون القريبة من تل منسي كما يقول مؤلف أعمال الفرنجة أنهم : " قاموا بإلغاء القبض علي جميع الفلاحين بتلك المنطقة ، وقتلوا كل من رفض اعتناق المسيحية ،ومن آمن بالمسيح

٨- براور ، المرجع السابق ، صـ٩٩ ، صـ١٥٠ ؛ رايلي ، المرجع السابق ، صـ٢٣ .

٩- رايلي ، المرجع السابق ، صـ٢٣ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٤

١٠- رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٤٧٤ .

١- براور ، المرجع السابق ، صـ٩٨ ؛ قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ٢٠٧ .

٢- براور ، المرجع السابق ، صـ١٣٤ .

٣- سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١٧٩ .

٤- الصوري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٤٩ ؛ جـ٤ ، صـ.٢٩٥

٥- نفســه ، جـ٤ ، صـ١٥٤ ، صـ١٩٣ ، صـ٢٥٦ ، صـ٢٨٣ ، صـ٢٨٥ – صـ٢٨٦ ، صـ٢٩٨ ، صـ٣٠٢ – صـ٣٠٣ ، صـ٣٠٨ ؛ سيد الحريرى ، المرجع السابق ، صـ٢٠ .

أطلقوا سراحهم وحافظوا علي حياتهم"[١] وبذلك كان " الويل لمن كان صقعهم في طريق المهاجمين والمدافعين فإن مزرعته وداره إلى بوار " كما يقول محمد كرد علي ، وبخاصة في أعمال حلب وطرابلس[٢] لحرص الفرنج علي الاستيلاء علي قرى حلب والبقاع وحوران والسواد والبلقان لتوفير الطعام لجيوشهم من غلاتها[٣] ، ونتج عن ذلك أن تدخل الحاكم في فرض نوع المحصول الذي يجب زراعته لاحتياج القوات المحاربة له[٤] .

ولم يسلم الفلاحون أيضاً في حالة المهادنة بين الطرفين فيذكر ابن العديم أنه بعد الصلح الذي عقد بين المسلمين والصليبيين أغار جوسلين علي النقرة والأحص فقتل وسبى وأحرق كل ما فيها[٥] ، ويتحدث عن ذلك ابن القلانسي أيضاً فيذكر إغارة الفرنجة علي ناحية الشعراء المجاورة لبانياس ، وذلك بعد الصلح الذي عقد بينهم وبين المسلمين فأخذ الفرنج جميع ما وجدوه وأفقروا أهلها وأخذوا منهم أسرى أيضاً[٦] .

ومما لاشك فيه أن أحوال الفلاحين المسلمين في الحكم الصليبي كانت متردية نتيجة للنظام الإقطاعي الذي فرض عليها وبخاصة أن الفلاحين كانوا مرتبطين بالأرض حتى إنهم ينتقلون معها من سيد إلى آخر[٧] . وهكذا انحط المسلمون إلى درك الرق والعبودية[٨] ، وعليه فقد قام النظام الإقطاعي في الممالك الصليبية علي أكتاف الفلاحين فإلى جانب العمل اليومي أجبروا علي دفع ضرائب عينية

٦- أعمال الفرنجة ، (ترجمة وتعليق / حسن حبشي) ، صـ٩٩ ؛ قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ٢٠٧ .

٧- محمد كرد ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ١٤ .

[٣] - نفســه ، جـ١ ، صـ٣٠٩ .

[٤] - جلال يحيى ، المرجع السابق ، صـ١٧ .

[٥] - ابن العديم ، المصدر السابق ، جـ٨ ، صـ٥٦٠

[٦] - الصورى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٣٠٨ ؛ ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ، صـ٥١٧ .

[٧] - أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣١ ؛ حسين عطية ، "المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام" ، حوليات حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد السابع والعشرين ، العدد الثاني ، ١٩٩٩م ، صـ٧٣ ؛ رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٦٩ ؛ عمر موسى ، المرجع السابق ، صـ٦٧ .

[٨] - سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ٢٨٨ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ٣٩٥ – صـ٣٩٦ .

وأخرى نقدية[١] ، فكانوا يسلمون ربع محصولهم كضريبة تسمى " Carragium "[٢] ، وأما عن الضريبة التي كانت تسمى ضريبة (التقدمة "Presentantica" أو الأقوات "Nutrimenta" أو النقد) فكانت تدفع[٣] ثلاث مرات في العام ، واحتوت علي طائر وعشر بيضات ونصف رطل من الجبن واثنتى عشرة عشرة بيزانت عن كل حمل خشب[٤] . والتزم الفلاحون أيضاً بدفع ضريبة الرأس*[٥] ، وخضع المسلمون المسلمون أيضاً لضريبة العشر التي كانت تؤدى للكنيسة[٦] ، وإلى جانب هذه الضرائب عدة ضرائب أخرى منها ضريبة علي الماشية[٧] وضريبة علي استخدام المطحن والمخبز والحمام التي كانت إقامتهما حكراً علي المقطعين[٨] .

وانفردت بلاد الشام بنوع خاص من نظم جباية الضرائب المفروضة علي الأراضي الزراعية عرف باسم " الأراضي المضمنة " أو المفصولة علي أربابها بشيء معلوم من المال يؤخذ منهم عند إدراك المغل وبخاصة في المدن الساحلية في عصر الحروب الصليبية[٩].

---

١ – الصورى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ١٣٣ ، صـ٣١٢ .

٢ – يبدوا أن مصطلح " Carragium " تحريف لضريبة الخراج الإسلامية ؛ أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣٢ ؛ محمد فتحي الشاعر ، أحوال المسلمين " في مملكة بيت المقدس الصليبية " ١٠٩٩ – ١١٨٧ م " ، (المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٨٩م) ، صـ١٥ .

٣ – رايلي ، المرجع السابق ، صـ٢٣

٤ –الشاعر ، المرجع السابق ، صـ١٦

* ضريبة الراس "Capitation tax " : ضريبة نقدية موحدة القيمة علي كل مسلم بلغ سن الرشد وتدفع مرة واحدة في السنة ؛ الشاعر . المرجع السابق ، صـ١٧ – صـ١٨

٥ – ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ –٢١٠ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧٨ ؛ الشاعر ، المرجع السابق السابق ، صـ١٧ – صـ١٨.

٦ – أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣٢ ؛ رايلي ، المرجع السابق ، صـ٣٨٢ ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧٨ .

٧ – أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣٢ ؛ الشاعر ، المرجع السابق ، صـ١٦.

٨ – براور ، الاستيطان الصليبي ، صـ١٠٨ .

٩ – رمضان ، المرجع السابق ، صـ١٧٤ .

ومن الأعباء التي أجبر عليها الفلاحون أيضاً هي القيام ببعض أعمال السخرة "Corvèe"[١] في بساتين الزيتون وحقول الكروم ، ومزارع قصب السكر[٢] ، وعند بناء القلاع الضخمة[٣] وإلى جانب ذلك ذلك لم تكن الرعاية الصحية متوفرة بشكل كافٍ فأفسح ذلك لبعض الأمراض من النيل من هؤلاء الفلاحين ، وذلك بالإضافة إلى انتشار الأمية[٤] .وبالرغم من الأعباء التي كانت تقع علي كاهل الفلاحين من جراء الضرائب التي كانت تفرض عليهم إلا أن ابن جبير يقر أثناء رحلته أن حال المسلمين تحت الحكم الصليبي أفضل من وضع فلاحي الحكم الإسلامي[٥] . ويثبت ذلك ما قاله رنسيمان أيضاً بأن المستوى العام للضرائب في ظل الحكم الصليبي يقل عما هو معروف عند الأمراء المسلمين المجاورين [٦].

وبالنسبة لتأثر الرعى في تلك الفترة فإنه نتيجة لوجود بعض المستنقعات التي غطت مساحات واسعة من المنطقة تكونت الأراضي البور التي استخدمت كمراعي للماشية ، وكانت هذه الأراضي نتيجة إما للطبيعة الجغرافية للمنطقة أو لهجرة السكان لهذه المناطق بسبب الحروب وأطلق الصليبيون علي هذه الأراضي " الخربة " "Al-Khirbat " – وهو اسم عربي – وتمثلت أهم المراعي في مراعي أرسوف وقيسارية والرملة ويافا وحول سهول أنطاكية[٧] .

ويتضح مما سبق أن الحروب الصليبية صبغت بصبغة اقتصادية استغلالية ؛ فكثير من المدن والجماعات والأفراد التي أيدتها وشاركت فيها كانوا يهرولون وراء المكاسب المادية التي تساعدهم علي جمع الثروات وإقامة مستوطنات ومراكز ثابتة لهم في قلب الوطن العربي[٨] .

---

١ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧٤ ؛ الشاعر ، المرجع السابق ، صـ١٦.

٢ – رايلي ، المرجع السابق ، صـ٢٤ ؛ الشاعر ، المرجع السابق ، صـ١٧.

٣ – الشاعر ، المرجع السابق ، صـ١٧.

٤ – محمد مؤنس ، المرجع السابق ، صـ٢٥٨.

٥ – ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ٢١٠.

٦ – رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٢ ، صـ٤٧٩.

٧ – أسامة سيد ، المرجع السابق ، صـ١٣٧ – صـ١٣٨.

٨ – عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط ٥ ، صـ٣٤ .

الفصل الرابع

صـــورة الآخــــــــر

١- صـــورة الصـــليبي فـــي الذهنيـــة العربيـــة .

٢- الصـــورة التـــي رســـمها الصـــليبيون للعـــرب .

لقد كانت الحروب الصليبية* حرباً مثل غيرها ، من الحروب وكما يقول براور أنه : "من خلالها وضحت رؤية كل فريق "للآخر" ، وتبلورت بفضل التلاحم العسكري والاحتكاك الحضاري بشتى جوانبه ، وهذه الرؤية التي فرضت نفسها علي الكتابات التاريخية آنذاك"[١]. وعلي الرغم من أن الحروب التي كانت بين العرب والبيزنطيين من قبل كانت في كونها حرباً صليبية بين المسلمين والمسيحيين إلا أن كتابات المؤرخين لم تعرفها علي أنها حرب صليبية . أما الحروب التي شهدها(ق ٦ هـ/١٢م) والتي كانت بين المسلمين والمسيحيين ، فقد عرفت بالحروب الصليبية[٢] وذلك لأن المسيحيين أثناء حملاتهم كانوا يضعون شارة الصليب علي كتف سترتهم اليمنى تنفيذاً لتعليمات البابا أوربان[٣] ؛ حيث كان الهدف الذي أعلنوه هو النضال ضد المسلمين الذين يسيطرون علي طرق الحجاج المسيحيين إلى فلسطين ، واسترداد بيت المقدس وحماية الحجاج المسيحيين من الاضطهادات التي تعرضوا لها[٤] .

ويبدو أن هذه إحدى افتراءات التاريخ الكبرى ، فإنه لم يوجد أي دليل أو وثيقة تبرهن علي هذه الاتهامات ، وكل ما عُرِف في هذا المجال هو الضريبة المقررة علي الحجاج والتي زعموا

* إختلفت المصطلحات التي أطلقت علي الحروب الصليبية ، فأُطلق عليها " رحلة الحج " ، " الرحلة إلى الأراضي المقدسة " ، " الحرب المقدسة "Guerre sainte" أو "bellum Sacrum" ، " الرحلة العامة" "Passagium General" و"حملة الصليب" "Expesitio Crucis " أو عمل "يسوع المسيح" Negotium" Thesuchristi " ، وأطلق عليها العرب " حروب الفرنج ؛ انظر : قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ١٢ – صـ١٥ ، صـ١٧ – صـ١٨ ؛ الحملة الصليبية الأولى "نصوص ووثائق " ، (العربية للدراسات والنشر " صـ٨) .

[١] – براور ، عالم الصليبيين ، صـ٧ .

[٢] –زابوروف ، المرجع السابق ، صـ٤ – صـ١٠ .

[٣] –عمر عبدالسلام ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٢ ، صـ٣٨٥ .

[٤] –القيتري ، المصدر السابق ، صـ٨٩ ؛ أنور الجندي ، الموسوعة الإسلامية العربية " الاسلام وحركة التاريخ " " رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام "، (دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري ، ١٩٨٠ م) جـ٥ ، ط١ ، صـ٢٠٨ ؛ باركر ، المرجع السابق ، صـ١٣ – صـ١٥ ؛ زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية ، صـ٨ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٢٨ ؛ عمر عبدالسلام ، تاريخ طرابلس ، جـ١ ، ط٢ ، صـ٣٨٥ ؛ فوشيه الشارتري ، المصدر السابق ، صـ٢٦.

أنها كبيرة ، وبالنسبة للاعتداءات علي حجاج القبر المقدس فلم تتأكد بدليل واحد[١] ، فلقد أجمع المؤرخون الأوربيون المحدثون علي أن الحجاج المسيحيين لم يتعرضوا للعنف أو الإرهاق أثناء زيارتهم لكنيسة القيامة والأماكن المقدسة ، بل إنهم كانوا أفضل حالاً في ظل حكم المسلمين عن حالهم أثناء حكم الرومان[٢] .

وعند تفنيد وجهات نظر بعض المؤرخين للحروب الصليبية نجد أن فوشيه الشارتري يرى الحملة الصليبية علي أنها حروب مقدسة تشبه حروب بني إسرائيل والمكابين في العهود القديمة[٣] . ونظر إليها علي أنها مآثر من الله اكتملت علي الفرنسيين[٤]. ويذكر باركر " أن الحروب الصليبية اعتبرت ذروة الإحياء الديني الذي بدأ في غرب أوربا خلال (ق١٠م) ، واعتبرت أيضاً فصلاً من أهم الفصول في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، واعتبرها المعاصرون لها في شكلها الأول " حروباً مقدسة أو طريق الحاج إلى كنيسة القيامة[٥] واعتبرت مرحلة الإصلاح الديني للمقاتلين من العلمانين[٦] فيذكر أحد مؤرخي النصرانية "أن الحروب الصليبية قامت علي مبدأ التعصب الوحشي"[٧] .

وكانت هذه الحروب عقائدية في دوافعها وسياسية وعسكرية معاً في منهجها وأسلوبها ،

---

١ –أنور الجندي ، المرجع السابق ، جـ٥ ، صـ٢٠٨ .

٢ – نفسه ، جـ٥ ، صـ٢٠٨ – صـ٢٠٩ ؛ السيد الباز العريني ، سيد عبدالفتاح عاشور ، محمد أنيس ، عبدالعزيز كامل ، حسن أحمد محمود ، السيد محمد رجب حراز ، محمد متولي ، المجتمع العربي ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ م) ، صـ٤٩ .

٣ – الشارتري ، المصدر السابق ، صـ١١ ، صـ٢٦ .

٤ – جاك س – رسيلر ، الحضارة العربية ، (ترجمة / غنيم عبدون ، مراجعة / أحمد فؤاد هواني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة) صـ٢٥٤ .

٥ – باركر ، المرجع السابق ، صـ٣ ؛ زكي النقاش ، المرجع السابق ، صـ٨ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط ٥ ، صـ٢٢ – صـ٢٣ .

٦ – باركر ، المرجع السابق ، صـ٨ ؛عاشور المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٢٣ .

٧ –محمد عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ،(مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٨٢ هـ– ١٩٦٢م) ، ط٤ ، صـ١٢٢.

وبالرغم من سيطرة الحقد الدفين علي الإسلام والمسلمين يقول أحد الكتاب الصليبيين بأن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس ولكن لتدمير الإسلام[١] ، وأيضاً كانت تهدف منذ البداية إلى التوسع الاستعماري تحت قناع من الدعاية الدينية للاستيلاء علي فلسطين وإقامة مستعمرات لاتينية بها والعمل علي توسيع هذه المستعمرات لتكون رأس جسر لأهل الغرب اللاتيني ليستخدموها لتفتيت وحدة العالم العربي وكسر شوكته لضمان البقاء لنفوذهم في المنطقة[٢] .

وبذلك فإن الاستعمار الاستيطاني كان أبرز أهداف الحركة الصليبية ، وبتحقيقه فرضت الآثار السلبية نتائجها علي المنطقة العربية[٣] . فلم تكن هذه الحروب إلا تجديداً للعداء القديم بين بين الشرق والغرب ، وعلي الرغم من أن هذا العداء اتخذ صفة الشمولية هذه المرة فساهمت فيها الشعوب الأوربية[٤]ما بين جرمانية وشمالية وإفرنجية وإيطالية[٥] ، وقامت فرنسا في هذه الحروب الحروب مقام الروح من الجسد بالمقارنة بغيرها من الدول فمنذ تلك الحروب ارتبطت السياسة الفرنسية بمصالحها الاستعمارية في بلاد الشام[٦] .

ويذكر براور أن الحروب الصليبية ما هي إلا توضيح درامي مغزاه يكشف عن الجوانب الرئيسية في حضارة العصور الوسطي ، لأن هذه الحروب لم تكن إلا عاملاً سببياً من عوامل التغير في العصور الوسطي ، وإنها كانت تعبيراً عن ثقافة وأفكار ومواقف الناس في تلك العصور ، فكشفت الحروب الصليبية النقاب علن أهل العصور الوسطي وسلطت الضوء علي

---

١ –محمد عبدالله السمان ، " الزحف الصليبي الحديث " ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رسالة الطالب المسلم ، العدد الأول ، (١٣٩٧ – ١٣٩٨ هـ) ، صـ٣٢ .

٢ –جوزيف نسيم ، الوحدة وحركات اليقظة ، صـ٨ – صـ١٠ ؛ عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥ ، صـ٣٤ ؛ قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٦ .

٣ – قاسم عبده ، رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية ، صـ١٨ .

٤ – عمرعبدالسلام ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٢ ، صـ٣٨٥ ؛ عاشور، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٥، صـ٢٢ .

٥ – زكي النقاش ، المرجع السابق ، صـ٨ .

٦ – باركر ، المرجع السابق ، صـ٢٤ – صـ٢٥ ؛ عمر عبدالسلام ، المرجع السابق ، جـ١ ، صـ٣٨٥.

خصائصهم بشكل غير عادي مما يجعلها ظاهرة تاريخية جديرة بالدراسة من جميع الوجوه.(١)

ويذكر أيضاً أن بعض المؤرخين يميلون إلى المبالغة في تصوير الحروب الصليبية بأنها العامل الأساسي في التغيرات التاريخية التي طرأت علي الشرق والغرب منذ القرن الحادي عشر ، و أيضاً مثلت مرحلة هامة من مراحل تطور تاريخ العصور الوسطي ويعود ذلك إلى أن الحروب الصليبية كانت تعبيراً عن أنماط أساسية من التفكير والسلوك الأوربي والشرقي.(٢)

ونُظر إلى الحروب الصليبية علي أن فكرتها تعني " جند الرب " ، وتمثلت أهم عناصر هذه الحملة المقدسة عند العامة في مفهوم الغفران* وبخاصة بعد ارتباطها بالحج الجماعي الذي تقوم به أعداد كبيرة.(٣)

وتمثلت الحروب الصليبية في الوجدان الشعبي الأوربي والأمريكي(٤) علي أنها لابد أن تكون بالضرورة حملة خيرة نبيلة القصد والهدف ومنزهة الغرض ، كرعاية المرضى أو مساعدة المنكوبين أو جمع التبرعات.(٥)

ويقول جاك تاجر : " إن الحروب الصليبية كانت محاولة لمحو نفوذ الإسلام في الشرق ، فقد شنت هذه الحروب أول ما شنت لانتزاع حماية القبر المقدس من الخلفاء المسلمين ، ولكنها ما لبثت أن تحولت إلى قتال عام بين جيوش الإسلام وجيوش المسيحية ، أي بين الشرق المسلم

---

١ – براور ، المرجع السابق ، صـ٧ .

٢ – نفسـه ، صـ٧ ؛ نورمان ف–كانتور ، التاريخ الوسيط " قصة حضارة البداية والنهاية" ، (ترجمة وتعليق / قاسم عبده ، دار المعارف ، ١٩٨٦ م) ، ق ٢ ، ط٢ ، صـ٣٩٢ ؛

Lamb, OP. cit., P265.

* الغفران : الغفران الصليبي للتكفير عن الذنوب التي يرتكبها الفرد ؛ انظر : جوزيف نسيم ، دارسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب " في العصور الوسطى " (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨م) ، صـ٥٠ ؛ قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ٢٦–صـ٣٣ ؛ الحملة الصليبية الأولى ، صـ١٠.

٣ – قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، صـ٢٦ – صـ٣٣ .

٤ – كانتور ، المرجع السابق ، ق٢ ، ط٢ ، صـ٣٩١ – صـ٣٩٢ .

٥ – قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٥ – صـ١٦.

والغرب المسيحي.[١] وأما ارمسترونج فيقول : " إن الحروب الصليبية كانت مثالاً للنجاح المدوي وبخاصة مع مباركة الرب [٢].

وكانت الحروب الصليبية في نظر المسلمين عبارة عن حوادث مزعجة في تاريخ الصراع الطويل للاستيلاء علي بلاد الشام.[٣] وبذلك كانت الفكرة العامة في العالم العربي لهذه الحروب إنها فكرة عاطفية تدغدغ الحواس القومية وتداعب مشاعر الزهو الكاذبة عن الانتصار العربي الإسلامي علي الصليبيين وطردهم من المنطقة[٤].



وعن نظرة الغرب الأوربي للصليبي – الذي شارك في الحروب الصليبية علي بلاد الشام – فكانت صورة حية جذابة* (لفارس عملاق ذي سترة مصفحة ، يمتطي جواداً فارهاً يحمل راية الصليب ليطارد أبناء القبائل العربية الذين يفرون أمامه في تخاذل وجبن تميزهم بشرتهم الداكنة ، وعزائمهم الضعيفة ليخلصوا قبر المسيح من أيدي المسلمين) [٥].

ويرى الشارتري " أن الفرنجة الذين اجتاحوا البلاد المقدسة قوم مستضعفون دأبوا علي الدفاع عن أنفسهم ضد عدو فاتك غادر لا ينفك عن قتالهم والتحرش بهم " ، واعتبر كل الصليبيين

---

١ – جاك تاجر ، المرجع السابق ، صـ١٥٣.

٢ – Armstrong , OP. cit., P.274

٣ – جورج رينتز ، وآخرون ، المرجع السابق ، صـ١٠٤.

٤ – قاسم عبده ، الحملة الصليبية الأولى ، صـ٦ .

* – كانت الدعاية الدينية التي صاحبة الحروب الصليبية بقيادة البابوية صاحبة الفضل الأكبر في تجسيد هذه الصورة في عقول عامة مثقفي الغرب ؛ قاسم عبده ، صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية " ، المجلة التاريخية المصرية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٢٧ – لسنة ١٩٨١ م ، صـ١١ .

٥ – علي الرغم من عدم صحة هذه الصورة ، إلا أنها رُسبت في الوجدان المسيحي الغربي بفعل التراث المتراكم في الكتابات التاريخية المعاصرة لتلك الحقبة ؛ براور ، عالم الصليبيين ، صـ٦ ؛ كانتور ، المرجع السابق ،ق٢ ، ط٢ ، صـ٣٩١ .

حجاجاً مسلحين أم عزلاً وبذلك فكل من مات في حجته شهيد ومن ارتد عنها جبان.[١]



أما عن الصورة التي رسمتها المصادر العربية للصليبيين ، فيمكن توضيحها من خلال ما وصفهم به المؤرخون فيقول عنهم ابن كثير : " وجاءوا بحدهم وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصليبوت يحمله منهم عباد الطاغوت ، وضلال الناسوت"[٢] ، ووصفهم ابن واصل بعد دخولهم بيت المقدس بقوله : " وكان المسجد الأقصى مشغولاً بالخنازير والخبث ، وما أحدثوه من الأبنية "[٣] ، وأطلق عليهم ابن الأثير : " شياطين الصلبان " [٤].

وتتضح الصورة أكثر من خلال ما ذكره محمد كرد علي عن الصليبيين بأنهم ، كانوا في الظاهر يقصدون خدمة دينهم بالاستيلاء علي القبر المقدس ، ولكنهم في الحقيقة كانوا منحلين من جوهر الدين وأقرب إلى نزع شعاره عندما يرون مغانم لهم أو فاحشة يأتونها أو حيلة يحتالونها ، أو جناية يجنونها ولا يدركون عواقبها عليهم وعلي قومهم وأممهم[٥] ، واتضح ذلك بالجرائم التي التي اقترفها الصليبيون في حق أصحاب البلاد التي سيطروا عليها داخل بلاد الشام والتي اتسمت بالوحشية والقسوة لما ارتكبوه من أهوال حتى بمقاييس تلك العصور[٦] ، فما ارتكبه الصليبيون من جرائم في أنطاكية[٧]

---

١ – الشارتري ، المصدر السابق ، صـ١١ .

٢ – ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، طـ٢ ، صـ٣٢٠ .

٣ – ابن واصل ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ٢١٧ .

٤ – ابن الأثير ، الباهر ، صـ٣٣ .

٥ – محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية الإسلامية ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤م) جـ١ ، صـ٢٩٤ .

٦ –قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٣ .

٧ – الحنبلي ، الأنس الجليل ، جـ١ ، صـ ٣٠٧ ؛ سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ٢٨٦ ؛ سيد علي الحريرى ، المرجع السابق ، صـ٢٠.

ومعرة النعمان[١] وسروج التي حولوا سكانها إلى ما بين قتيل وأسير[٢] ، وكانت مدينة بيت المقدس أيضاً من أبرز الأمثلة علي وحشية ما فعله الصليبيون بسكان المنطقة[٣] ، فيقول فوشيه الشارتري : " إن تلك المجزرة التي قضى فيها علي أغلب سكان بيت المقدس إن لم يكن كلهم ، كيف تلطخت كواحل الفرنجة بالدماء في ساحة الأقصى والصخرة بعد أن قطعت رؤوس الآلاف من المسلمين فما نجا طفل ولا امرأة " ، ولم يكتفوا بذلك بل إنه يذكر وحشية أخرى فيقول : "إنهم قاموا بحرق الجثث لاستخلاص القطع الذهبية التي ابتلعوها قبيل هلاكهم"[٤]. وجاء لوبون ليعقد مقارنة بين موقف المسلمين عند دخولهم بيت المقدس بقيادة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – و الصليبيين فيقول : " كان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – نحو النصارى حين دخلها"[٥] . ولقد علق مكسيموس علي ما قام به الصليبيون بأنه مخالف لتعاليم الإنجيل المقدس ، وفيه شابهوا الأمم الغربية الأولى الذين لم يكن لديهم ديانة حقيقية وأدب وإشفاق فكانوا يبيدون بالموت من يغلبونه ، وبذلك اعتبرت أعمالهم مخالفة للإنسانية ، فكما يقول : " لقد كنا نتمنى أن نغسل بدموعنا هذا الدم الذي أغرق به الصليبيون أراضي المدينة المقدسة "[٦].

---

[١] – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٠٧ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ١٨٤ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، صـ١٠٥ ؛ أعمال الفرنجة التي أُعتبر صاحبها أحد شهود العيان علي ما اقترفه الصليبيون منم جرائم ؛ انظر : أعمال الفرنجة صـ١٠٥ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، جـ١ ، صـ٢١١ ؛ القلانسي، زيل تاريخ دمشق ، صـ١٣٦ ؛ اليافعي اليمني ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ ١٥٤.

[٢] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ٤٣ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ ٢٨٦ ؛ الصوري ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢٦٤ – صـ٢٦٥ ؛ ابن القلانسي ، المصدر السابق ، صـ١٣٨ ؛ ابن الوردي ، تتممة المختصر ، جـ٢ ، صـ١٢ .

[٣] – ابن الأثير ، المصدر السابق ، مجـ٩ ، صـ١٩ ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٠٧ ؛ ابن ظافر الحلبي ، المصدر السابق ، صـ٢٨٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ٤، صـ١٠٧ ؛ أبو الفداء ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٢١١ ؛ ابن القلانسي ، المصدر السابق ، صـ١٣٧ ؛ اليافعي اليمني ، المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ١٥٤ .

[٤] – الشارتري ، المصدر السابق ، صـ١٢ .

[٥] – غوستاف لوبون ، المرجع السابق ، صـ١٢ ، صـ٣٢٦ .

[٦] –مكسيموس مونروند ، المرجع السابق ، مجـ١ ، صـ١٧٥.

أما جاك س – رسلير فيقول : "إنهم في غضبتهم العمياء يعتقدون في كل كافر كانوا يقابلونه أنهم يميتون أحد جلادي المسيح"[١] وبذلك فقد ارتكبوا أبشع مجزرة بشرية في التاريخ.[٢] ولم تقتصر وحشية الصليبيين علي ذلك ولكنها شملت الأسرى أيضاً فيضرب لنا أسامة بن منقذ مثالاً علي ذلك بأحد فرسان المسلمين ، والذي وقع أسيراً في يد جنود تنكريد أمير أنطاكية فقاموا بتعذيبه بجميع أنواع العذاب ولم يكتفوا بذلك ولكنهم أرادوا فقع عينه اليسرى فأشار عليهم تنكريد أن يفعلوا ذلك في عينه اليمنى حتى لا يستطيع حمل ترسه والمحاربة به[٣] .

واعتبرت هذه الأعمال وصمة عار في جبين المسيحية الغربية* فعندما يحلون ببلد عربي يأتون علي الأخضر واليابس ، ويقترفون الفواحش ويسيلون الدماء أنهاراً ويرتكبون من الجرائم ما تقشعر له الأبدان وتشمئز منه النفوس ، وبعدها يؤسسون إمارات لهم في الأماكن التي احتلوها ويمحون ما كان يقام بها من شعائر إسلامية ومسيحية شرقية ويطبعونها بطابع لاتيني كاثوليكي[٤] .

علي أية حال كان ذلك هو أسلوب الصليبيين طوال العقد الأول منذ أن وطئت أقدامهم أرض المشرق الإسلامي[٥] ؛ فالقسوة والوحشية التي تميزوا بها ، كانت تعبيراً عن المستوى الحضاري الذي عاش فيه مجتمع أوربا ، وأيضاً كان هؤلاء المقاتلون هم أحفاد أبناء القبائل

---

١ – جاك س – رسلير، المرجع السابق ، صـ٢٤٦.

٢ – سعداوي ، المرجع السابق ، صـ١١ .

٣ – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / السامرائي) ، صـ٨٩ .

*– لم يكتفى الصليبيون بما ارتكبوه من اعتداءات علي البشر بل اعتدوا علي التراث الثقافي ، فيقول محمد كرد : أن أهم الكوارث التي منية بها الكتب في بلاد الشام كانت كارثة طرابلس التي أحرق الصليبيين دار العلم بها ويقول حتى إنهم "محو كل أثر لها" ؛ محمد كرد ، خطط الشام ، جـ٦ ، صـ ١٩٧ ؛ فيليب حتى ، لبنان في التاريخ ، صـ٣٥٣ ، صـ٣٥٥ ؛ محمد مرسي الشيخ الذي تحدث عن ذلك بوصفه " دليل علي بربرية الصليبيين وتعصبهم وتأخرهم الفكري والعلمي " ؛ محمد مرسي الشيخ ، الإمارات العربية ، صـ٢٧٤ ، صـ٤٣٥ – صـ٤٣٦ .

٤ – جوزيف نسيم ، العرب والروم واللاتين ، ط٢ ، صـ٢٦٥ .

٥ – سيد الحرير ، المرجع السابق ، صـ٢٠ .

الجرمانية فكانوا إفرازاً لمجتمع ما يزال في طور الفتوة والحيوة المتدفقة .

ولهذا فكان من الطبيعي أن تتعامل المصادر التاريخية العربية مع الشخصية الصليبية من منطلق عدائي لأنها تعكس المشاعر التي خلفها العدوان الصليبي في وجدان شعوب العالم الإسلامي[١] ؛ وكما يقول براور : "إن الصورة التي رسمتها المصادر التاريخية لفترة الحروب الصليبية تكشف عن نظرة المسلمين إلى أولئك المعتدين ، وهي نظرة عدائية بطبيعة الحال ، فالصليبي مقاتل همجي جامد العاطفة ، وهو أيضاً كافر ملعون" ، ويبدو أن هذه النظرة العدائية التي تعاملت بها المصادر التاريخية العربية مع الشخصية الصليبية كانت نابعة من موقف سياسي أكثر منه ديني ، لأن جزءاً من إيمان المسلم أن يؤمن بالمسيح عليه السلام ، ولكن حقيقة أن العدوان الصليبي كان علي ديار الإسلام ، وأن المقاومة الإسلامية ضده كانت راية الجهاد ، لأنه من غير المنطقي أن يرفع المسلمون شعار الجهاد ضد من لا يعتبرونهم أعداء[٢] .

ومن بعض المؤرخين المسلمين الذين نعتوهم "بالكفار" ابن منقذ[٣] وابن جبير[٤] والحنبلي الذي قال عنهم " باستيلاء الكفار علي الأرض المقدسة"[٥] ، والدواداري بذكره لهم بأنهم "الكفار الأشرار"[٦] ، وقال عنهم القلقشندي أيضاً أنهم " أهل الكفر"[٧] . وكانت هذه الصفة تظهر عندما عندما يتحدث المؤرخون المسلمون عن الانتصارات التي يحرزها المسلمون علي الصليبيين ، فيخاطبهم ابن الأثير بعد فتح المسلمين لعدة حصون " يا أهل الشرك لا عاصم اليوم من أنصار الله ولاوزر . فعبس الكفر وبسر ، ثم أدبر خاضعاً ولم يستكبر ، فيالها نعمة عمت التوحيد وأهله

---

[١] – قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٤ .
[٢] – براور ، المرجع السابق ، صـ٥ ، قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٥.
[٣] – ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ٥٨.
[٤] – ابن جبير ، المصدر السابق ، صـ٢١١.
[٥] – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٠٢.
[٦] – الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٧ ، صـ٩٥ – صـ٩٦.
[٧] – القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٧٦.

ونقمة مزقت من الشرك شمله ، وسترى ما أجملناه مفصلاً ، وما اختصرناه مطولاً"[١] . وأيضاً بوصفهم عند فتح المسلمين لحصن الأثار بقوله : " إجلاء أهل الزيغ والعناد وإعلاء كلمة الله تعالى ، وإدحاض كلمة الشيطان ، وتسليط أهل الحق علي عباد الطاغوت وأتباع الصلبان"[٢] . ويقول عنهم ابن خلدون في إحدى المعارك التي كانت بين الفرنجة ونور الدين :" فقاتلهم المسلمون دونها أشد قتال إلى أن استنفدت وتحاجزوا ورجع الإفرنج خائبين والله تعالى ينصر المسلمين علي الكافرين بمنه وكرمه"[٣] .

هذا ولقد لعنوا في مواضع كثيرة علي لسان الكثير من مؤرخي تلك الفترة فيقول ابن خلدون : " استولى الفرنج لعنهم الله علي مدينة عكا"[٤] ، وأما ابن منقذ فيقول : " فاجتمع الفرنج لعنهم الله من تلك الحصون وهي كلها متقاربة وفيها خيل كثير للإفرنج لمغاداة عسقلان ومراوحتها"[٥] وفي موضع آخر يقول عنهم : "وهم لعنهم الله جنس ملعون لا يألفون بغير جنسهم"[٦]

علي الرغم من ذلك إلا أن كتابات المؤرخين المسلمين لم تَخْلُ من الموضوعية عند الحديث عن الصليبيين ؛ فإنهم شهدوا للصليبيين بالشجاعة والقوة والقدرة القتالية[٧] ، ويعتبر أسامة بن منقذ من أبرز من وصفهم بذلك ، وربما يعود ذلك إلى أنه كان ممن تعامل معهم وكانت له احتكاكات مباشرة بهم ، حيث كان له أصدقاء من بينهم ؛ فيقول : " سبحان الخالق البارئ إذا خبر الإنسان أمور الإفرنج سبح الله تعالى وقدسه ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا

---

١ - ابن الأثير ، الباهر ، صـ٣٤.
٢ - ابن الأثير ، المصدر السابق ، صـ٣٩.
٣ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٥ ، صـ٢٥١ .
٤ - نفســه ، مجـ٥ ، ق٢ ، (٩) ، صـ٤٧٣ .
٥ - ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ٤٠.
٦ -نفســه ، صـ١٥٠.
٧ - قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٥ - صـ١٦ .

غيـر "[١] ، وفـي موضـع آخـر قـال : " مـا فـيهم فضـيلة مـن فضـائل النـاس سـوى الشـجاعة "[٢] ويضـرب لنـا ابـن منقذ بعض الأمثلـة علـي شـجاعة الفـارس الصـليبي ، فيـذكر أن أحـد الفرسـان المشـهورين فـي تلـك الفتـرة ، واستطـاع أن يهـزم أربعـة مـن فرسـان المسـلمين بمفرده ويتحـدث عن شجاعة فارس آخر استطاع الاستيلاء علي مغارة كان بها بعض من المسلمين بمفرده ، ووصفه بأنه " شيطان من فرسانهم" [٣].

ويمكن تفسير هذه الشجاعة التي تميز بها المقاتل الصليبي كما يقول قاسم عبده بأنها أولاً : تعـود إلـى خلفيتـه الاجتماعيـة ، وثانيـاً : إلـى التـدين العـاطفى الـذي حكـم سـلوكه ، ثالثـاً : إلـى الظروف المعادية التي عاشها الصليبي علي أرض بلاد الشام [٤].

ويمكننا أيضاً توضيح صورة الفارس الصليبي أكثر من خلال عرض لبعض الآراء المختلفة في بعض قادة الصليبيين ، ونبدأهم ببوهيموند* الذي قال عنه باركر أنـه : " اعتبر القوة المحركة التي كفلت النجاح للحرب الصليبية الأولى ، وهذا بجانب حرصه منذ البداية علي إقامة إمارة لـه فـي الشـرق[٥]. وأمـا بلـدوين فيقـول عنـه الحنبلـي : " إنـه كـان جبـاراً خبيثـاً ، شـجاعاً "[٦] . وكـان ريموند الثالث دائم العداوة للمسلمين لذلك أطلق عليه عدو المسلمين اللدود ، وبطل سياسة التوسع ، وبالرغم من أسره خمسة عشر عاماً عند المسلمين إلا أنه لم يتأقلم مع الشرق أو يخفف من حدة تعصبه[٧] وأما عن صاحب شقيف أرنون فيقول عنه ابن شداد أنـه : "من كبار الإفرنجة وعقلائها

---

[١] – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٣٢ ؛ (تحقيق / السامرائي) ، صـ١٥١.
[٢] – نفســه ، صـ٨٧ .
[٣] –ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ٩٠ ، صـ٩٣ .
[٤] – قاسم عبده ، المرجع السابق ، صـ١٧ .
[٥] – * بوهيموند : من أول القادة الذين جاءوا مع الحملات الصليبية وهو الإبن الأصغر لجوسكارد ؛ باركر ، المرجع السابق ،صـ٢١ .
[٦] – ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ١٦٧ .
[٧] – جورج رينتز ، وأخرون ، المرجع السابق ، صـ١٢١ .

وكان يعرف بالعربية وعنده اضطلاع علي شيء من التواريخ " وكان يتردد في خدمة صلاح الدين وكان "يناظره في دينه ونناظره في بطلانه وكان يحسن المحاورة ومتأدباً في كلامه" [١]

ووصف ابن منقذ روجردى سالرنو بقوله : " فارس إفرنجي يقال له سير أدام من شياطين الإفرنج "[٢] وربما يرجع ذلك إلى قوته ومكره وثباته لمحاربة المسلمين .[٣] أما بلدوين الثالث فكان أحسن خلقاً واحتراماً للكنيسة ورجالها ، كما جاء على لسان المؤرخين الصليبيين وأيضاً أُعتبر الابن الحقيقي البكر لمملكة بيت المقدس الصليبية – لأنه أول ملك من ملوك بيت المقدس ولد على أرض المملكة الصليبية – ببلاد الشام وهذا إلى جانب ثقافته الواسعة ، فجمع بين أدب الفروسية الغربية وقواعدها وبين معرفة القانون وأصول المعاملات ، فأصبح بذلك ملكاً صليبياً نموذجياً في تلك الفترة .[٤] وامتاز عمورى الأول بالمهارة السياسية العالية والنشاط والشجاعة ، ولكنه مع ذلك كان متباعدا ولا يتحدث كثيراً ، وإذا تحدث لا يحسن المجاملة[٥]

بيد أن الصراع الذي كان بين المسلمين والصليبيين ، وما كان يتخذه من مواقف عدائية تتمثل بصورة واضحة في شخصية رينودى شاتيون – القائد الصليبي الذي عرف عند العرب باسم أرناط – والذي وصفه ابن خلدون بأنه : "من أعظم الإفرنج مكراً وأشدهم ضرراً"[٦] ويقول عنه ابن ابن شداد : " كان أرناط هذا اللعين كافراً عظيماًًًًً جباراً شديداً "[١] ، وعلي الرغم من دوره البارز في محاربة المسلمين في بلاد الشام إلا أنه كان مغامراً خطيراً ، اتصف في كثير من تصرفاته بالطيش والتهور وعدم مراعاة العهود والجهل بأصول السياسة وأحكامها ، ولذلك كانت

---

١ – ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ٧٩ – صـ٨٠ .

٣– ابن منقذ ، المصدر السابق ، صـ١٣٢ .

٤– عاشور ، المرجع السابق،جـ١، طـ٥ ، صـ٣٤١.

٥ . نفســه ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ٥١١ ؛

Ambroise, The crusade of Richard Lion- Heart, New Yourk, 1941, pp. 14-16

٦– عاشور ، المرجع السابق ، جـ١ ، طـ٥ ، صـ ٥٣٧.

١– ابن خلدون، المصدر السابق ، مجـ٥ ، ق٣ (٩) ، صـ٦٦٨ .

مجهوداته تمثل عبئا علي صليبي الشام لا مساعدة لهم.[٢] ويقول عنة عبد الفتاح عبد المقصود : " إن هذا الأبرنس كان كتلة من الشر استشرت فيه أدنأ الغرائز ، واستفحلت أوضع الصفات ، كان يتلذذ بارتكاب أفحش الموبقات يتنكر للمكارم ،و يستبيح الحرمات ".[٣] وكان أبرز دليل علي رغبة الجامحة في استباحة الحرمات ما كان ينوي عمله إذا تمكن من الاستيلاء على الأماكن المقدسة بالحجاز [٤]

أما ريتشارد قلب الأسد فإنه في أغلب الأحوال يرتبط بمقارنة بينه وبين صلاح الدين ؛ فيوصفهم رسيلر انهما وحدهما يمثلان الفروسية [٥] أما لوبون فقد عقد بينهم مقارنة من حيث معاملتهم للأسري فيتحدث عن الأسري المسلمين الذين طلبوا من ريتشارد وإعطاءهم الأمان وبعد أن أعطاه لهم غدر بهم وقتلهم* ؛ فيقول لوبون في ذلك " ليس من الصعب أن يتمثل المرء درجة تأثير تلك الكبائر في صلاح الدين النبيل الذي رحم نصارى القدس ولم يمسهم بأذى ، والذي أمد فليب أوغست وقلب الأسد بالأزواد والمرطبات في أثناء مرضهما فقد أبصر الهوة العميقة بين تفكير الرجل المتمدن وعواطفه وتفكير الرجل ونزواته ، وأدرك أنه لا يجوز أن يعامل أولئك الحمقى بغير ما تعامل به الوحوش الضارية".[٦] .

ويمكن إرجاع أسباب عقد المقارنات العديدة بين صلاح الدين وقلب الأسد إلى أن الفترة التي جاء فيها قلب الأسد إلى بلاد الشام هي نفسها التي لمع فيها نجم صلاح الدين ، ولأن

٢- ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ٢٧.

٣- عاشور ، المرجع السابق ،جـ١،طـ٥ ،صـ٥١٤.

٤- عبدالفتاح عبد المقصود ، المرجع السابق ، صـ٢٥٠ . صـ٢٥١

٥- ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ٢٨١ . صـ٢٨٢ .

٦- جاك س . رسيلر ، المرجع السابق ، صـ٢٥٣.

* - لقد تحدث ابن شداد عن أحداث هذه الواقعة التي وقعت في عكا ، فبعد أن صالح ريتشارد أسرى المسلمين غدر بهم ؛ ابن شداد المصدر السابق ، صـ١٦٤ .

١- لوبون ، المرجع السابق ، صـ١٣ ، صـ٣٣٠ .

ريتشارد قلب الأسد يعتبر من أعظم قادة الصليبيين ، وفي نفس الوقت كان صلاح الدين أعظم قائد إسلامي فكان من الطبيعي أن تعقد بينهما هذه المقارنات.

ويقول ابن شداد عن قلب الأسد أنه : " ملك الانكتار شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوى الهمة له وقعات عظيمة وله جسارة علي الحرب وهو دون الفرنسيس عندهم في الملك والمنزلة لكنه أكثر مالاً منه وأشهر في الحرب والشجاعة"[١] .

وعند الحديث عن قائد أخر من قواد الصليبيين فنذكر لويس التاسع الذي قال عنه محمد الكتبي " بولش الإفرنجي المعروف بالفرنسيس ، أجل ملوك الإفرنج وأعظمهم قدراً وأكثرهم عساكر وأموالاً وبلاداً[٢] ، واشتهر أثناء حياته بالبساطة والتقوى والتدين.[٣] .

وإلى جانب ذلك فلقد كانت هناك آراء أخرى في الصليبيين الذين استقروا ببلاد الشام ، فيتحدث ابن منقذ عن ذلك بقوله : "فكل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين " ، ويدلل علي ذلك بالفرنجي الذي تعرض له وهو يصلى داخل المسجد الأقصى ليثنيه عن وجهته أثناء الصلاة ، وتبين له بعد ذلك أنه غريب وصل قريباً من بلاد الإفرنج[٤] ، ويحكي عن موقف أخر حدث له مع أحد أصدقائه من الإفرنج ، وذلك عندما ذهب معه إلى دار أحد فرسان الإفرنج القدامى وحدث أن وضع أمامهم طعام فأبى ابن منقذ أن يأكل فقال له الفارس الإفرنجي " كل طيب النفس ، فأنا ما أكل من طعام الإفرنج ، ولي طباخات مصريات ما أكل إلا من طبخهن ولا يدخل "داري لحم خنزير "[٥] ، ولذلك فلقد كان هناك اختلاف

٢- ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ١٤٤ .

٣- محمد الكتبي ، فوات الوفيات ، مجـ١ ، صـ٢٣١ .

٤- جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي علي بلاد الشام ، صـ٣٣٠ ، صـ٣٣٢ .

٥- ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٣٤ – صـ١٣٥ ؛ (تحقيق/ السامرائي) ، صـ١٥٣ – صـ١٥٤ .

[٥] – ابن منقذ ، المصدر السابق ، (تحقيق / حتى) ، صـ١٤٠ ؛ (تحقيق / السامرائي) ، صـ ١٥٩ – صـ١٦٠.

اختلاف واضح بين الذين استوطنوا بلاد الشام تعصب الصليبيين القادمين من الغرب حديثاً ؛ فاستطاع الفرنج من الذين استوطنوا البلاد الشرقية أن يعايشوا جيرانهم المسلمين وأن يكونوا معهم صداقات أفضل في جوانب عديدة من التي كانت بينهم حلفائهم من الغربيين[١] .

ويتحدث رنسيمان عن صورة أخرى للصليبيين المستوطنين ببلاد الشام فيقول : إن الحجاج من الغربيين المعاصرين " ارتاعوا لما شهدوه في الشرق الفرنجي من الترف والاستهتار ، ومظاهر البزخ* وسوء الخلق وكان من أسوأ المرتكبين لهذه الموبقات البطريك هرقل[٢] . أما يعقوب الڤيتري فيقول عنهم : " وعندما أكلوا حتى شبعوا ارتكبوا الفسق ، وهرولوا طوائف إلى مواخير الزانيات . واندفعوا مثل الماء وراء شهواتهم ، وكانوا كالخيول "يصهل كل واحد منهم علي امرأة صاحبه"[٣] فكانت الولائم التي أقامها ريموند في أنطاكية تنحط إلى درك العربدة والسكر ، وذيوع فضائح إلينور ومغامراتها الغرامية[٤]، وينطبق ذلك مع ما وصفهم به مؤرخو النصارى فوصفوا تارة بالمجانين وتارة أخرى بالفروس التي تتمرغ في الأقذار[٥] ويضيف آخرون انغماسهم في اللهو والملذات أمات فيهم روح الحرب والقتال[٦] ، ولذلك كان في مجالس مملكة القدس القواد القادمون حديثاً من الغرب هم الذين يطلبون شن الحرب علي المسلمين[١] .

وبالنسبة للمملكة التي أنشأها الصليبيون في بلاد الشام فإنها كانت في جوهرها مملكة

---

١ – جورج رينتز ، وآخرون، المرجع السابق ، صـ١٠٧ – صـ١٠٨ .

(*) لقد تمثلت مظاهر هذا البزخ في أنه كان في استطاعت سكان الشرق الفرنجي أن يشتروا الثياب الحريرية وأن يستعملوا العطور والتوابل بأثمان لم يكن يستطيع دفعها إلا التاجر بالغ الثراء في الغرب الأوربي ، ويمكن إرجاع ذلك إلى أن هذه المنتجات كانت محلية ، ولذلك اعتبرت رخيصة الثمن ؛ رنسيمان ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ٦١٥ .

٢ –نفســه ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ط٢ ، صـ٥١٩ – صـ ٥٢٠ .

٣ – الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ ٩٩ – صـ ١٠٠ .

٤ – سيد أمير ، المرجع السابق ، صـ٢٩٩ .

٥ – غوستاف لوبون ، المرجع السابق ، صـ ٣٢٧ ؛ نظير حسان سعداوي ، ثلاثة من مؤرخي الحروي الصليبية ، (مكتبة (مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧ م) ، ط١ ، صـ ١٤ .

٦ – جوزيف نسيم ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، صـ ٤٧ .

فرنسية وتمثل ذلك في لغتها وعاداتها ، وفضائلها ورذائلها[٢] . ولذلك يقول الشارتري : "إنه نظر للدولة الصليبية علي أنها النموذج التاريخي الحي الذي يمكن استقراؤه وتمحيصه للاستفادة من تجربته"[٣] ، علي الرغم من أنها تم تأسيسها علي النظام الإقطاعي[٤] الذي بدأ متداعياً متهالكاً ، ولم تتوافر فيه مقومات الدولة ، ولم توجد فيه مميزات الأمم والحكومات مثل الأدب والعرف والتقاليد والجيش القومي والثروة العامة[٥] ؛ وبذلك فلم ينشأ عن حكم الفرنج لبلاد الشام سوى خرابها وإقفارها ، فيقول لوبون : :ولم يلبث طغاتها الصغراء الذين لم يكونوا ليفكروا في غير الاغتناء أن خربوها بعد أن كانت زاهرة أيام الحكم العربي الرشيد"[٦] ومن هنا فكما يقول باركر : " إذا جاز للمسلمين أن يصبروا علي قيام دولة من الكفار ، فإنهم لا يطيقون قيام دولة من اللصوص"[٧] .

ومن الملاحظ أنه علي الرغم مما سبق إلا أن المسلمين في كل مكان كانوا يعتبرون أنفسهم أرفع ثقافة من الافرنج ، فنظروا إلى أنفسهم نظرة تَرَفُّع وفيها شيء من الازدراء ، ولم يروا عند الإفرنج ما يستحق الاهتمام[٨] .



وأما عن المجتمع العربي الإسلامي فكانت الصورة التي ينظر بها الأوربيون إلى العرب وعقيدتهم الإسلامية مشوهة ولا تمت إلى الحقيقة بصلة ، ولم يتم تعديل هذه الصورة إلا بعد أن زاد

---

١ – جورج رينتز ، وأخرون ، المرجع السابق ، صـ ١٠٨ .
٢ – باركر ، المرجع السابق ، صـ٢٤ ؛
Smail, OP. cit ., P.42
٣ – الشارترى ، المصدر السابق ، صـ١٩.
٤ – باركر ، المرجع السابق ، (ترجمة / علي أحمد) ، صـ١٠٤ ؛ لوبون ، المرجع السابق ، صـ٣٢٨ .
٥ – جوزيف نسيم ، الوحدة وحركات اليقظة العربية ، صـ٢٢ – صـ٢٣ .
٦ – لوبون ، المرجع السابق ، صـ ٣٢٨ .
٧ – باركرر ، المرجع السابق ، ، (ترجمة / العريني) ، صـ ٨٩ .
٨ – حتى ، المرجع السابق ، صـ ٣٨٧ .

اتصال الأوربيين بالشرق بمختلف الطرق السلمية والحربية وتعرفوا علي حضارته ونظمه[١] .

ويتحدث براور عن الصورة التي كان ينظر من خلالها الغرب إلى الشرق بأن : "صورة الشرق الخرافي الغامض العظيم في مخيلة الغرب تتألف من عناصر متنوعة تجمع ما بين اللغات غير المسيحية التي يتحدث بها مسيحيو الشرق السريانية واليونانية والعربية " ، وهذا إلى جانب المدن الشرقية العريقة في شهرتها والأديرة والكنائس العظيمة ، وأيضاً الثياب الفخمة التي كان الأكليروس الشرقي يتميز بارتدائها ، والثياب المطرزة بخيوط الذهب والفضة التي كان يرتديها رجال الدولة وأيضاً الجنود وكل هذا جعل في مخيلة الرجل الغربي عن الشرق صورة أقرب إلى صورة الجنة الأرضية[٢] وأرضاً للميعاد [٣].

وعندما جاء الصليبيون إلى بلاد الشام كانوا يضعون في اعتبارهم أنهم أرفع منزلة من سكان بلاد الشام ، وأن المسلمين وثنيون يعبدون محمداً[*]إلهاً[٤] ، ولقد نعتوهم بعدة أسماء منها الأعداء الكفرة[٥] ، ويقول براور أنهم "رأوا الأخر علي أنه عدو كافر يجب قتله وتخليص الأماكن المقدسة من قبضته"[٦] ، وأصبحوا أشداء ضد أعداء المسيح ، فعندا استدعائهم للحرب لا يسألون يسألون عن عدد الأعداء ولكن يستفسرون عن أماكن تواجدهم[٧] للمواجهة ضد الكفار الخونة[٨] .

---

١ - ف . ق . بارتولد ، دراسات في تاريخ فلسطين "في العصور الوسطى" ، (مقدمة / فاروق عمر فوزي ، ترجمة/عزيز حداد ، مطبعة أسعد - بغداد ، ١٩٧٣م) ط١ ، صـ ١٢ .

٢ - براور ، المرجع السابق ، صـ ٩٣ .

٣ - جورج رينتز ، وأخرون ، المرجع السابق ، صـ ١٠٩ .

(*) لقد وصل الأمر بهم إلى تحريف اسم محمد صلى الله عليه وسلم إلى (موهاوند) وهي لفظة تعني شيطان في لغة اسكتلندا : عبدالله بن عبدالرحمن ، المرجع السابق ، صـ ١٣٣.

٤ - حتى ، العرب ، ط٣ ، صـ ٢٣٥ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ ١٦٩ .

٥ - القيتري ، المصدر السابق ، صـ ٢٣ - صـ ٢٤ ، صـ ١٠٨ ، صـ ١٦٥ ؛ رسيلر ، المرجع السابق ، صـ٢٤٤ ؛ الشارتري ، المصدر السابق ، صـ ١١ ، صـ١٢٠ ؛
Adams, Op., cit ., P.97 ; Armstrong , OP.cit., P.274 ; Mills Op., cit ., P.55 ; T.F. Tout, M.A., Op., cit ., P.182

٦ - براور ، المرجع السابق ، صـ ٦ .

٧ - القيتري ، المصدر السابق ، ، صـ٩٢.

الخونة[١] .

أما صاحب أعمال الفرنجة فيصفهم بالبرابرة ، ويبرز ذلك من خلال حديثه عن مهاجمة الجيوش الفرنجية عند معرة النعمان ، فيقول : " خرج البرابرة للهجوم علي رجالنا "[٢] ، وبذلك فلقد اعتبر الصليبيون الأوائل أن المسلمين[*] أعداء للمسيح كفار وثنيون وقساة وبرابرة لا يعرفون الرحمة[٣] وأيضاً كان المسلمون بالنسبة لمسيحي الغرب حسبما يقول بروار عبارة عن " شبح رهيب " يفرض نفسه علي سلوكياتهم " ، وأنهم كانوا يخشون أن يخرج المسلمون لمهاجمتهم[٤] ، وأرادوا أيضاً تخليص الأماكن المقدسة من الظلم

---

١ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٤٤ ، صـ ٧١ ؛ جـ٣ ، صـ٢٨٤ ، صـ٣٢٠ ؛ جـ٤ ، صـ٣٣ ، صـ١٣٣ ؛ الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ١٠٨ ، صـ١٥٨ .

٢ – أعمال الفرنجة ، صـ١٠٠ ؛ مكسيموس مونروند ، المرجع السابق ، صـ٦٤ .

(*) أطلق الرحالة الغربيون اسم (السراقنة Saracen) ، واختلفت الأراء في تحليل ذلك ؛ انظر : بورشارد ، المصدر السابق ، ط١ ، صـ٣١ ؛ ڤورزبورغ ، المصدر السابق ، ط١ ، صـ٧١.

٣ – أطلق فوشيه الشارترى عليهم أسماء عديدة منها (الشرقيين والأتراك والفرس والعرب والأحباس) ولم يدعوهم بالمسلمين إلا مرة واحدة عندما استسلموا في مدينة صور ، ولم يميز بين السنة والشيعة ولا بين السلاجقة والفاطميين ولا بين خليفة بغداد وخليفة القاهرة فكلهم لديه سواء في كفرهم ووحشيتهم ، وبلغ به الأمر من الجهل بالدين الإسلامي أنه تحدث عن قيام المسلمين بالصلاة لصنم باسم محمد في قبة الصخرة في القدس ؛ الشارتري ، المصدر السابق ، صـ١١ – صـ١٢ .

٤ – كما حدث فيما سبق عندما أوقفهم شارك مارتل في فرنسا ؛ براور ، المرجع السابق ، صـ ١٠.

الإسلامي[١] ولم يجل بخاطرهم أنهم سوف يغيرون من هذه النظرة بعد الاحتكاك المباشر بهم ، فأدركوا أن المسلمين أهل كتاب وأهل معرفة وحضارة تتفوق علي حضارتهم[٢] ، وبذلك تحققوا من أن المسلمين يمتازون بصفات حربية وأدبية وعلمية واجتماعية[٣] .

وعلي الرغم من أن ما شهده المسلمون من عنف علي يد الصليبيين كان من الأجدر أن يدفعهم إلى إساءة معاملة المستأمنين من الفرنجة في بلاد الشام ، ولكن المسلمين امتلكوا اعتدالهم في جميع أدوار الحروب الصليبية ، وكان ذلك باعتراف أغلبية مؤرخي الصليبيين[٤] فيقول أحدهم وهو يتحدث عن سلوك العرب والمسلمين مع الصليبيين بعد انتصارهم عليهم : "هكذا هو مسلك العرب والمسلمين ، وإبان الحرب وبعد الانتصار ، إزاء الصليبيين موقف إنساني كريم " ، ويتحدث آخر عن تسامح الدين الإسلامي بقوله : " أن السلام الذي ساد بين المسلمين والمسيحيين إنما كان مؤسساً علي تسامح الإسلام " ، وأما أحد الأساقفة فيقول : " إن كثيرين من المسيحيين كانوا يرون أن الإسلام تتمة طبيعية للمسيحية ومحمد إذ جاء ، وإنما بعث بالقرآن مكملاً للتوراة والإنجيل "[٥] ، وحتى إن لوبون تمنى لو استطاع العرب الاستيلاء علي العالم وشمل أوربا وذلك لما تميزوا به من " نبل الطبائع وكريم السجايا "[٦] ويصفهم بورشارد أنهم "مضيافون جداً وكرماء ولطفاء ممتازون"[٧]

ونال العديد من قواد المسلمين نصيب من وجهات النظر ، فمنهم مودود أمير الموصل – الذي يمكننا اعتبار أن بداية الجهاد ضد الصليبيين كانت علي يده – والذي تحدث عنه فوشيه

---

١ – براور ، المرجع السابق، صـ ٩٤.
٢ – حتى ، المرجع السابق ، صـ ٢٣٥ ؛ سعداوى ، المرجع السابق ، صـ١٦٩ .
٣ – محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ١ ، صـ٢٩٥ .
٤ –محمد كرد علي المرجع السابق ، جـ١ ، صـ ٢٧٩.
٥ –عبدالفتاح عبدالمقصود ، المرجع السابق ، صـ٨٣ – صـ٨٤ .
٦ – لوبون ، المرجع السابق ، صـ ١٣ .
٧ – بورشارد ، المصدر السابق ، صـ ١٧٢ – صـ ١٧٣ .

بعد وفاته بأنه : " كان وافر الثروة عظيم السطوة ذائع الصيت شديد الهمة " وأيضاً قال عنه إنه مثل : " وباء من الله "[١] علي الفرنجة لجهوده في الدعوة لجهاد الصليبيين وتحرير بيت المقدس من أيدي الفرنجة .

أما زنكي – الذي حمل راية الجهاد واستطاع أن يصل بها إلى فتح الرها[٢] فكان عند الغرب اللاتيني بمثابة وحش متعطش للدماء ، وكان استيلاؤه علي الرها أكبر دليل علي ذلك ، حيث مثلت مأساة كانت تكفي لقيام حرب صليبية جديدة[٣] ، ولكن هناك من قال عنه إنه كان عادلاً وحكيماً محباً لرعيته[٤] .وكان صلاح الدين الأيوبي – الذي سار علي درب من سبقه في حمل راية الجهاد وتوج ذلك بالاستيلاء علي بيت المقدس وتحريرها من يد الصليبيين – من أشهر وأكثر من تحدث عنه المؤرخون من الجانبين ، فارتقى تاريخه إلى الصدارة بين تواريخ العصر الوسيط الشرقية والغربية ، حيث مثل نقطة التحول الخطير في السياسة الدولية المعاصرة بانتقال مركز الثقل المادي والحضاري من قادة المسيحيين إلى قادة المسلمين[٥] .

ونظر العالم المسيحي إلى صلاح الدين علي أنه مثل يحتذي به ، فمدحه الإيطاليون علي لسان واحد من أعظم فلاسفتها ، بأنه ملك ليس أقل تحرراً من الأسكندر الأكبر وتمثل شخصيته عند الأسبانيين جوهر السمو الأخلاقي ، وأما الفرنسيون[٦] فوصفوه بأجمل صفات الشجعان وقالوا وقالوا عنه إنه زهرة رقيقة من البشاشة ، وزاد علي ذلك أن فرسان الفرنج حزنوا علي أن صلاح

---

[١] – الشارتري المصدر السابق ، صـ١٢.

[٢] – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٨٧ ؛ باركر المرجع السابق ، صـ١٩٧ .

[٣] – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١٨٧ .

[٤] سيد أمير علي ، المرجع السابق ، صـ ٢٩٧.

[٥] – نظير سعداوي ، خمسة من معاصري صلاح الدين الأيوبي ، (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ م / ١٣٧٦هـ) ، صـ أ .

[٦] – جاك س – رسيلر ، المرجع السابق ، صـ٢٥٣ .

الدين لم يكن مسيحياً وأنه كان مخلصاً لدينه[١] .

والأمثلة كثيرة علي سمو أخلاق صلاح الدين وبخاصة معاملته للصليبيين ومن هذه الأمثلة معاملته للصليبيين عند دخوله بيت المقدس وتحريره من قبضتهم ، فلم يعاملهم مثلما عاملوا أهلها عند دخولهم إليها[٢]. هذا ولقد كانت قصة الرضيع الذي استلبه بعض اللصوص المسلمين من والدته الإفرنجية أكبر برهان علي رحمته بالضعفاء ورفقه بحالهم وتقديم يد العون لهم[٣] ، ويعطينا ذلك دليلاً علي أنه كان عاطفياً مخلصاً للجهاد[٤] . ووصفه يعقوب الڤيتري بأنه رجل حكيم وصاحب خبرة وتجربة[٥] ، وذلك علي الرغم من أنه كان يعد من أعداء الصليبيين إلا أنهم لم يبخسوه حقه فلقد قيل عنه إنه كان شاباً شجاعاً وبطلاً مقداماً[٦].

---

١ – جاك س – رسيلر ، المرجع السابق ، صـ٢٥٤ .

٢ – سنبط قنبتور الأربلي ، المصدر السابق ، صـ٢٨١ – صـ ٢٨٢ ؛ ابن كثير ، ، المصدر السابق ، جـ١٢ ، ط٢ ، صـ٣٢٤ ؛ يوحنا ابكاريوس ، المرجع السابق ، ط٢ ، صـ١٤٨ .

٣ – الحنبلي ، المصدر السابق ، جـ١ ، صـ٣٧٢ ؛ ابن شداد ، المصدر السابق ، صـ١٤٥ – صـ ١٤٦ ؛ الأصفهاني ، المصدر السابق ، صـ٤٨٠ .

٤ – Armstrong, op.cit., P.292 .
op.cit., P.292 .

٥ – الڤيتري ، المصدر السابق ، صـ١٤٨ .

٦ – الصوري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، صـ ١١٤ ، صـ ١٨٥ ؛ يوحنا ابكاريوس ، المرجع السابق ، صـ١٤٧.

وبوفاته حُجِبت عن الأنظار شخصية كانت موضع الإعجاب والهيبة في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي منذ العصور الوسطى حتى عصرنا الحاضر ، وجاء علي لسان مؤرخ أوربي أنه لم يستطع قائد من قادة الحرب والسياسة أن ينال احترام خصومه مثلما نال صلاح الدين من احترام خصومه من الصليبيين[١] .

أما بيبرس فقال عنه باركر إنه كان مجرد مملوك مغولي استطاع أن يصبح صلاح الدين الثاني ، وأيضاً جمع بين ما اشتهر به دانتي من الهيبة والجرأة ، وما اشتهر به فيليب الثاني من الصلابة والتدين[٢] ، وذلك علي الرغم من أن نهاية الوجود الصليبي لم تكن علي يده ولكن يمكننا اعتبار أن بداية النهاية لهذا الوجود كانت علي يده.



والخلاصة أن أجمل طرق الإنصاف أن ينصف المرء خصمه ، فيقوم بذكر محاسنه كما يذكر عيوبه ، وكان ذلك بين المسلمين والصليبيين بحيث اعترف المسلمون للصليبيين بالشجاعة والإقدام ، وأيضاً اعترف الصليبيون للمسلمين بمثل ذلك[٣].



١ - محمد مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع علي مصر ، صـ٣٦ .
٢ - باركر ، المرجع السابق ، صـ ١٦٣ .
٣ - محمد كرد علي ، خطط الشام ، جـ٥ ، صـ٢١ .

الخاتمـــــــــــــــة

الخـاتمــة

أوضحت الدراسة في الآثار الاجتماعية للحروب الصليبية داخل منطقة بلاد الشام العديد من النتائج منها : أن الصراع الذي تميزت به العلاقات بين الصليبين والمسلمين صراع بين المسيحية والإسلام أي بين أكبر الأديان السماوية وأكثرها انتشاراً ولذلك فلقد ترك هذا الصراع ذكريات التنافر بين المسلمين والنصارى ، فاعتبرت الحروب الصليبية أول توسع استعماري للغرب المسيحي في الشرق العربي فوضعت نواة الاستشراق ؛ إذ اتجه الرهبان لدراسة اللغة العربية والفكر الإسلامي لمعرفة اتجاهات المسلمين في مختلف الشئون .

وتميزت الحروب الصليبية عن غيرها من الحروب في النتائج البعيدة التي تركتها بين العرب والفرنج من آثار ، فما أقامته بينهم من علاقات اجتماعية وثقافية كان لها أوضح الأثر عليهم إما بالسلب أو بالإيجاب ، فإن الكثير من الغربيين الذين جاءوا مع هذه الحروب والذين امتزج أغلبهم بأهل البلاد كان لهم الأثر البالغ في تنوع الأجناس والقوميات واللغات والأديان والمذاهب أي التغير في التركيبة السكانية ولقد ساعد علي ذلك حرب الإبادة التي شنها الصليبيون في بداية دخولهم بلاد الشام.

وعندما جاء الصليبيون إلى منطقة الشرق كانت المنطقة علي أشدها ، فالنزاع بين الخلافتين العباسية والفاطمية كان له الأثر الأكبر في ضعف القوى وفتح الباب أمام الصليبيين للدخول إلى منطقة بلاد الشام ، ولكن بعد ذلك كان للحروب الصليبية الأثر الكبير في توحيد الجبهة الإسلامية لمناهضة الصليبيين وإخراجهم من البلاد ، ووضح ذلك في أن مكافحة الأعداء تحتاج إلى توحيد القوى والجهود لكي يستطيع أصحاب البلاد استرداد حقوقهم ، ويمكننا أن نعتبر الوحدة التي استطاع المسلمون أن يستردوا بها أغلب المناطق التي أخذت منهم كانت من أهم النتائج السياسية التي حدثت في تلك المنطقة .

وعلي الرغم من أن توحيد أهداف المسلمين ضد الصليبيين هو الذى هزمت الصليبيين إلا أنهم لم يستفيدوا من ذلك فكانت العلاقات فيما بين الصليبيين في أغلبها علاقات توتر ونزاع ؛ فكان أغلبهم يريد أن يسيطر ويستحوذ علي خيرات الشرق التي من أجلها كانت المجازفة ، فكل من تسمح له الظروف أن يستحوذ علي خيرات الشرق لا يترك هذه الفرصة حتى لو كانت علي حساب استقرار المملكة اللاتينية وأمنها وسلامتها فمنهم من كان يتحالف مع المسلمين ضد بني جنسهم ، ويمكن اعتبار أن بداية النهاية للفرنج في الشرق كانت بأيديهم وأتمها المسلمون بعد ذلك ، ويوضح ذلك أن الوحدة بين أهل المنطقة الواحدة هي كلمة القوة التي تساعدهم علي حماية بلادهم وتوطيد الأمن والاستقرار بها .

وفي المجال القيمي والأخلاقي فمن أهم النتائج أن تأثر الصليبيين كان أعمق من تأثر المسلمين وبخاصة في العادات والتقاليد في أغلب نواحي الحياة الاجتماعية من ملبس ومأكل واحتفالات .

أما الحياة الفكرية فنشطت وبخاصة في جانب التدوين التاريخي الذي برز فيه التسجيل الحي لأحداث المعارك والاشتباكات التي كانت تحدث بين الطرفين ، وأيضاً ازدهر أدب الرحلات التي سجل من خلالها الرحالة كل ما شاهدوه في تلك المنطقة من بناء ودمار وحروب وسلام .

ويمكن اعتبار أن الجوانب الاقتصادية كانت لها أبلغ التأثر في تلك المنطقة فهي الباعث الأساسي علي قيام هذه الحروب حيث الخبرات الكثيرة الموجودة في الشرق والتي بمقتضى هذه الحروب التفتت أنظار الغربيين إلى خيرات الشرق ، وكانت الحروب الصليبية بمثابة البذرة الأولى التي وضعت في الأراضي الشرقية للاستعمار ، فازدهرت النواحي الاقتصادية بعد تكوين المملكة اللاتينية وبخاصة الجانب التجاري منها علي يد القومونات الإيطالية التي كانت لها اليد الطولى في نجاح الحملات الصليبية ، وكان ذلك علي حساب التجار المسلمين أصحاب البلاد الأصليين . وفي مجال الصناعة لم يستطع الوافدون محاكاة أهل البلاد الأصليين مما جعل الأغلبية

العظمى منها في أيديهم ، وكانت تمارس الزراعة تحت ظل النظام الإقطاعي الذي كانت له أعباء لا تقع أغلبها إلا علي عاتق الفلاحين من أهل البلاد الأصليين والذين عانوا الأمرين من نير هذا النظام الذي أُهْدرت فيه معظم حقوقهم فلم يكن عليهم إلا الواجبات والطاعة لأصحاب الإقطاعات فقط .

وأوضحت هذه الدراسة أن الحروب الصليبية مثلت أسلوباً من أساليب الاحتكاك بين الغرب والشرق فكانت العلاقة بين المسلمين والفرنج بما تضمنته من ألوان عديدة سواء كانت محبة ومودة ومنفعة متبادلة ورعاية وتسامح أو كراهية وعداء وقسوة وعنفاً وتآمراً ، وأبرزت هذه العلاقات أن اقتراب الصليبيين من المسلمين وتعاملهم معهم جعلهم يغيرون من نظرتهم وأفكارهم تجاه المسلمين والتي كانت نابعة عما كان يصل إليهم علي لسان من يأتي من الغربيين إلى الشرق للحج .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

١- ابن تغري بردي :

(جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦ م) ، جـ٦ ؛ (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م) جـ٥ .

٢- ابن الأثير :

(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم عبدالواحد الشيباني الجزري . (ت ٦٣٠ هـ):

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية " الموصل " ، (تحقيق / عبدالقادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، مكتبة المثني ببغداد ، ١٩٦٣م).
- الكامل في التاريخ " من سنة ٤٨٩ لغاية سنة ٥٦١ للهجرة " ، (راجعه وصححه / محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) ، المجلد التاسع ، ط١ ، مجـ١٠ " من سنة ٥٦٢ لغاية سنة ٦٢٨ للهجرة") ، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ، ط٣.

٣- الجبرتي :

(عبدالرحمن الجبرتي) :

- تاريخ عجائب الأثار في التراجم والأخبار ، (دار الجبل ببيروت)

٤- ابن جبير :

(أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي) :

- رحلة ابن جبير ، (دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري).

٥- ياقوت بن عبدالله الحموى :

(شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي ، (ت سنة ٦٢٦ هـ)) :

- معجم البلدان ، (دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤) ، المجلد الثاني؛ (عنى بتصحيحه وترتيبه ووضعه وكتابته / محمد أمين الخانجي الكتبي ، أحمد بن الأمين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ، سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م) ، المجلد السادس ، ط١.

٦- الحنبلي :

(أبو اليمين القاضي مجير الدين الحنبلي) :
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، (مكتبة المحتسب " عمان - الأردن ") ، جـ١ ، جـ٢.

٧-ابن العماد الحنبلي :
(شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العماد الحنبلي (ت سنة ١٠٨٩ هـ)) :
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب " من سنة ٤٦٤ هـ إلى سنة ٥٨٨هـ" ، (دراسة وتحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ - ١٩٨ م) جـ٤ ، ط١ ، " من سنة ٥٨٩هـ هـ إلى سنة ٦٧٥ هـ " ؛ جـ٥ .

٨- الحلبي :
(جمال الدين أبي الحسن علي بن الفقيه الإمام ابي منصور ظافر أبن الحسين بن غازي الحلبي الأزدي (٥٦٧ - ٦١٣ هـ /١١٧١ - ١٢١٦ م) :
- أخبار الدول المنقطعة " تاريخ الدولة العباسية ، (تحقيق ودراسة محمد بن مسفر بن حسين الزاهداني ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٠٤٨ هـ - ١٩٨٨م) .

٩- بنيامين بن بونة التطيلي النباري الأندلسى (٥٦١ - ٦٩ هـ/ ١١٦٥ - ١١٧٣ م) :
- رحلة بنيامين ، (ترجمها عن الأصل العبري وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها (عزرا حداد ، مصدرة بمقدمة / عباس العزاوي ، المطبعة الشرقية بغداد ، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م) ، ط١.

١٠- أبو الفرج جمال الدين أبن العبري :
- تاريخ الزمان ، (نقله إلى العربية / اسحق ارملة ، وصدر تباعاً في مجلة المشرق (١٩٤٩ - ١٩٥٦م) ، (قدمه له جان موريس قيسية ، صدر بمناسبة المئوية السابق) لوفاة المؤلف ١٢٨٦ - ١٩٨٦ م) دار المشرق ش م م) .

١١- ابن خلدون :
(عبدالرحمن ابن خلدون المغربي) :
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، جـ٥ ؛ المجلد الخامس من القسم (الأول ، الثاني ، الثالث) (٩) ، (القسم الرابع) (١٠) ، (دار الكتاب اللباني - مكتبة المدرسة ببيروت ، ١٩٨٣ م) .

١٢- الدوادار :

(بيبرس المنصور الدوادار) :
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، (تحقيق / زبيدة محمد عطا ، مخطوط الرياض ، ١٩٨٦م)، جـ٩ .
- مختار الأخبار " تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ " ، (حققه وقدم له ووضع فهارسة/عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ،١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م) ، ط١.

١٣- الداوداري :
(أبو بكر عبدالله بن أيبك الدواداري) :
- كنز الدرر وجامع الغرر " الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية " ، (تحقيق / صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م) ، جـ٦ ، جـ٧ ؛ " الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب" ، (تحقيق /سعيد عبدالفتاح عاشور ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢ م) .

١٤- الذهبي :
(الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي) ، (ت ٧٤٨ هـ) :
- دول الإسلام ، (تحقيق / فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، جـ٢.
- العبر في خبر من غبر"سنة٣١٩ إلي سنة٥٤٦ هـ"،(حققها وضبطها على مخطوطتين/ أبوهاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت) ، حـ٢ ؛ جـ٣ " ، من سنة ٥٤٧ إلى سنة ٧٠٠ هـ " .
- سيد أعلام النبلاء ، (حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه /شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ؛ جـ١٩ ، ط٧ ؛جـ٢١ ؛ جـ٢٢ ، (حققه / بشار عواد معروف ، محي هلال السرحان) .

١٥- أبوشامة :
(شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدس) :
- الروضتين في " أخبار الدولتين النورية والصلاحية " ، تحقيق /محمد حلمي محمد أحمد ، مراجعة / محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٢م) ، جـ١ ف٢ .

١٦- ابن شداد :

(بهاء الدين ، ت سنة ٦٣٢ هـ) :
- سيرة صلاة الدين الأيوبي ،" المسماة " بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " ، (مكتبة ومطبعة / محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٤٦ هـ) .

١٧- الأصفهاني :
(أبو عبدالله محمد عماد الدين الكاتب ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)
- الفتح القسي في الفتح القدسي ، (تحقيق وشرح وتقديم / محمد محمد محمود صبح)

١٨- الظاهري :
(غرس الدين خليل بن شاهين) :
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، (اعتنى بتصحيحه / بولس راويس ، طبع في مدينة باريس المحروسة بالمطبعة الجمهورية ،١٨٩٤ م) .

١٩- ابن العبري :
(غريفوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي)
- تاريخ مختصر الدول ، (وقف على طبعه / أنطون صالحان اليوسعي) .

٢٠- ابن العديم :
(كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (٥٨٨ - ٦٦٠) :
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، حققه وقدم له / سهيل زكار ، دمشق ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) ، جـ١ ؛ جـ٦ ؛ (جـ٧ ؛ جـ٨ ؛ جـ١٠ ، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م)).

٢١- ابن فضل الله العمري :
(شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى) :
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،(تحقيق / أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية) ق١ ؛
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " دولة المماليك الأولى (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ/١٣٠١ - ١٣٤٩ م)" ، (دراسة وتحقيق / دورتيا كرافولسكى ، المركز الاسلامي البحوت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م) ، جـ٢ ، ط١ .

٢٢- أبو الفداء :
(المؤيد عماد الدين اسماعيل ، ت ٧٣٢ هـ) :

- المختصر في أخبار البشر ، (المطبعة الحسينية المصرية) ، جـ١ ؛ جـ٢ ؛ جـ٣ .

٢٣- ابن الفرات :

(ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ، سنة ٦٨٣ - ٦٩٦ هـ) :

- تاريخ ابن الفرات ، المجلد الثامن .

٢٤- القرماني :

(أحمد بن يوسف ، ت ١٠١٩ - ١٦١٠م)

- أخبار الدول وآثار الأول ، (تحقيق/ أحمد حطيط ، فهمي سعد ، بيروت دار عالم الكتب ، ١٩٩٢ م - ١٤١٢هـ) ، المجلد الأول ؛ الثاني ؛ الثالث ، ط١ .

٢٥- ابن القلانسي :

(أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي ابن محمد التميمي ، ٤٧٠ هـ - ٥٥٥ هـ / ١٠٧٧ - ١١٦٠م) :

- تاريخ دمشق (٣٦٠ - ٥٥٥ هـ) ، (تحقيق / سهيل زكار ، دار حسان ، ١٩٨٣م - ١٤٠٣ هـ) ، ط١

- زيل تاريخ دمشق " تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي ، سبط بن الجوزي ، الحافظ الذهبي " ، (طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م) .

٢٦- القلقشندي :

(أبو العباس أحمد بن علي ، ٨٢١ هـ - ١٤١٨م)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) ، جـ١ ؛ جـ٤ ، (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومزيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ؛ جـ١٣ .

٢٧- قنبتور الأربلي :

(عبدالرحمن سنبط قنبتور الأربلي ، ت ٧١٧ هـ) :

- خلاصة الذهب المسبوك " مختصر من سير الملوك " ، (وقف علي طبعة وتصحيحه / مكي السيد جاسم ، مكتبة المثني ببغداد ، ١٩٦٤ م) .

٢٨- العسقلاني المصري :

(شافع بن علي الكاتب)

- الفضل المأثور " من سيرة السلطان الملك المنصور " " ٦٤٩ - ٧٣٠ هـ" ، (تحقيق / عمر عبدالسلام تدمري ، نسخة مكتبة اليودليان (أكسفورد) رقم ٤٢٤ ، المكتبة العصرية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م) ، ط١.

٢٩- ابن شاكر الكتبي :

(محمد بن شاكر ، ٧٦٤ هـ) :

- فوات الوفيات والذيل عليها ، (تحيق / إحسان عباس ، دار الثقافة ، ١٩٧٣ م) المجلد الأول.

٣٠- ابن كثير :

(أبو الفداء الحافظ الدمشقى ، ت ٧٧٤ هـ) :

- البداية والنهاية ، (مكتبة المعارف ، ١٩٨١م - ١٤٠١ هـ) ، جـ١٢ ، ط٣ ؛ جـ١٣ ، (١٩٨٢ م) ، ط٤ .

٣١- المقريزي :

(تقى الدين ابي العباس أحمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ) :

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، (صححه ووضع حواشيه / محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٣٤ م) ، جـ١ ، ق١ ، ق٢ .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " المعروف بالخطط المقريزية " ، (دار صادر بيروت) ، جـ١ ؛ جـ٢ (١٢٧٠ هـ).

٣٢- ابن منقذ :

(مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيرزي ، ٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) :

- الاعتبار ، (حرره / فيليب حتى ، د.ف ، مكتبة الثقافة الدينية) ؛ (تحقيق وتقديم / قاسم السامرائي ، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، ط١ .

٣٣- ذو النسبيين :

(أبو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي علي حسن بن سبط الإمام أبي البسام الفاطمي) :

- النبراس " في تاريخ خلفاء بني العباس " ، صححه وعلق عليه / عباس العزاوي ، مطبعة المعرف - بغداد ، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م)

٣٤- ابن واصل :

(جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧هـ - ١٢٩٨ م) :

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، (تحقيق / جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م) ، جـ١ ؛ جـ٢ ؛ جـ٣ (من سنة ١١٩٤ - ١٢١٨م/ ٥٩٠ - ٦١٥ هـ) ؛ جـ٤ (من سنة ٦١٥ - ٦٢٨ هـ) ، (حققه ووضع حواشيه / حسنين محمد ربيع ، وقدم له / سعيد عبدالفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٢ م) ؛ جـ٥ "من سنة ٦٢٩ - ٦٤٥ هـ / ١٢٣١ - ١٢٤٨ م" ، (١٩٧٧ م) .

٣٥- ابن الوردي :

(زين الدين عمر بن مظفر بن عمر) :

- تاريخ ابن الوردي ، (المطبعة الوهبية البهية بالقاهرة ، ١٢٨٥ هـ) ، جـ٢ .

- تتمة المختصر في أخبار البشر ، (المطبعة الوهبية ، ١٢٨٥ هـ) ، جـ١ ؛ جـ٢ .

٣٦- ابن إياس :

(محمد بن أحمد بن الحنفي المصري) :

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، (المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، ١٣١١ هـ) ، جـ١ ، طـ١ ، جـ١ ق١ ، طـ٢ .

٣٧- اليافعي اليمني :

(أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين المكي ، ت ٧٦٨) :

- مرآة الجنان وعبر اليقطان ، (مطبعة دائرة المعرف النظامية) ، جـ٣ .

ثانياً : المصادر الأجنبية :

1- Burchard of Mount sion,

A Description of the holy land , A.D., 1280, Trans from the Original Latin by Aubrey Stewart, London 1896, In P.P.T.S. vol. X II.

- وقد اعتمدنا علي الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي تحت عنوان : " وصف الأراضي المقدسة ، (الطبعة الأولى ، دار الشروق - عمان ، ١٩٩٥م) .

2- Gesta Francorum I herusalum,
Expugnantium. R-H. C-H. Oocc, Tome III, Paris, 1866.

- وقد اعتمدنا علي الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي تحت عنوان ، أعمال الفرنجة ، (ترجمة/حسن حبشي) .

3- John of Wurzburg,
Description of the Holy land , A.D.1160 - 1170, Trans by C. w, Wilsou, London, 1890.

- وقد اعتمدنا علي الترجمة العربية وهي تحت عنوان ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، (ترجمة / سعيد عبدالله البيشاوي ، دار الشروق - عمان ، ١٩٩٧) ، ط١ .

-Vitry de J.
The History of the of the Jerusalem, in P.P.t.s., vol .v , London, 1896 .

وقد تم الاعتماد علي الترجمة التي قام بها (سعيد البيشاوي)

- Willim of Tyre ,
A History of Deeds beyond the sea , P.P. t.s. vol - Xi, London, 1896.

- واعتمدنا علي كتاب ، وليم الصوري ، (الحروب الصليبية ٤ أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ - ١٩٩٥) .

ثالثاً المراجع العربية :

١- أحد الآباء اليسوعيين :

- مختصر تأريخ سورية ولبنان ، المطبعة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين بيروت ، ١٩٢٤ م)

٢-أحمد أحمد بدوي :

- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، (مكتبة نهضة مصر)

٣- أحمد دراج :

- وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ م) .

٤- أحمد رمضان :

- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام : " في عصر الحروب الصليبية " ، (الجهاز المركزي للكتب الجامعية والعلمية والوسائل التعليمية ، ١٣٩٧ م - ١٩٧٧م) ، ط١ .

٥- أحمد شلبي :

- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية " دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في جميع العصور وجميع الأنحاء " (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧ م) جـ٥ ، ط١ .

٦- أحمد فوزي :

- قاسم والأكراد " خناجر وجبال "

٧- أسامة زكي زيد :

- "صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي" ، (تقديم / جوزيف نسيم يوسف ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨١ م) .

٨- إسمت غنيم :

- الدولة الأيوبية والصليبيون ، (دار المعرفة الجامعية).

٩- السيد الباز العريني :

- مصر في عصر الأيوبيين ، (مطبعة الكيلاني الصغيرة) .

١٠- السيد الباز العريني ، سيد عبالفتاح عاشور ، محمد أنيس ، عبدالعزيز كامل ، حسن أحمد محمود ، السيد محمد رجب حراز ، محمد متولي :

- المجتمع العربي ، (مكتبة الأنجلو ، المصرية ، ١٩٦٠ م)

١١- أنور الجندي :

- الموسوعة الإسلامية العربية ، الإسلام وحركة التاريخ " رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام" ، (دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري ، ١٩٨٠) جـ٥ ، طـ١ .

١٢- إلياس أبو شبكة :

- روابط الفكر والروح " بين العرب والفرنجة " ، ومنشورات دار المكشوف ، ١٩٤٥ م) ، ط٢

١٣- جاك تتاجر :

- أقباط ومسلمون " منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م" ، كراسات التاريخ المصري ، ١٩٥١م

١٤- جرجي زيدان :

- تاريخ التمدن الإسلامي ، (مطبعة الهلال ، ١٩١٤ م) ، جـ١ ، ط٢ ؛ جـ٢ ، (ط٤ ، ١٩٢٦م) ؛ جـ٣ ، (١٩٣١م) ؛ جـ٤ ، (ط٤ ، ١٩٢٧ م) ، جـ٥ ، (ط٣ ، ١٩٢٢ م).

- صلاح الدين و " مكائد الحشاشين " ، (مطبعة الهلال ، ١٩٣٣ م) ، ط٤ .

١٥- جلال يحيى :

- العالم العربي الحديث "المدخل" ، (دار المعارف ، ١٩٨٢م) .

١٦- جوزيف نسيم يوسف :

- لويس التاسع في الشرق الأوسط "١٢٥٠ - ١٢٥٤م" قضية فلسطين في عصر الحروب الصليبية ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦م) .

- الوحدة وحركات اليقظة العربية "إبان العدوان الصليبي" ، (دار المعارف ، ١٩٦٦م) ، ط١ ؛ (دار النهضة العربية ، ١٩٨١م) .

-دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب " في العصور الوسطى" ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨م).

- العرب والروم واللاتيين في الحروب الصليبية الأولى ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩م) ، ط٤

١٧- حاتم عبدالرحمن الطحاوي :

- دراسات في تاريخ العصور الوسطى " مجموعة أبحاث مهداة إلى قاسم عبده بمناسبة بلوغه سن الستين عاماً" ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣ م) ، ط١ .

١٨- حامد زيان غانم :

- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى .

١٩- حامد غنيم أبوسعيد :

- الجبهة الإسلامية " في عصر الحروب الصليبية " ، (مكتبة الشباب ، ١٩٧١م) ، جـ١ ، ط١

٢٠- حسن إبراهيم حسن :

- تاريخ الإسلام " السياسي والديني والثقافي والاجتماعي " " العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (٤٤٧ -٦٥٦هـ/١٠٥٥ - ١٢٥٨م)" ، (مكتبة النهضة الإسلامية ، ١٩٦٧م) ، جـ٤ ، ط١ .

٢١- حسن حبشي :

- الحرب الصليبية الأولى ، (دار الفكر العربي ، ١٩٥٨م) .

٢٢- حسن عبدالوهاب حسين :

- دراسات في تاريخ الحركة الصليبية ، " مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية " ، (دار المعارفة الجامعية ، ١٩٩٧م) .

٢٣- حسين مؤنس :

- أطلس تاريخ الإسلام ، (الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م) ط١ .

٢٤- خليل سركيس :

- تاريخ أورشليم في القدس الشريف " يتضمن كل ما جرى فيها منذ عرفت إلى الوقت الحاضر " ، (طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧٤م).

٢٥- رأفت محمد النبراوي :

- النقود الإسلامية في مصر " عصر دولة المماليك الجراكسة " ، (مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٦ م) ، ط٢ .

٢٦- زكي النقاش :

- العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية " بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية " ، (دار الكتاب اللبناني ، ١٩٤٦ م - ١٣٦٥ هـ (١٩٥٧ م)).

٢٧- سعيد أحمد برجاوي :

- الحروب الصليبية في المشرق ،(منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) ، ط١ .

٢٨- سعيد عبدالفتاح عاشور :

- حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى ، (دار النهضة العربية)

- الحركة الصليبية " صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطي " ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٩م) ، جـ١ ، ط٥ (منقحة) ؛ جـ٢ ، (ط١ ، ١٩٦٣م).

٢٩- سيد علي الحريري :

- الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، (المطبعة العمومية بمصر ، سنة ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩م).

٣٠- سيد فرج :

- السامريون واليهود ، (دار المريخ) .

٣١- عارف العارف :

- تاريخ القدس ، (دار المعارف بمصر)

٣٢- عبدالباسط فاخوري " مفتى مدينة بيروت " :

- تحفة الأنام " مختصر تاريخ الإسلام ".

٣٣- عبدالرحمن الرافعي ، سعيد عبدالفتاح عاشور :

- مصر في العصور من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، (دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ م) ، ط١ .

٣٤- عبدالعزيز سيد الأهل :

- أيام صلاح الدين ، (لجنة التعريف بالإسلام ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) ، الكتاب العاشر .

٣٥- عبدالعزيز محمود عبدالدايم :

- بيت المقدس في العصر الأيوبي " ٥٦٧-٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م " " مع دراسة تمهيدية لمكانتها في العصر الإسلامي " (دار الثقافة العربية ، ١٩٨٩م) .

٣٦- عبدالفتاح عبدالمقصود :

- صليبية إلى الأبد ، (منشورات مكتبة العرفان بيروت).

٣٧- عبداللطيف حمزة :

- الحركة الفكرية في مصر " في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول " ، (دار الفكر العربي) ، ط١.
- أدب الحروب الصليبية ، (دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ م) ، ط١ .

٣٨- عبدالله بن سعيد محمد سافر الغامري :

- مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن " عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود " ، (سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية (٦) ، ١٤١٤ هـ) .

٣٩- عبدالمنعم ماجد :

- العلاقات بين الشرق والغرب " في العصور الوسطى" ، مكتبة الجامعة العربية بيروت ، ١٩٦٦م)

٤٠- عفاف سيد صبرة :

- العلاقات بين الشرق والغرب " علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠ - ١٤٠٠م " ، (دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ م)
- المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ، ط٢ .

٤١- علي السيد علي :

- العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م) ، ط١ .

٤٢- عمر عبدالسلام تدمرى :

- تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور " عصر الصراع العربي - البيزنطي والحروب الصليبية " ، (سلسلة تاريخ طرابلس الحضاري (٣) ، مؤسسة الرسالة ، دار الإيمان ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) جـ١ ، ط ٢ .

٤٣- عمر موسى باشا :

- الأدب في بلاد الشام "عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك " ، (المكتبة العباسية بدمشق ، ١٩٧٢م - ١٣٩١هـ) ، ط٢ .

٤٤- فتحية النبراوي :

-العلاقات السياسية الإسلامية " وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى " " ١٠٠٠م - ١٣٠٠م" ، (دار التضامن للطباعة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، ط١ .

٤٥- فيليب حتى :

- لبنان في التاريخ "منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر" ، (ترجمة / أنيس فريحه ، مراجعة / نقولا زيادة ، دار الثقافة بيروت) .

- العرب "تاريخ مُوجز" ، (دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٦٥م) ، ط٣ .

٤٦- فيليب حتى ، أدورد جرجي ، جبرائيل جبور :

- تاريخ العرب "مطول" ، (١٩٦١م) ، جـ٢ ، ط٣ .

٤٧- قاسم عبده قاسم :

- رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية ، (دار الموقف العربي ، القاهرة ١٩٨٣م).

- الحملة الصليبية الأولى "نصوص ووثائق" ، (العربية للدراسات والنشر) .

-ماهية الحروب الصليبية " الأيديولوجية - الدوافع - النتائج " ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٣م)

٤٨- قاسم عبده قاسم ، علي السيد :

- الأيوبيون والمماليك "التاريخ السياسي والعسكري " ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٥م) ، ط١ .

٤٩- محمد أحمد حسين :

- أسامة بن منقذ " صفحة من تاريخ الحروب الصليبية " ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦م)

٥٠- محمد جمال الدين سرور :

-دولة الظاهر بيبرس "في مصر" (دار الفكر العربي ، ١٩٦٠م).

- دولة بني قلاوون في مصر "الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص" ، (دار الفكر العربي) .

٥١- محمد سيد كيلاني :

- الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ، (مطبعة دار الكتاب العربي ، ١٩٤٩م) .

٥٢- محمد عبدالله عنان :

- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، (مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م) ، ط٤ .

٥٣- محمد عثمان الخشت :

- حركة الحشاشين "تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم "

٥٤- محمد فتحي الشاعر :

- أحوال المسلمين " في مملكة بيت المقدس الصليبية "١٠٩٩ - ١١٨٧م" ، (المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٨٩ م) .

٥٥- محمد كرد علي :

- خطط الشام ، (المطبعة الحديثة في دمشق ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م) ، جـ١ ؛ جـ٢ ؛ جـ٣، (مطبعة الترفي بدمشق ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م) ؛ جـ٤(١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م) ؛ جـ٥ (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م) ؛ جـ٦ (مطبعة المفيد بدمشق ، ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)

- الإسلام والحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٣٤ م) ، جـ١ ؛ جـ٢ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨م) ، ط٣ .

٥٥- محمد محفل ، برهان الدين عبدالرحمن دلو ، عادل سليمان زيتون :

- ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري " العصر الراشدي والأموي - العصر العباسي - العصر الأيوبي والمملوكي " ، (التدقيق اللغوي / حسن قطريب) ، المجلد الثاني .

٥٦- محمد محمد مرسي الشيخ :

- الإمارات العربية في بلاد الشام " في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين" ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م) ، ط١.

٥٧- محمد مصطفى زيادة :

- حملة لويس التاسع علي مصر "وهزيمته في المنصورة " ، (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ، ط١ .

٥٨- محمد مؤنس أحمد عوض :

- دراسات شرق أوسطية "أضواء علي الطب في المناطق الصليبية في المرحلة من (١٠٩٨ - ١١٧٤م / ٤٩١ - ٥٧٠هـ)" ، (مركز بحوث الشرق الأوسط ، سلسلة دراسات رقم (١٨١م) ، ١٩٩٥م).

- دراسات شرق أوسطية "الحملة الصليبية النرويجية" الملك سيجورد ودوره في دعم الحركة الصليبية " في المرحلة من (١١٠٧ - ١١١٠م / ٥٠١ - ٥٠٤ هـ) " ، (سلسلة دراسات رقم (١٨٢) ، القاهرة ، ١٩٩٥ م)

- في الصراع الإسلامي - الصليبي " معركة أرسوف (١١٩١م - ٥٨٧ هـ)" ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٧م) ، ط ١ .

- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣ م) ، ط١.

٥٩- محمد ياسين الحموي :

- دمشق في العصر الأيوبي ، (مكتب النشر العربي بدمشق ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦م).

٦٠- محمود رزق سليم :

- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي " في الحركة العلمية " ، (مكتبة الآداب بالجماميز ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م) المجلد الثالث ؛ المجلد الخامس (ق١جـ٣) " في النثر الفني " ، (مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م) ؛ المجلد السادس : (ق٢ جـ٣) ، (١٣٨١هـ - ١٩٦٢ م)

٦١- محمود سعيد عمران :

- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية " في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ - ١١٨٠م" ، (دار المعارف ، ١٩٨٥م) .

- تاريخ الحروب الصليبية " ١٠٩٥-١٢٩١م" ، (دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥م).

٦٢- محمود شاكر :

- التاريخ الإسلامي " الدولة العباسية " ، (المكتب الإسلامي ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ، جـ٦ ، ط٥

٦٣- محمود محمد الحويري :

- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام " في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد " "عصر الحروب الصليبية " ، (دار المعارف ، ١٩٧٩م).

٦٤-مصطفى حسن محمد الكناني :

- العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي " ١١٧١ - ١٢٩١م / ٥٦٧ - ٦٩٠هـ" أضواء جديدة علي الحركة الصليبية " ، (تقديم / جوزيف نسيم يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ م).

٦٥- نظير حسان سعداوي :

- ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية ، (مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧م) ، ط١ .

- خمسة من معاصري صلاح الدين الأيوبي ، (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م - ١٣٧٦هـ)

- الحرب والسلام " زمن العدوان الصليبي " ، (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١م - ١٣٨١هـ)

٦٦- يوحنا أفندي إبكاريوس :

- قطـــف الزهـــور فـــي تـــاريخ الـــدهور ، (طبـــع فـــي بيـــروت ، ١٨٨٥م) ، ط٢ .

رابعاً :المراجع المترجمة :

١- أرنست باركر :

- الحروب الصليبية ، (عَرّبه / علي أحمد عيسى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦م) ؛ (نقله إلى العربية / السيد الباز العريني ، مكتبة النهضة المصرية) .

٢- برنارد لويس :

- أصول الإسماعيلية " بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية ، (نقله إلى العربية/ خليل أحمد جلو ، جاسم محمد الرجب ، قدم له / عبدالعزيز الدوري ، دار الكتاب العربي بمصر) .

- العرب في التاريخ ، (تعريف / نبيه أمين فارس ، محمود يوسف زايد ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٥٤ م) ، ط١ .

٣- جاك س - رسلير :

-الحضارة العربية ، (ترجمة / غنيم عبدون ، مراجعة / أحمد فؤاد هواني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة)

٤- جان موريس فييه :

- أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، (نقله إلى العربية / حسني زينة ، دار المشرق ، ١٩٩٠م) ط١ .

٥- جورج رينتز ، ارشيبالدر لويس ، جيراردز التغر ، جون ك . لامونت ، أمير بكوكاسترو ، ولترفشل ، جون س بارد ، ف . س . ك نورثروب ، ولفردكانتول سميث :

-دراسات إسلامية ، (ترجمة / أنيس فريحه ، كمال الباز جي ، نقولا زيادة ، محمد توفيق حسين ، محمود الحوت ، بإشراف / نقولا زيادة ، دار الأندلس للطباعة و النشر ، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م) .

٦- جورج كيرك :

- موجز تاريخ الشرق الأوسط " من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر " ، (ترجمة / عمر الاسكندري ، راجعه / سليم حسن ، الناشر مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٥٧ م) ، ط٣.

٧- جوناثان رايلي سميث :

- الاسبتارية " فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص " " ١٠٥٠ - ١٣١٠م " ، (ترجمة / العميد الركن صبحي الجابي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٩ م) ، ط١ .

٨- ستيفن رنسيمان :

- تاريخ الحروب الصليبية " مملكة بيت المقدس - ١١٠٠ - ١١٨٧ م " ، (نقله إلى اللغة العربية / السيد الباز العريني ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢) ، جـ٢ ، ط٢ ؛ جـ٣ " مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة ، (١٩٨٠) ، ط٢

٩- سيد أمين علي :

- مختصر تاريخ ، (نقله إلى العربية / عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين بيروت) .

١٠- سيد يو :

- خلاصة تاريخ العرب ، (أمر بترجمته وتهذيبه وطبعه / علي مبارك ، بمطبعة محمد افندي مصطفى ، ١٣٠٩هـ) ، ط١ .

١١- شارل ديل :

- البندقية " جمهورية أرستقراطية " ، تعريب / أحمد عزت عبدالكير ، توفيق اسكندر ، دار المعارف بمصر) .

١٢- غوستاف لوبون :

- حضارة العرب ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).

١٣- ف . ف. بارتولد :

داسات في تاريخ فلسطين " في العصور الوسطى " ، (مقدمة / فاروق عمر فوزي ، ترجمة / عزيز حداد ، مطبعة أسعد - بغداد ، ١٩٧٣ م) ط١ .

١٤- فوشيه الشارتري :

- تاريخ الحملة إلى القدس " ١٠٩٥ - ١١٢٧ م ، نقله إلى العربية / زياد جميل العسلي ، ترجمة من اللاتينية إلى الإنجليزية الأخت/ فرنسيس رتياريان ، حرره وقدمه / هارولدس - فتك ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م) ، ط١ .

١٥- كارل بروكلمان :

- تاريخ الشعوب الإسلامية " الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها " (نقله إلى العربية / نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين) ، ط٣

١٦- مكسيموس مونروند :

- تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب ،(قد استخرجه عن أصله الفرنساوي إلى اللغة العربية / قدس السيد كير بو مكسيموس مظلوم ، ١٨٤١م ، طبع أورشليم في دير الرهبان الفرنسيسكانين سنة ١٨٦٥ ، المجلد الأول والثاني .

١٧- ميخائيل زابوروف :

الصليبيون في الشرق (ترجمة / الياس شاهين ، دارالتقدم ، ١٩٨٦م) .

١٨- ميشيل بالار :

الحملات الصليبية والشرق اللاتيني " من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر " ، (ترجمة / بشير السباعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٣م) ، ط١ .

١٩- نورمان ف - كانتور :

- التاريخ الوسيط " قصة حضارة البداية والنهائية " ترجمة وتعليق / قاسم عبده قاسم ، دار المعارف ، ١٩٨٦ م) ، القسم الثاني ، ط٢ .

٢٠- وليام لانجر :

موسوعة تاريخ العالم ، (اشرف علي الترجمة / محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة المصرية) ، جـ٢ .

٢١- يوشع براور :

- عالم الصليبيين ، (ترجمة وتعقيب وتقديم / قاسم عبده قاسم ، محمد خليفة حسن ، دار المعارف ، ١٩٨١ م) ، ط١ .

- الاستيطان الصليبي في فلسطين " مملكة بيت المقدس اللاتينية " ، (ترجمة / عبدالحافظ عبدالخالق البنا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠١ م) ط١ .

خامساً : الرسائل

١- أسامة سيد علي أحمد :

- الظهير الشامي ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي ، (رسالة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العصور الوسطى (إسلامي) غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، إشراف/ أحمد رمضان ، ١٩٩٦ م

٢- جمعة محمد مصطفى الجندي :

-حياة الفرنج ونظمهم في الشام " خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر " دراسة تطبيقية علي مملكة بيت المقدس " ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، إشراف/ رأفت عبد الحميد ، ١٩٨٥ .

٣- حاتم عبدالرحمن الطحاوي :

- الحياة الاقتصادية في المستعمرات الصليبية في بلاد الشام ، رسالة ماجستير غير منشورة (آداب الزقازيق) ، تحت إشراف/ قاسم عبده ، رأفت عبد الحميد محمد ، ١٩٩٢ .

٤- زكي النقاش :

الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (آداب القاهرة) ، ١٩٥٢م / ١٩٥٣ م

٥- سعيد محمد سعيد الغمري :

- الحرف والصناعات في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية " ١٢٩١م / ٤٩٥ - ٦٨٧ هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (آداب الزقازيق) ، إشراف / قاسم عبده قاسم ، ١٩٩٨ م

٦- سليمان اسحق عطية :

- تاريخ التعليم في فلسطين علي عهد سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (آداب القاهرة) ١٩٥٧، م

٧- سليمان عبدالعبد الله الخرايشة :

- الصراع الفاطمي السلجوقي في بلاد الشام "٤٤٧- ٥٦٦ هـ / ١٠٥٥ - ١١٧٠م " ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، إشراف / عبدالمنعم ماجد ، ١٩٩٠ م.

٨- عاطف مرقص بطرس :

- الأرمـن وعلاقـاتهم بـالبيزنطيين والمسـلمين " ١٠٧١ - ١١٧١ م ، ٤٦٣ - ٥٦٧ هـ " ، رسـالة ماجستير غير منشورة (آداب عين شمس) ، إشراف اسحق عبيد ، ١٩٨٦ م - ١٤٠٧هـ

٩- عبدالعزيز محمود عبدالدايم :

- إمـارة طـرابلس الصـليبية فـي القرن الثـاني عشـر ، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة ، (آداب القـاهرة) إشراف / سعيد عبدالفتاح عاشور ، ١٩٧١ م.

١٠- عبداللطيف عبدالهادي السيد :

- السياسـة الخارجيـة لمملكـة بيـت المقـدس فـي عهـد بلـدوين الثالـث " ١١٤٣ - ١١٦٣ م " ، رسـالة ماجستير غير منشورة ، (آداب عين شمس) ، إشراف / اسحق عبيد ، ١٩٩٠ م.

١١- عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي :

- أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي " خلال الحروب الصليبية "، رسالة ماجستير منشورة ، (كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، إشراف / علي الغمراوي ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

١٢- عفاف سيد محمد صبرة :

- علاقة البندقية بمصر والشام " من بداية القرن الثاني عشر حتى نهاية الرابع عشر الميلاديين" رسالة دكتوراه منشورة ، (آداب القاهرة) ، إشراف / حسنين محمد ربيع ، ١٩٧٧م.

١٣- كمال بن مارس :

- العلاقة بين الموصل وحلب ودورها في الحروب الصليبية " ٤٦٤ هـ - ٥٨٣هـ/ ١٠٧١ -١١٨٧م " ، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة ، (آداب عـين شـمس) ، إشـراف/ أحمـد رمضـان أحمـد ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م .

١٤- محمد مؤنس أحمد عوض :

- التنظيمـات الدينيـة الإسـلامية والمسيحية فـي بـلاد الشـام فـي عصـر الحـروب الصـليبية " فـي القرنين السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (آداب عن شمس) ، إشراف / أحمد عبدالرازق مصطفى ، رأفت عبدالحميد محمد ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .

١٥- محمود رزق محمود :

- العلاقات بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى واقعة حطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (آداب عين شمس) إشراف / حسن حبشي ، ١٩٧٣م .

١٦- نبيلة إبراهيم مقامي :

- فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام " في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، رسالة ماجستير منشورة ، (آداب القاهرة) ، إشراف / حسنين محمد ربيع ، ١٩٧٥ - ١٣٩٥ هـ

سادساً - الدوريات :

١- السيد الباز العريني :

- "الإقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي " ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الرابع ، يناير ١٩٥٧ م.
- "نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس في القرن الثامن عشر الميلادي" ، فصلة من مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢٠ ، العدد الثاني ، ديسمبر ١٩٥٨م ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٢ م.

٢- حسين محمد عطية :

- "المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام " حوليات كلية الآداب ، دورية علمية نصف سنوية محكمة ، جامعة عين شمس ، المجلد السابع والعشرون ، العدد الثاني ، ١٩٩٩ م.

٣- زبيدة عطا :

-" الباطنية والإرهاب الديني في العصور الوسطى " ، التاريخ والمستقبل دورية أكاديمية محكمة (تعنى بنشر الأبحاث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب ، جامعة المنيا المجلد رقم (١) ، العدد (٢) ، ١٩٨٧م

٤- صلاح الدين محمد نوار :

- " دور المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين والمغول في بلاد الشام من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حتى منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي" ، جامعة القاهرة (فرع الفيوم) ، كلية الدراسات العربية والإسلامية ، المؤتمر العلمي الأول ، مايو ١٩٩٥م.

٥- عبدالله كامل موسى عبده :

- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية "جامعة جنوب الوادي ، كلية الآداب بقنا ، مجلة كلية الآداب ، دورية أكاديمية علمية محكمة ، العدد الرابع ، ١٩٩٥م.

٦- قاسم عبده قاسم :

- " صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية " ، المجلة التاريخية المصرية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٢٧ لسنة ١٩٨١ م.

٧-محمد عبدالله السمان :

- " الزحف الصليبي الحديث " جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، رسالة الطالب المسلم ، العدد الأول ، ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ.

٨- محمد محمود أحمد النشار :

- "نشأة جماعتي الرهبان الفرسان الاسبتارية والداوية في الممالیك المسيحية الأسبانية والبرتغالية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري" مجلة كلية الآداب جامعة طنطا ، العدد السابع ، يناير ١٩٩٤ م .

٩- مهجة محمد كامل درويش :

- " الحروب الصليبية وأثرها في إزكاء العاطفة الدينية في الشعر العربي " ، جامعة الأزهر ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات ، مجلة الزهراء ، (المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات) ، العدد الخامس ، جماد الآخر ١٤٠٧ هـ - يناير ١٩٨٧ م.

١٠- نادية حسن صقر :

- " أثر الحركة الصليبية علي الكشوف الجغرافية " ، مجلة بحوث كلية الآداب " جامعة المنوفية ، العدد العشرين ، ١٩٩٤ .

١١- نزيه شحادة :

- " بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية ، ١٠٩٧ - ١٢٩١م / ٤٩٠ - ٦٩٠هـ " ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، العدد الثامن والثلاثون ، يوليو ١٩٩٩م.

سابعاً - المراجع الأجنبية :

1- Ambroise,
The Crusade of Richard lion - Heart, New Yourk, 1941 .

2- Charles Mills,
The History of The Crusades for the Recovery and Possession of The Holy Land , Vol. II, London , 1828.

3- Harold Lamb,
The Crusades “ Iron Men and saints”, London 1943.

4- Joy Willams ,
Knights of the Crusades , New Yourk, 1962.

5- Karen Armstrong,
A History of Jerusalem,
"on city three faiths", Harper collins publishers.

6- Kenneth M. setton,
“A history of the Crusades , university of Pennsylvania Paris .
- The later crusades “1189 - 1311”, Vol., II.

7- Norman Housley,
The later crusades “1274 - 1580”, from Lyons to Alcazar”, Oxford university Paris , 1992 .

8- Otto of Freising,
The deeds of Frederick Barbarossa, New Yourk , 1953

9- R.C. Smail ,
Crusading Warfare “ 1097 - 1193” , Cambridge, 1956

10- T.F.Tout, M.A., D.litt,
The Empire And the Papacy, "918 – 1273", period II , Riving tons, king street Covent Garden, London, 1924.

11- T.S.R. Boase,
Castles and Churches of the crusading kingdom, London 1967.